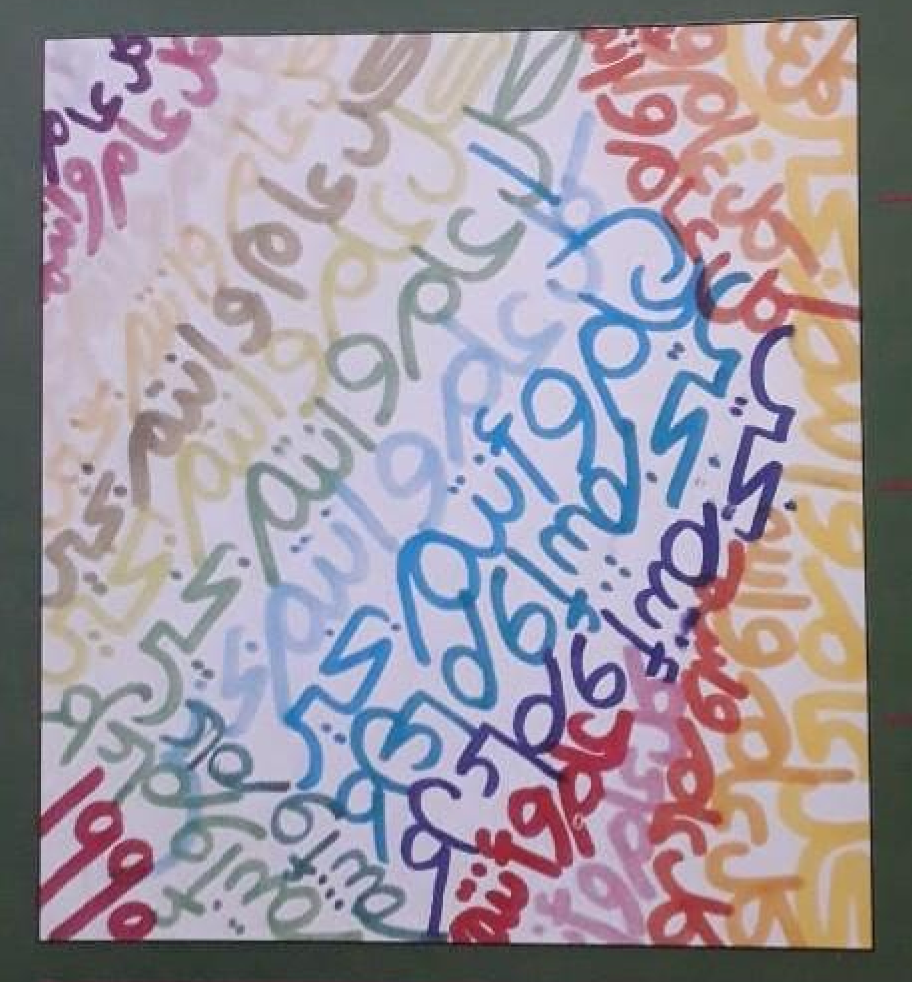
الضغوط الأمريكية

اليسار

راية المستضعفين فى الأرض

العدد التاسع و الخمسون / يناير ١٩٩٥ م / رجب ١٤١٥ هـ / الثمن جنيهان مصريان



زيارة (وايزمان) وتصاعد التطبيع

كوبا.. تتحدى أطول حصار فى التاريخ

يلتسين فى دور إيڤان الهيب

حرب الفراولة وتوقف الحلم

١٩٩٥.. عام التصدى و التغيير

السعودية.. ما بعد الملك فهد ؟!

في هذا العدد

اليسار دار

أمل فى عام جديد

كل عام وأنتم بخير.. فها نحن نبدأ العام الميلادى الجديد، عام ١٩٩٥، تحدونا آمال عريضة بالنسبة للوطن والأمة، رغم كل السواد الذى يغلف حياتنا بعد هذه السنوات العجاف التى عشناها فى ظل الحكم القائم والنظام الدولى الجديد. ولعل آخر بصمات العام الذى مضى والتى ستؤثر علينا مع بداية هذا العام، هو ارتفاع اسعار الصحف والمجلات نتيجة لارتفاع أسعار الورق. فالأشهر الثلاثة الأخيرة من عام ١٩٩٤ شهدت ارتفاعا غير مسبوق فى أسعار ورق الصحف، نتيجة لقرار أمريكى كندى، أكبر منتجى الورق فى بورصة الورق العالمية. وهكذا ارتفع سعر طن ورق الصحف من ٣٠٠ دولار الى ٧٥٠ دولار. وقد رفعت الصحف والمجلات المصرية أسعارها بنسبة ٦٠٪، وستضطر خلال أشهر قليلة لرفعها مرة أخرى، فارتفاع سعر الورق تم بنسبة ٢٥٠٪ ورغم حرص «اليسار» على تجنب أى اجراء يمثل عبئا إضافيا على قرائها، فقد كان الارتفاع فى الأسعار أكبر من طاقتنا، ومنذ ٣ أشهر حاولت اليسار تجنب هذه الخطرة بتغيير نوعية الورق الداخلى، ولكنا وصلنا فى النهاية الى موقف يحتم اتخاذ هذا القرار الصعب. فاليسار لا تقف ورائها إمكانيات حكومة ولا شركات تجارية ولا حزب غنى، وتعتمد تماما على قروش القراء وتبرعات اليساريين سواء كانوا أعضاء فى حزبنا أم خارجه.

وهكذا إتخذ مجلس المستشارين قرارا إجماعيا برفع سعر العدد من مجلة «اليسار» الى جنيهين إعتبار من هذا العدد، أى زيادته بنسبة (٣٣٪) وهى توازى نصف النسبة التى رفعت بها أسعار الصحف والمجلات الأخرى. ونحن على ثقة ان القارئ اليسارى سيفهم ويتقبل هذا القرار.

.. يغيب عن هذا العدد باب «هوامش على دفتر الحياة» الذى يكتبه د. **عبد العظيم أنيس** لسفره للخارج. كما تغيب موضوعات «**مدحت الزاهد**» الذى حالت ظروف خاصة بينه وبين تسليم موضوعاته فى الموعد المحدد. ونأمل أن تستكمل «اليسار» مع العدد القادم كل كتابها ومحرريها.

اليسار

رئيس التحرير
حسين عبد الرازق

المشرف الفني
محمود الهندى

المستشارون:
إبراهيم بدراوى
د. رفعت السعيد
صلاح عيسى
د. عبد العظيم أنيس
عبد الغفار شكر
عبد الغنى أبو العينين
محمود أمين العالم

شارك في التأسيس:
د. فؤاد مرسى

اليسار: منبر ديمقراطى
يصدر عن التجمع الوطنى
التقدمى الوحدوى فى اليوم
الأول من كل شهر

ALYASSAR-1 KARIM EL DAWLASt.TALAAT HARB SQ.
CAIRO / EGYPT

الاشتراكات (لمدة سنة واحدة)
مصر: ٢٤جنيهاً للأفراد و٦٠جنيهاً للهيئات
الوطن العربى: ٥٠دولاراً أمريكياً أو مايعادلها
العالم: ١٠٠دولار أمريكى أو مايعادلها
ترسل القيمة بشيك مصرفى أو حوالة بريدية إلى إدارة المجلة.

الإدارة والتحرير: ١شارع كريم الدولة ميدان طلعت حرب- القاهرة
ت: ٥٧٥٩١٥٢-٥٧٥٩٠١١-٥٧٥٩٢٨١
فاكس: ٥٧٨٦٢٩٨- FAX,5786298

موقفنا

١٩٩٥.. هل هو عام التصدى والتغيير

«القراءة الهادئة للأحداث الداخلية خلال عام ١٩٩٣، بعيدا عن الضجيج الاعلامى وحديث الانجازات والإجماع الوطنى، تقودنا الي ثلاثة عناوين أساسية:

العنف

العدوان على لقمة العيش وأرزاق الناس..

الفساد..»

كانت هذه الكلمات هى بداية افتتاحية الأهالى فى يناير ١٩٩٤.

فهل اختلف الحال خلال العام المنصرم؟

وماذا تقول اليوم عن عام ١٩٩٤؟!

للأسف فالصورة ما زالت مليئة بالسواد، رغم بعض الظواهر الايجابية هنا وهناك. ما زال الناس يشعرون انهم ينتقلون من سئ الى أسوأ. وقد بلغ ضيقهم بالحكم القائم حدا غير مسبوق، ويحملونه كل ما هم فيه من مصاعب ومتاعب وأزمات.

واذا حاولنا تحديد ملامح أساسية للعام الذى مضى، سنجد أمامنا أكثر من عنوان..

*** تضييق الهامش الديمقراطى المحدود واستمرار العنف..**

***ارتفاع الاسعار، وتراجع مستوى معيشة الغالبية العظمى من الناس، وارتفاع موجة الهجوم على كافة جوانب حياة البشر..**

*** الفساد..**

*** هوجة التطبيع والسوق الشرق أوسطية.**

يضاف اليها عنوان جديد..

***تصاعد الحركة الجماهيرية**

عدوان على الديمقراطية

لقد شهد عام ١٩٩٤ خاصة فى النصف الثانى منه تراجع عنف الجماعات الارهابية المتسترة بالدين وحصارها فى الصعيد (أسيوط ثم المنيا «ملوى»..)، بعد نجاح الضربات الأمنية المخططة واختراق أجهزة الأمن لهذه الجماعات، وان ظلت لديها القدرة على اقتراف بعض الجرائم المدوية، مثل محاولة اغتيال الكاتب الكبير **نجيب محفوظ** أو الاعتداء على بعض السياح فى الغردقة. وقد بلغ عدد القتلى من رجال الشرطة ٩٦ ضابطا وجندياً أبرزهم مسئول النشاط الدينى فى مباحث أمن الدولة.

وعلى عكس المتوقع والمنطقى فلم يصاحب تراجع العنف المتستر بالدين إنفراج ديمقراطى، بل أوغل حكامنا فى تضييق الحقوق الديمقراطية الناقصة والمحدودة التى تحققت فى سنوات سابقة. **فصدر قانون يلغى انتخاب العمد** ويعود مرة أخرى الى نظام تعيينهم من قبل وزارة الداخلية. ثم صدر قانون آخر **يفرض الوصاية على اساتذة الجامعات ويمنعهم من انتخاب عمداء الكلية**، ويعطى لمجلس الجامعة سلطة تعيينهم!

واذا كان اساتذة الجامعات في مستوى لا يؤهلهم لانتخاب قياداتهم -في نظر الحكم- فمن باب اولى فإن طلابهم قصّر لا يستحقون ممارسة حق انتخاب اتحاداتهم. وهكذا تم شطب **أكثر من ١٢٠٠ طالب ممن رشحوا** أنفسهم في انتخابات الاتحادات الطلابية، اغلبهم ممن ينتمون لتيار الاسلام السياسى، وان لم تخل القائمة من اليساريين والتقدميين

وأصحاب الموقف المستقل عن الحكومة!

ولم تنس الحكومة العمال فأصابتهم بركاتها وشرور الديمقراطية. وتم بالاتفاق مع قيادات الاتحاد العام للعمال- طبخ مشروع **قانون العمل الموحد**، الموجود حاليا في مجلس الشعب. وهو قانون معاد للعمال.. يتيح لاصحاب الشركات فصلهم لأي سبب، ويزيد من ساعات العمل، ويخفض مدد الاجازة الاعتيادية، ويضع قيوداً مالية على لجوئهم للقضاء، ويلغي حقهم في العلاوة الدورية وحقهم في الترقي، بل ويخفض اجورهم، ويقر مبدأ حق الاضراب ثم يلغيه عمليا بقيود مانعة يوردها في المشروع. كما تم اعداد قانون جديد للنقابات العمالية يصفي ما بقى في الحركة النقابية العمالية من نبض.

وتعرضت الصحافة لهجمة جديدة من خلال المجلس الاعلى للصحافة الذى اتخذ قرارا بوضع قيود جديدة علي اصدار الصحف الحزبية واستمرارها وفرض رقابة عليها من المجلس الاعلى الذى يتكون من اغلبية معينة من الحزب الحاكم.

ووجه الحكم اعلانا آخر باصراره علي انتهاك الديمقراطية وحقوق الانسان، عندما اصدر الرئيس في شهر ابريل قراراً **بمد العمل بحالة الطوارئ ٣ سنوات** أخرى (كان مقررا انتهاء العمل بحالة الطوارئ في ٣٠ مايو ١٩٩٤).

ولم يكن غريبا في ظل استمرار العمل بحالة الطوارئ ١٣ عاما متصلة، أن يعتقل «٢٥٥٥» من المشتبه بانتمائهم للجماعات الإرهابية والمتهمين في بعض جرائم الارهاب، بالاضافة الى عشرات من القيادات العمالية والحزبية النشطة، آخرهم عمال كفر الدوار والمحلة الكبرى. ولم يكن غريبا ايضا **أن تستمر جرائم التعذيب** التي ترتكب بصورة دائمة ضد المعتقلين والمسجونين السياسيين والمواطنين في أقسام البوليس، وأماكن الحجز. وقد توالت تقارير منظمات حقوق الانسان المصرية والعربية والدولية التي تدين الحكم في مصر بممارسته للتعذيب وانتهاك حقوق الانسان بصورة منهجية. وقد ضبط الحكم عاريا عقب وفاة المحامي «عبد **الحارث مدني**» بعد القبض عليه بأربعة وعشرين ساعة (٢٧ أبريل ١٩٩٤). وأثارت هذه الجريمة حملة عنيفة من الإدانات من منظمات حقوق الانسان ومنظمات الحقوقيين الدولية.. وادت الى صدام بين المحامين والحكم.

لقمة العيش

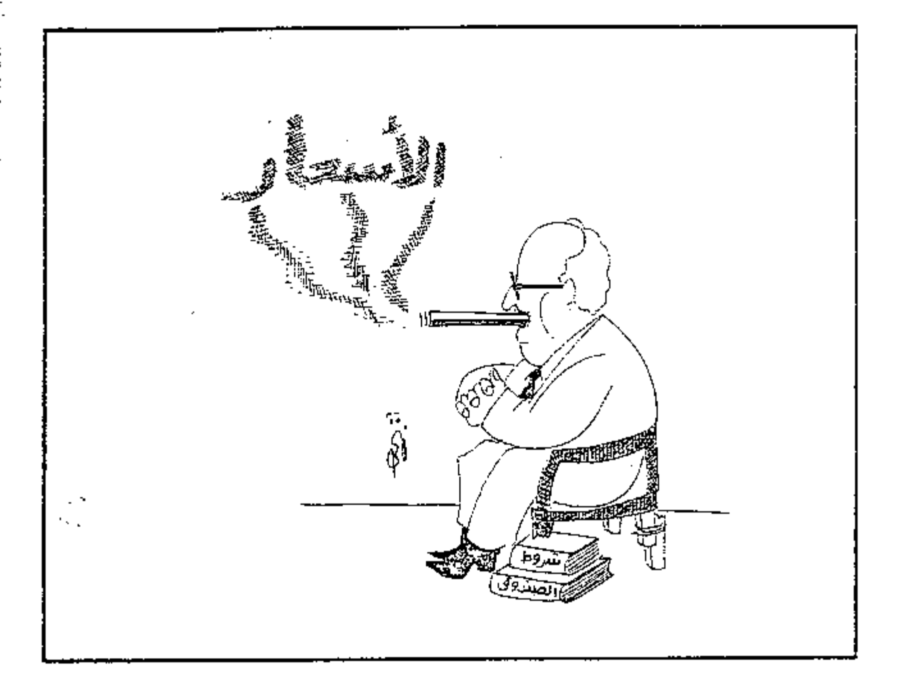
وواكب هذا العدوان المستمر على الحقوق الديمقراطية، عدوان الحكم على حياة الناس ولقمة عيشهم لقد انتهى العام والناس يصرخون من الارتفاعات الفلكية في أسعار المواد الغذائية والمياة والكهرباء والعلاج، ومن غش المواد الغذائية، واختفاء السكر و.. و..

وقد حدثت هذه القفزة في الاسعار نتيجة للسياسات الحكومية المستمرة منذ سنوات، والتي ترتبط **بسياسة الخصخصة والسوق الرأسمالي وانسحاب الدولة من المشاركة في التنمية وتوفير الخدمات الاساسية (التعليم -العلاج..) وما يسمى بحرية التجارة**. وقد اتخذت خلال عام ١٩٩٤ خطوات عديدة -بالاتفاق مع صندوق النقد الدولي والبنك الدولي- على هذا الطريق المعادي لمصالح الناس.. بدءا **بقانون الضريبة الموحدة** الذى يجافي العدالة الاجتماعية ويضر ضررا بالغا محدودي ومتوسطي الدخل، مروراً **بالارتفاع المخطط للاسعار** تنفيذاً لاتفاق الحكومة مع صندوق النقد الدولي والذى يشمل الكهرباء (يوليو ١٩٩٤) والدواء والمواد الغذائية والسكر والارز والمكالمات التليفونية والمواصلات والمياة، وصولا الى **الاندفاع في الخصخصة** ببيع وتصفية شركات اساسية، **وتدمير الصناعة الوطنية** خاصة في ظل فتح ابواب الاستيراد الذى هدد صناعات الملابس الجاهزة وحديد التسليح وغيرهما..

ولكن أهم وأخطر القرارات التي أتخذت عام ١٩٩٤ يتمثل في خضوع الحكومة لطلبات صندوق النقد الدولي وخاصة الموافقة على **وجود رقابة أجنبية دائمة على التصرف فيما تملكه مصر من احتياجات العملة الصعبة**، والقبول بتخفيض أسعار الفائدة لتصل الى ٩٪ بداية عام ١٩٩٦، والغاء كل الرسوم المفروضة على الصادرات، وتعديل تدريجي في سعر الصرف، **وخصخصة مرفق مياه الشرب والصرف الصحي في بورسعيد** والاسماعيلية كخطوة لخصخصة مرافق القاهرة الكبرى فيما بعد، ورغم الاعلان عن رفض طلب الصندوق التخفيض الرسمي الفوري لقيمة الجنيه بحوالي ٢٥٪ من السعر الحالي، فقد مارست الحكومة تنفيذ هذا الطلب بصورة تدريجية وعن طريق البنك المركزي وبعض الادرات المالية دون اعلان.. وهو ما سيؤدي -حسب تصريحات المسئولين- الى **تراجع تحويلات المصريين العاملين بالخارج وعودة الدولرة (التعامل بالدولار) الى السوق المحلى، وارتفاع ثمن الواردات، وزيادة العجز في الميزان التجاري، ومن ثم ارتفاع جنوني آخر للاسعار.**

وفي ظل غياب الديمقراطية والسياسات الاقتصادية الخاطئة ازدادت ظاهرة الفساد التي مثلت احد جوانب الازمة في السنوات السابقة، فبالاضافة لما يتردد بين كبار رجال الدولة وفي دوائر الاعمال وما ينشر مجهلا في بعض





الصحف حول«أين مصطول كبير» يكاد يكون عاملاً مشتركاً فى كل قضايا الفساد . فقد كشفت واقعة تهريب مليونير الكاوتشوك«جورج اسحاق حكيم» لاسرائيل للخارج ثم تهريبه شخصيا عن عمق الفساد فى اجهزة الحكم وفي الجهاز المصرفى(٨ بنوك ساندت وساعدت وسهلت نهبه للاموال قبل هروبه)

وزاد الطين بلة كارثة السيول وعجز الدولة وفسادها البارز في التعامل معها.

التطبيع

واذا كان عام ١٩٩٣ قد شهد فى نهايته اتجاها لتحويل ما يسمى بالسلام البارد إلى سلام ساخن، والتحرك على طريق التطبيع والسوق الشرق أوسطية ، فقد كان عام ١٩٩٤ هو **عام الهرولة للتطبيع والترويج للسوق الشرق اوسطية.**

فبعد اعلان الرئيس فى معرض الكتاب موافقته على بيع الغاز الطبيعى لاسرائيل عبر انابيب تمر شمال سيناء، وعلى مشروع انشاء معمل لتكرير البترول تبلغ استثماراته ٨٥٠ مليون دولار وتساهم فيه اسرائيل، تبارى المسئولون فى الاندفاع على طريق التطبيع والذى يمنح اسرائيل وضع الدولة المتميزة فى مصر ، فأعلن وزير التعمير فى مجلس الشعب استراتيجية حكومية لتعمير سيناء عن طريق الاستثمارات الاسرائيلية. وقام وزير البترول بزيارة لاسرائيل (٩ و ١٠ أغسطس ١٩٩٤) ناقش فيها زيادة كمية البترول الخام المصدرة لاسرائيل لتبلغ ٥ ملايين طن سنويا (٦٠٪ من إنتاجنا القابل للتصدير) ، والشروع فى انشاء مصفاة التكرير المصرية الاسرائيلية (ميدور ايجيبت) فى بور سعيد، ثم قام عمرو موسى بزيارة لاسرائيل- أول زيارة رسمية- وتم الاتفاق من خلالها على احياء اللجنة التجارية المشتركة، وتلاه وزراء الاقتصاد والثقافة والسياحة بزيارات مماثلة، ثم دخل رجال الاعمال على الخط ، وقام وفد برئاسة محمد فريد خميس بزيارة اسرائيل، وعقد في القاهرة لقاء «المشاركة بين السوق الاوروبية والشرق الاوسط» والذي شاركت فيه ١٣٠٠ شركة من مصر واسرائيل والاردن وفلسطين (والاتحاد الاوروبى) بهدف دمج اسرائيل اقتصاديا فى المنطقة كخطوة فى فى طريق السوق الشرق اوسطية وقبل ايام تمت بزيارة (وايزمان) رئيس اسرائيل لمصر، وفتح الباب أمام زيارة مبارك لاسرائيل.

*****

ان هذه الصورة القاتمة للاوضاع الداخلية خلال عام ١٩٩٤ يجب ان لا تنسينا ثلاث ظواهر هامة:

الأولى ، هو نجاح القوى الوطنية فى دفع الحكومة لالغاء قانون حماية الجبهة الداخلية والسلام الاجتماعى ، والغاء المسئولية السياسية الواردة فى قانون العيب وسلطة المدعى الاشتراكى فى الاعتراض على المرشحين فى الانتخابات النقابية ومجالس الادارات والنوادى.. الخ

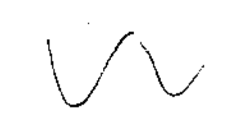
لقد تحقق هذا الالغاء عقب مؤتمر الحوار . والذى حاولت الاحزاب ان تجعله نقطة بداية للاتفاق على الاصلاح الديمقراطى وخاصة اجراء انتخابات حرة نزيهة لمجلس الشعب باصدار قانون جديد لمباشرة الحقوق السياسية. ولكن الحكم ، فسد الحوار باصراره على الانفراد بتحديد المشاركين فيه وتشكيل لجانه ورئاستها ، وفرض جدول اعمال عليه وصياغة توصياته .. وإن أضطر فى النهاية الى تقديم تنازل محدد تمثل فى الغاء هذا القانون الذى ناضل التجمع والحركة الوطنية ضده طوال ١٦ عاما.

الثاني: هو صعود الحركة الجماهيرية الاحتجاجية للطبقة العاملة والتى تمثلت فى اعتصام عمال كفر الدوار دفاعا عن حق العمل وحق العمال فى أجر عادل... ثم تحرك عمال المحلة والسويس وحلوان.

الثالث: عودة الروح لحركة المقاومة ضد التطبيع وامتدادها الى رفض السوق الشرق اوسطية. ودخول المثقفين الوطنيين بقوة الى هذا الميدان، وانتشار هذه الحركة الى قطاعات عريضة فى المجتمع.

فهل تمسك الاحزاب اليسارية والديمقراطية بزمام المبادرة ليكون عام ١٩٩٥ هو بداية التصدى والتغيير .. خاصة والحكم يجهز سلسلة من القوانين التى تصيب حياة الناس فى مقتل ، مثل قانون العلاقة بين المالك والمستأجر فى العقارات ، وقانون العمل الموحد، وقانون العملة ، وقانون النقابات ، وقانون القطن... الخ. كذلك فهذا العام- الذى نبدأه اليوم - سيشهد انتخابات مجلس الشعب ، وهى فرصة اذا أحسنت احزاب المعارضة الديمقراطية التعامل معها ، يمكن ان تعدل من توازن القوى داخل مجلس الشعب وفى الساحة السياسية بما يفتح بابا- ولو صغيرا- للتغيير.

رئيس التحرير



بالجو السياسى

زيارة "عزرا وايزمان" وتصاعد وتيرة "التطبيع"

بعد ١٣ عاما من أول زيارة قام بها رئيس دولة اسرائيل لمصر (**اسحاق نافون**) عام ١٩٨١ وسط موجة عاتية من الرفض لسياسة الصلح المنفرد مع اسرائيل واتفاقيات كامب ديفيد، وصلت الي حد رفض عمال مجمع الحديد والصلب استقباله مما ادى الى الغاء زيارة «**نافون**» للمصنع .. أتت زيارة «**عزرا وايزمان**» الرئيس الاسرائيلى الحالى لمصر والتى استمرت الثلاثة أيام (١٩ . ٢٠ . ٢١ ديسمبر ١٩٩٤). وتتم الزيارة فى ظروف مختلفة تماما ، حيث نجحت إسرائيل فى توقيع اتفاقياتمع منظمة التحرير والاردن ، وأعلنت كافة الدول العربية تبرلها لمبدأ التسوية تحت شعار «الارض مقابل **السلام**»والمقصود بها الاراضى العربية الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧- وبالتالى لم تعد مصر هى الدولة الوحيدة التى تنفرد بالصلح مع اسرائيل.

ورغم هذه التطورات فإن موجة المقاومة للتطبيع تكتسب فى مصر- والعالم العربى- نفسا وديناميكية جديدة فى ضوء الممارسات الاسرائيلية واستمرار الاحتلال للجولان وجنوب لبنان والضفة الغربية وغزة(رغم اتفاق غزة-أريحا أولا) ،والهجمة الشرق أوسطية.

وقد أعلنت اسرائيل موضوع، أهدافها فى هذه الزيارة، والتى قيل انها تتم بناء على دعوة من الرئيس مبارك **لوايزمان** عندما أتصل به الأخير تليفونيا عقب توقيع الاتفاق الاردنى -الاسرائيلى، وتتمثل هذه الاهداف فى:

١- بحث تطورات عملية السلام فى الشرق الأوسط وسبل تذليل العقبات فى المسارين السورى واللبنانى .. ودفع المفاوضات فى المسار الفلسطينى.

٢- انهاء السلام«**البارد**» بين مصر واسرائيل-حسب التعبير الاسرائيلى-والانطلاق فى التطبيع ، وطبقا لتصريح مصدر اسرائيل.. «فالوقت قد حان للانتقال الى علاقات أكثر حرارة نظرا للتقدم الذى حصل على طريق السلام مع بقية العالم العربى» مشيرا الي الاتفاق الموقع بين **رابين وعرفات** فى ١٣ سبتمبر ١٩٩٣، ومعاهدة السلام بين الاردن واسرائيل فى ٢٦ أكتوبر الماضى، وأضاف المصدر «**قبلت اسرائيل طويلا بالسلام البارد لكى لا تسيئ الى جهود اعادة اندماج مصر فى العالم العربى بعد ان علقت عضويتها فى الجامعة العربية على إثر توقيعها معاهدة السلام مع اسرائيل، إلا أنه لم يعد هناك من سبب اليوم لاستمرار ذلك.**

٣- فى هذا الإطار ومن أجل دفع التطبيع، نطبقا لما قاله«**أربيه شومر**» نائب«وايزمان» سيتطرق الى«توثيق العلاقات فى مجال الاتصالات والسياحة والثقافة .. موضوع **التعاون فى مكافحة الارهاب**» ، كما سيناقش تفاصيل المشروعات المشتركة فى مجال النقل بين مصر واسرائيل، بما فى ذلك مراحل تنفيذ الطريق البرى الاقليمى الذى يربط مصر باسرائيل وعدد من دول المنطقة ، ومشروع خط السكك الحديدية المزمع انشاؤه بين الجانبين، ومن هنا فقد تمت لقاءاته بين **وايزمان** وكل من وزراء الدفاع **المشير** «**حسين طنطاوى**» والزراعة «**يوسف والى**» و«**صفوت الشريف**» (الاعلام) و«**فاروق حسنى**» (الثقافة) و «**عمرو موسى**» (الخارجية) «ود. **أسامة الباز**»(مدير مكتب الرئيس للشئون السياسية)، بالاضافة لمباحثات سياسية مع الرئيس **حسنى مبارك**.

٤- الإعداد لقمة عمان الاقتصادية والتى تعد استمرارا لقمة «**الدار البيضاء الاقتصادية**» والتى تمهد للعلاقات الشرق أوسطية وادماج اسرائيل فى المنطقة ، ويسعى **وايزمان** لاقناع الرئيس بضرورة حضوره شخصيا هذه القمة.

وتشير عديد من المصادر الى احتمال ان يتم خلال هذه الزيارة تحديد موعد لزيارة الرئيس مبارك -كرئيس لجمهورية مصر- لاسرائيل. ورغم ان وايزمان أعلن فى لقائه مع رؤساء تحرير الصحف المصرية فى أول أيام زيارته بأنه قبل دعوة الرئيس مبارك لزيارة

مصر بدون شروط مسبقة، وانه لا علاقة لهذه الزيارة بقيام الرئيس بزيارة اسرائيل، وأن ما يتردد حول وجود وعد من الرئيس مبارك بزيارة اسرائيل مقابل قيامه بزيارة مصر ما هو إلا اشاعات، كما أعلن كل من «عمرو موسى» ود. اسامة الباز» ان موعد زيارة الرئيس مبارك لاسرائيل لم يتحدد بعد، الا ان مصادر مصرية واسرائيلية أكدت ان الزيارة ستتم في أوائل العام القادم، وحدد التليفزيون الاسرائيلي مارس ١٩٩٥ موعداً لهذه الزيارة.. كما اشارت المصادر الاسرائيلية لاحتمال عقد قمة ثلاثية اثناء زيارة مبارك لاسرائيل تضمه ووايز مان والملك حسين.

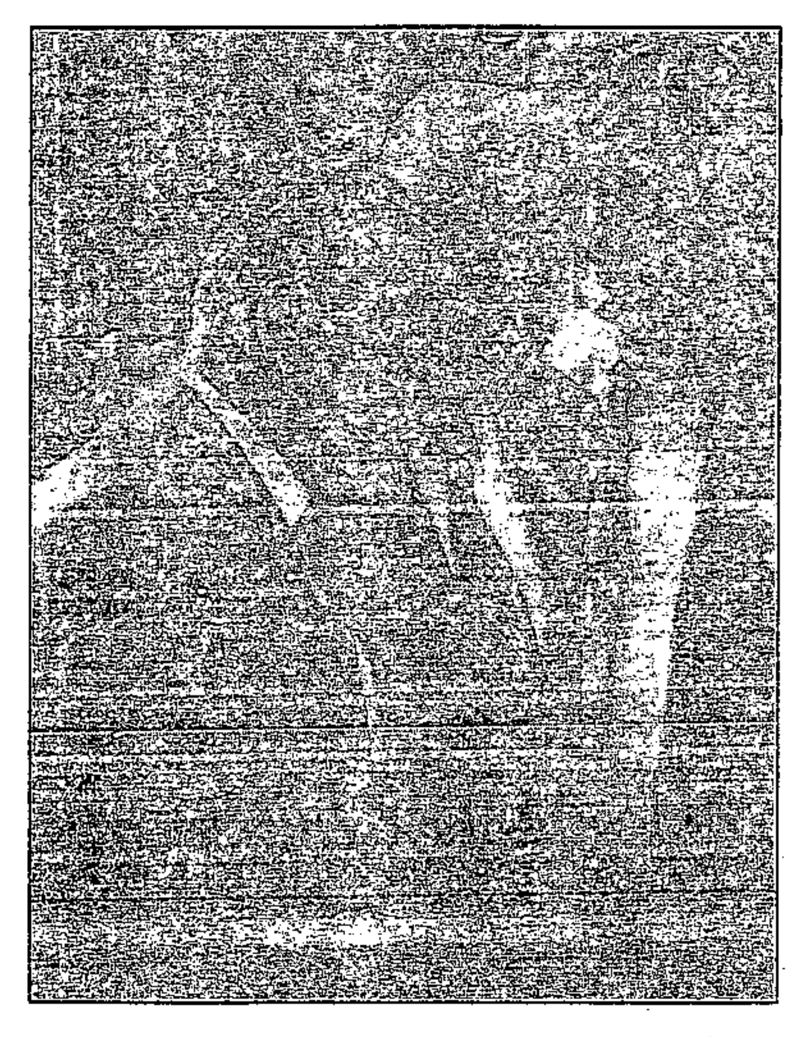
ولا تتعارض الاهداف المصرية من هذه الزيارة مع الاهداف الاسرائيلية وان كان هناك اختلاف في اولويات وفي بعض التفاصيل، فالادارة المصرية تعطي اهمية لموضوع تصديق اسرائيل على معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية، وأكد عمرو موسى في تصريحاته ان الرئيسين سيبحثان خلال لقائهما في موضوعات عدة منها قضية التسلح النووي، سواء طرحها هو أم طرحناها نحن، انها إحدى القضايا التي تجب مناقشاتها. وقد حدد «موسى» ايضا ان علي اسرائيل اتخاذ ثلاث خطوات لتحقيق السلام ، وهي «دفع المسار السوري» ، وازالة المناخ غير الطيب المحيط بالمسار الفلسطيني، وتصديق اسرائيل على معاهدة منع الانتشار النووي».

وقد حرص الرئيس حسني مبارك علي اجراء اتصال تليفوني مع الرئيس السوري **حافظ الاسد** قبل لقاء «مبارك -وايزمان» لمناقشة الموقف السوري من الافكار المطروحة لتحقيق تقدم على هذا المسار ، وقالت مصادر سورية ان الرئيس مبارك أكد للأسد «دعم الحكومة المصرية لمطالب سوريا بانسحاب اسرائيلي كامل من مرتفعات الجولان مقابل السلام»، ولوحظ ان الرئيس السوري أكد خلال لقائه بوفد اتحاد المحامين العرب التزامه بتحقيق السلام العادل والشامل **منتقدا الاطراف العربية التي سقطت في اتفاقات منفردة مع** اسرائيل. وفي نفس الوقت أصدر السفير السوري لدى مصر «عيسى درويش» بيانا عشية وصول رئيس اسرائيل الى القاهرة أعلن فيه رفض حضور حفل الاستقبال الذي يقام لوايزمان، وقال فيه «ما زلنا في حالة حرب مع اسرائيل وأرضنا محتلة بالقوة خلافا للقوانين الدولية، ولا يمكن ان يكون هناك تكافؤ أو تساو على الاطلاق لان اسرائيل معتدية ، الانسان لا يساق سوقا ليرحب بمعتد غاصب يجثم بقوة السلاح على أرضه» ، كما اعتذر **د.عصمت عبد المجيد** أمين الجامعة العربية عن لقاء **وايزمان** وقال ان الجامعة العربية لا تعقد أي لقاءات مع أي مسئول اسرائيلي، إلا بعد الانسحاب الاسرائيلي من جميع الاراضي العربية المحتلة.

الا ان أهم الاعتذارات كان اعتذار شيخ **الازهر** عن لقاء وايزمان بناء على طلب الأخير وذكرت مصادر الازهر ان الرفض جاء بسبب عدم ملائمة المناخ واستمرار احتلال اسرائيل للأراضي العربية والقدس الشريف.

ورغم ان مصادر عديدة لا تتوقع اي نتائج هامة لهذه الزيارة حيث لا توجد سلطات حقيقية لرئيس الدولة في اسرائيل ، وتتركز سلطة اتخاذ القرار في يد رئيس الحكومة والكنيست.. إلا أن هناك توقعا بتصاعد وتيرة التطبيع الحكومي ،والذي اتخذ اتجاها متسارعا منذ نوفمبر ١٩٩٣.

وقد لاحظت الدوائر السياسية حرص د. **مصطفى خليل** نائب رئيس الحزب الوطني زعيم«اللوبي» الاسرائيلي في مصر على اقامة حفل غذاء على شرف وايزمان ، الذي تربطه صداقة بكل افراد «اللوبي» الاسرائيلي منذ اتفاقات كامب ديفيد ومعاهدة الصلح بين السادات وبيجين، وسبق له ان زار مصر -كوزير للدفاع- خمس مرات من قبل.



مصر في الاتحاد المغاربي

اهتمت الدوائر السياسية بمفاجأة حضور «عمرو موسى» وزير الخارجية اجتماع وزراء خارجية **«اتحاد المغرب العربي»** واعلان ان مصر تقدمت بطلب لقبولها كعضو **«مراقب»** في الاتحاد ، وأن هذا الطلب سيعرض على قمة الاتحاد في ابريل القادم ١٩٩٥.

وقد اكتفى «عمرو موسى» في تفسير هذا التحرك المفاجئ بالقول بأن «مصر جزء من المغرب العربي كما هي جزء من المشرق العربي، وعلاقاتها قوية مع دول المغرب بحكم المصالح المشتركة ، وقد تأخرنا كثيرا في الانضمام لاتحادها، والآن حان الوقت» .. مما فتح الباب أمام عديد من التساؤلات حول اسباب تقدم مصر بهذا الطلب، والاهداف من الانضمام كمراقب ، والدافع وراء اختيار هذا التوقيت بالذات.

بعض الدوائر ارجعت هذا التوجه الجديد بأنه محاولة مصرية لاستعادة دور مصر السياسي والاقتصادي في المنطقة، ووقف محاولات تهميش هذا الدور من جانب اسرائيل من ناحية ومن جانب دول الخليج البترولية من ناحية أخرى، فهناك احساس مصري رسمي بأن التطورات الاخيرة في المنطقة قد تؤدي الى تقليل دور مصر . فالترتيبات الاقليمية الشاملة برعاية الولايات المتحدة واسرائيل تحول مصر الى مجرد فاعل ضمن فاعلين آخرين، وقد تضاعف هذا الاحساس خلال **«مؤتمر وقمة الدار البيضاء الاقتصادية»** التي مثلت خطوة لاقامة نظام شرق أوسطي ، وسبق ذلك انهيار **«مجلس التعاون العربي»** وانسحاب «بيجر» منه رسميا، وفشل **«اعلان دمشق»** والذي كانت مصر تأمل أن يوفر لها دعماً ماليا واقتصاديا ودوراً رئيسياً على الساحة العربية ، الا ان دول الخليج جمدت هذا الاعلان وأفشل كل الجهود المصرية السورية لاحيائه ، واستمرار عجز الجامعة العربية عن القيام بدورها كاطار للنظام الاقليمي العربي بسبب الموقف السعودي الكويتي، وقدرت الدبلوماسية المصرية ان انضمامها للمجلس المغاربي يمثل سوقا اقتصادية واسعة (دول شمال افريقيا ثلثي سكان العالم العربي ويسهل قيام مصر بدورها كحلقة وصل بين المغرب العربي ودول المشرق العربية واسرائيل وتركيا وايران) في اطار السوق الشرق أوسطية ، كما يساعد في العلاقات مع دول الاتحاد الاوروبي وتقوية دور مصر في اطار دول حوض البحر الابيض المتوسط في ضوء العلاقات التقليدية القوية بين دول المغرب،ودول اوروبا الغربية، وفي النهاية يمتن العلاقات الحالية بين مصر وليبيا ، وبين مصر والجزائر **(خاصة أمنيا)** وبين مصر والمغرب في نطاق الدور المتميز لكلا البلدين في موضوع التسوية والسوق الشرق أوسطية.

بينما ترى دوائر مصرية وعربية مختلفة خطأ الحسابات المصرية ، فانضمام مصر كمراقب وليس كعضو عامل يقلل من قيمة اي جوانب ايجابية لهذا التوجه ، وهناك احتمال ان يؤدي انضمام مصر الى التكتل المغاربي الى تأكيد انقسام العالم العربي الى مشرق يقوده مجلس التعاون الخليجي (بزعامة السعودية) ومغرب ، أو بين عرب آسيا وعرب أفريقيا ، وبالتالي عزل مصر عن المشرق وهو أمر في صالح اسرائيل، وتشير هذه الدوائر الى ان الاتحاد المغاربي يواجه العديد من الازمات ويتهدده الفشل نتيجة لوجود خلافات حادة بين دوله ، ومن ثم عجزه الواضح عن تحقيق اى من اهدافه المعلنة خاصة في مجال التكامل الاقتصادي . كما أن دول المغرب العربي- باستثناء ليبيا حتى الآن- تقبل الطرح الامريكي الاسرائيلي للسوق الشرق أوسطية (خاصة المغرب) ،والذي يهدف لتقزيم دور مصر وتهميشها.

الغريب ان الحكم لم يهتم بشرح او توضيح هذه الخطوة لا للرأي العام ولا للأحزاب السياسية ، ولا حتى داخل الحزب الوطني، ولم تجر حتى الآن أي مناقشة للموضوع في مجلس الشعب.

عمرو موسى



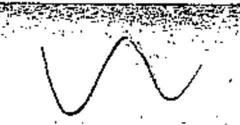
الشيوعيون يطالبون بمواجهة سياسات الحكم

استبقت السكرتارية المركزية للحزب الشيوعي المصري ، بيان رئيس الوزراء أمام مجلس الشعب، فأصدرت بيانا يوم ١٨ ديسمبر ١٩٩٤، تحت عنوان.. **«فلنقاوم سياسات السلطة التي دمرت الوطن»** .. أكدت فيه موقف الحزب الرافض لمجمل هذه السياسات، واستحالة ان يأتي رئيس الوزراء بجديد. قال البيان:

«في أواخر هذا الشهر ، سوف يلقي رئيس وزراء السلطة الحاكمة بيانا امام مجلس الشعب ، ولسنا ندري ماذا يمكن أن يقول في ظل الازمة الشاملة التي تغرق شعبنا ، والتي يعيشها كل منا لحظة بلحظة بسبب سياسات هذه السلطة.

ماذا يقول عن مواجهة **البطالة** التي تتسع كل يوم ، وعن مواجهة **الفساد** الذي يطال قمم السلطة وأبناءهم وأسرهم، وعن **الطعام الفاسد والماء الملوث والهواء الملوث** الذي يأكله ويشربه ويتنفسه شعبنا وعن مواجهة **الازدياد المجنون للأسعار وانخفاض الدخول والفقر** الذي ينهش الناس، والتسول وجمع الطعام من صناديق القمامة الذي تحول الى ظاهرة، **والغاء مجانية التعليم والعلاج والخدمات** الرخيصة؟ وماذا سيقول في مواجهة **الركود وانخفاض معدل النمو الاقتصادي**، وماذا يقول عن **انتهاك الديمقراطية** وتضييق هامشها الهش وفتح المعتقلات للمعارضين من العمال والسياسيين؟ وماذا سيقدم في مواجهة **التطبيع مع العدو الاسرائيلي** الذي تقوم به وزارات عديدة في حكومته؟

هل سيقدم رئيس الوزراء تصورات وخطط الحل للأزمة الشاملة؟ أم يظل متمسكا



بخط التضليل والخداع الذى تتبناه السلطة دون حياء أو خجل؟

هل يعلن رئيس الوزراء عن سحب مشاريع القوانين الجاهزة وأهمها **قانون العمل الموحد وقانون النقابات وقانون الاسكان** ، تلك القوانين التى ستؤدى الى سلب مكتسبات العمال والغاء حمايتهم من الظلم، والى الغاء أى فاعلية ولو محدودة للتنظيم النقابى، والى تشريد الملايين من المصريين وجعلهم بلا مأوى ؟أم سيعلن عن تقديم هذه القوانين الكارثة الى مجلس الشعب؟ أن رئيس الوزراء الذى ينفذ سياسة السلطة الحاكمة بدقة لم يعد يمتلك القدرة على المناورة ، لقد اصبحت الامور واضحة ، ولم يعد حكامنا يكترثون بمصلحة الوطن والشعب ومستقبلهما.

إن مقاومة سياسة السلطة الحاكمة هى الواجب الاسمى لكل الوطنيين، كما انها **مسئولية الاحزاب والقوى الوطنية والديمقراطية والتقدمية المصرية.**

إن نقطة البدء فى المقاومة هى التحرك الجماهيرى بالاضرابات والاعتصامات والتظاهر السلمى وجميع اساليب الاحتجاج المتاحة.

فالسلطة الحاكمة لم تترك لنا سبيلا آخر».

افرجوا عن صلاح عدلى

أصدرت لجنة الحريات بحزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى البيان التالى يوم الاحد ١٨ ديسمبر ١٩٩٤:

«تلقت لجنة الحريات بحزب التجمع الوطنى التقدمى معلومات تؤكد استمرار المعاملة غير الانسانية للمناضل الشيوعى **صلاح عدلى** فى محبسه بعنبر **التأديب** (١) بليمان طره ، بما فى ذلك استمرار حبسه فى زنزانة انفرادية غير صالحة للحياة الآدمية واغلاقها عليه طوال الليل والنهار ومصادرة الملابس والأغطية الخارجية ، رغم ان ادارة السجن لم توفر له غطاءا كافيا يعينه على مقاومة برد الشتاء. وتتم كل هذه الاجراءات بالمخالفة للائحة السجون والميثاق العالمى لحقوق الانسان والعهدين الدوليين.

وكانت هيئة الأمن القومى قد تقدمت ببلاغ الى نيابة أمن الدولة تتهم صلاح عدلى بالتخابر مع جهات أجنبية وتلقى أموالا منها بقصد الاضرار بالأمن القومى واستقرار البلاد. وقام أفراد من هيئة الأمن القومى بصحبة أحد رؤساء نيابة أمن الدولة العليا يوم الاربعاء ٣٠ نوفمبر ١٩٩٤ بتنفيذ قرار المحامى العام لنيابة أمن الدولة بضبطه واحضاره وتفتيش منزله . وقد اسفر التفتيش عن عدم وجود أى مضبوطات تفيد التحقيق.

وكشف التحقيق أمام نيابة أمن الدولة العليا والذى استمر حتى يوم الثلاثاء ١٣ ديسمبر ١٩٩٤ ، وبحضور المحامين الاساتذة **«نبيل الهلالى- سيد أبو زيد- عبد الله خليل- محمد الدماطى- عبير سيد اسحق»** وممثلى **المنظمة المصرية لحقوق الانسان ومركز المساعدة القانونية** ، عن عدم وجود أى دليل أو شبهة التخابر، وأن أجهزة الأمن بنت اتهامها الغريب ، على شروع **صلاح عدلى** بوصفه مديرا للمركز المصرى للتنمية والعمل الاجتماعى « تحت التأسيس» فى انشاء مركز شعبى للعلاج وعيادة طبية فى المعصرة ، واتفاقه مع **اللجنة اليونانية للتضامن الدولى الديمقراطى والسوق الاوروبية المشتركة** على المساهمة فى مصاريف التأسيس، وتلقيه بالفعل لمبلغ ١٩ ألف دولار تمثل مساهمة السوق الاوروبية المشتركة واللجنة اليونانية.

وتبين من التحقيق ان **صلاح عدلى** قام بالفعل بانفاق هذا المبلغ فى شراء الادوات الطبية الضرورية للمركز وتأسيس العيادة بالمعصرة.



صلاح عدلى

وقد ارسلت **منسقة المشروع فى اللجنة** اليونانية الدولية للتضامن الديمقراطى **بمجرد** نشر خبر القبض على **صلاح عدلى والاتهام** الموجه اليه رسالة عاجلة بالفاكس الى رئيس بعثة السوق الاوروبية المشتركة فى القاهرة **«السفير ماكجيفر»** يتضمن التقرير المقدم من اللجنة اليونانية ومنسق المشروع للسوق الاوروبية المشتركة والمتضمن الاتفاق على المساهمة فى تأسيس المركز بالمعصرة وشروطه ونسب المشاركة (٥٠٪ للسوق الاوروبية- ١٥٪ اللجنة اليونانية) . وجاء فى رسالة اللجنة اليونانية للتضامن أن منسقة المشروع التقت عند زياراتها للقاهرة لمتابعة مشروع المركز وبصحبة صلاح عدلى المنسق المصرى للمشروع بالسيد **«نيكولاس جاريجيى»** بمقر بعثة السوق الاوروبية المشتركة لمناقشة خطة المشروع .. «وقد تم تحويل مبلغ ١٩ الف دولار الى الشريك المصرى على حساب ببنك القاهرة . وللأسف فقد علمنا ان السيد **صلاح عدلى عبد الحفيظ قد القى القبض** عليه بحجة انه تلقى أموالا من منظمة يونانية لاغراض منافية للقانون. ونستطيع ان نؤكد ان هذه الاموال قد استخدمت لشراء الاجهزة حيث ارسلت لنا الفواتير من شريكنا، وقمت بتفقد الاجهزة عند زيارة العيادة».

وقد طالبت اللجنة اليونانية من سفير السوق الاوروبية المشتركة وضع الحقائق أمام جهات التحقيق.

ان **لجنة الحريات بحزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى**، تناشد هيئات التحقيق سرعة الانتهاء من تحقيقاتها لكى يسقط هذا الاتهام الباطل المعلق على رقبة واحد من اشرف وأخلص أبناء هذا الوطن ، ولنتأكد أن النيابة العامة الحريصة على حماية المجتمع وافراده ترفض اتهام الشرفاء، وتلفيق قضايا تمس الشرف والوطنية.

كما تطالبها بحماية **صلاح عدلى** فى محبسه ووقف هذه المعاملة غير الانسانية.

وتدعو منظمات الدفاع عن حقوق الانسان والمنظمات الديمقراطية ولجان الدفاع عن الحريات للتدخل لدى جهات الامن لوقف هذه المعاملة المنافية للدستور والقانون وحقوق الانسان التى يتعرض لها **صلاح عدلى** فى ليمان طره ، وسرعة الافراج عنه ليعود الى ممارسة دوره السياسى والديمقراطى دفاعا عن الوطن ».

أحزاب يسارية من ثلاث قارات تناقش أزمة النظام الدولى الجديد

حسين عبد الرازق

رسالة لارناكا

ما إن هبطت الطائرة فى مطار «لارناكا» مساء الجمعة ٩ ديسمبر ١٩٩٤، حتى وجدتنى أغرق فى مقارنة الوضع اليوم بما كان عليه عشية زيارتى السابقة لقبرص منذ ٢٧ عاما (فبراير ١٩٦٧). ولم تشغلنى طويلا الفروق الهائلة الحضارية بين قبرص اليوم وتلك التى رأيتها والطائرة تحلق فى السماء، أو السيارة تحملنى والصديق «د. الشفيع خيضر» عبر الطريق من المطار مرورا بمدينة لارناكا ثم الى الفندق الذى يقع على بعد عدة كيلو مترات من المدينة، ولكن ما شغلنى هو الفرق الهائل بين حال الوطن والامة والعالم فى بداية ١٩٦٧ (قبل العدوان والهزيمة والاحتلال فى يونيه ١٩٦٧ واتفاقات كامب ديفيد وحرب الخليج. وقبل اختفاء الاتحاد السوفيتى وانظمة اوروبا الشرقية) وحاله مع نهاية ١٩٩٤. كانت المقارنة مفزعة تدعو لليأس وتكاد تدفع للتخلى عن القليل من الآمال والاحلام التى ما زلنا نقبض عليها ونتمسك بها.

ولكن ما ان وصلت الى فندق «البوريفاج» ودلفت الى القاعة التى تعقد فيها «مناقشات المائدة المستديرة الدولية» -وكانت الجلسة الافتتاحية قد بدأت بالفعل-- ورأيت وجوه الرجال والنساء التى تجمعت حول «المائدة»، وبعضهم مألوف لدى والآخرون التقى بهم للمرة الأولى، حتى أحسست أننى قادر مرة أخرى على الإمساك بالحلم والأمل واستعادة روح التحدى من جديد. وتأكد لدى هذا الاحساس مع نهاية المناقشات التى استمرت طوال يومين ونصف يوم، وشارك فيها ٥٨ من قيادات وممثلى اثنين وعشرين حزبا شيوعيا وخمسة احزاب اشتراكية.

لم يكن مبعث هذا التفاؤل الحذر هو مجرد التقاء هذه الاحزاب معا لأول مرة منذ سنوات عديدة- وهو حدث ايجابى فى حد ذاته- وادعاء باتفاق رؤيتها حول كل القضايا المطروحة على بساط البحث، فالاختلاف فى التفسير والتحليل والتصور كان كبيرا، ولكن ما اسعدنى بحق هو تنوع الاجتهادات ومحاولة تأصيلها على أسس صحيحة، والشجاعة فى نقد الذات ونقد الآخرين، والحرص على عدم تجاهل الاختلافات ومحاولة التعرف على الآخر وفهمه، ومواجهة الواقع وحقائقه مهما كانت مُرة وقاسية .. ثم بحث الجميع عن برنامج للخروج من الازمة والتنسيق والعمل المشترك لمواجهة الامبريالية والنظام العالمى الجديد.

لقد طرحت العديد من القضايا الدولية والاقليمية والمحلية تحت عنوان الندوة، وهو «الحاجة الى عمل مشترك **للقوى اليسارية والتقدمية والوطنية لمواجهة الموقف الجديد**»، ومن الصعب تناولها جميعا فى هذه الرسالة.

ولذا سأكتفى بثلاث قضايا.

عالم جديد ... قديم

** القضية الأولى التى فرضت نفسها على أغلب المتحدثين، هى محاولة التوصل لملامح هذا «الموقف الجديد».

فماهر الشريف الذى مثل «**حزب الشعب الفلسطينى**» ركز على ظاهرة «**العولمة**» كظاهرة موضوعية، لم يعد بمقدور أى شعب من الشعوب أن ينأى عنها، واستفادة الولايات المتحدة من هذه الظاهرة. وانتهاء القطبية الثنائية التى ميزت الساحة الدولية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، لتحول «العولمة» الى سيطرة وهيمنة فى ظل «**النظام العالمى الجديد**» وفرض مفهوم ونموذج الحياة الامريكية على العالم كله، وابتداع عدو جديد يحل محل الشيوعية، وهو «**الجنوب**» وتحويل الصراع فى الساحة الى صراع بين الحضارة الغربية والشعوب الاخرى، وبعبارة أخرى بين الشمال المتقدم وتكتل دول السبع الصناعية الكبرى، فى مواجهة الجنوب. وتستخدم الولايات المتحدة فى ذلك السبيل العديد من الاسلحة، من بينها **صندوق النقد الدولى والبنك الدولى** لفرض سياسة الخصخصة وحرية التجارة بما يحقق مصالح الولايات المتحدة. كما تستغل مجلس الامن كغطاء لتنفيذ اهدافها، وكذلك غياب الديمقراطية وانتهاك حقوق الانسان فى بعض البلدان، وأكد أن الفوضى التى تعم عالم اليوم لا يمكن فهمها بمعزل عن التوجه الامريكى وانكسار المشروع الاشتراكى.

ويوضح «**ميهالرمار كوليفش**» -**الحزب الاشتراكى الصربى**- الطبيعة الخاصة



للاستعمار الامريكي في هذه المرحلة واعتماده على السيطرة الاقتصادية والسيطرة السياسية واحياء مشاعر التعصب القومي والديني والعنصرية والشوفينية وتشجيع الحركات الانفصالية لخلق كيانات صغيرة، كما حدث ويحدث في الاتحاد السوفيتي ويوغوسلافيا. ويشير «دزياديس ثوودروس» -الحزب الشيوعي اليوناني- للدور الخاص لألمانيا في البلقان.

ويضيف «ديمتري كريستوفياس» سكرتير الحزب التقدمي للشعب العامل» (أكيل) .. ان انهيار المجتمع الاشتراكي والاتحاد السوفيتي قد خلق نزاعاً اقتصادياً وسياسياً في شرق أوروبا والبلقان ومنطقة القوقاز وآسيا الوسطى.. وقد برزت المانيا (الموحدة) كقوة كبرى سياسية واقتصادية وعسكرية في وسط وشرق أوروبا ، ويبدو النفوذ الالماني واضحاً في جمهوريات البلطيق والمجر والتشيك والسلوفاك والنمسا وكرواتيا وسلوفينيا»..

وتلفت «سلفيا مايير» -الحزب الشيوعي الفرنسي- النظر الى قضية الامن والعسكرة خاصة في أوروبا .. «فبالرغم من اختفاء الاتحاد السوفيتي وحلف

*ماهر الشريف : لا يمكن فهم الفوضى التي تعم عالم اليوم بمعزل عن الهيمنة الامريكية وانكسار المشروع الاشتراكي.

ميهالومار كوفيتش:

الاستعمار الامريكي يعمل على احياء مشاعر التعصب القومي والديني والعنصرية وتشجيع الحركات الانفصالية لخلق كيانات صغيرة.

سلفيا مايير: ما ينفق على التسلح في عالم اليوم يوازي نصف دخل سكان الكرة الأرضية.

الشفيع خيضر: مطلوب جبهة واسعة بين قوى اليسار والوطنية والتقدم.

وارسو، والسيطرة الواضحة للولايات المتحدة ، يعاد تقوية حلف الاطلنطي ، كما لاحظنا في الحرب الدائرة في يوغوسلافيا السابقة، ولا نشهد في اوروبا اي اتجاه لإنهاء عسكرة المجتمع، على العكس فالانفاق على الاسلحة المتطورة في فرنسا يتزايد بصورة مضطردة، وتأسيس القوة الاوروبية مجرد خطوة أولى في اقامة دفاع مشترك طبقاً لمعاهدة «ماستريخت» ، وهناك تطورات جديدة في الاسلحة النووية وفي تجارة السلاح التي تنمو بصورة مضطردة » .وتحدد عناصر الخطر في النظام الدولي الجديد- بالاضافة لما سبق -في خطرين رئيسين:

-اختلاف درجات التطور والفجوة بين الشمال والجنوب وما تنتجه من صدام وتمرد وهجرة من اجل البقاء ، وتقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٤ يشير إلى أنه من بين كل خمسة هناك شخص يعاني من الجوع، ومن بين كل اربعة هناك شخص لا يجد المياه، ومن بين كل ثلاثة هناك شخص يعاني من البؤس، وفي نفس الوقت فإن ما ينفق على التسلح في العالم يوازي نصف دخل سكان الكرة الأرضية.

-أدت علاقات السيطرة الى بروز التعصب القومي و الديني ، كما نرى في

يوغوسلافيا السابقة والجزائر وحتى رواندا».

ويبدو ان العسكرة وتجارة السلاح لا تقف عند حدود اوروبا ، فأحمد الاسعد- **الحزب الشيوعي الاسرائيلي**- يشير الى بعض الدراسات التي تقول ان الاتفاق على التسلح في الشرق الأوسط منذ نهاية حرب الخليج وحتى الآن قد وصل الى ٨٨ مليار دولار.

ويرى «دزياديس ـ فردوروس» أن الامبريالية في اتجاها لاعادة ضبط التقسيم العالمي للانتاج الرأسمالي في اطار عملية «العولمة» والتي تتحكم فيها المؤسسات متعددة الجنسية، تتجاهل المصالح القومية للدول الصغيرة (الرأسمالية) ، ويقدم نموذجا لما يقوم به الاتحاد الاوروبي في اليونان- عبر مؤسساته التي أنشأها : معاهدة ماستريخت أو الكتاب الأبيض واتفاق شينجي وكذلك المؤسسات الامبريالية الاخرى مثل اتفاقية الجات- حيث يتم القضاء على الصناعة وتخفيض الإنتاج الزراعي وتحويل اليونان إلى بلد خدمات وتفرض خصخصة كل المؤسسات الضخمة التي كونها الشعب اليوناني خلال عشرات السنين من العمل الشاق والتضحيات».

وقد حاولت في بداية النقاش تلخيص أبرز ملامح عالم اليوم- كما نراها في **حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي** في خمس نقاط-:

١- انهيار وتفكك اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، وسقوط الانظمة التي كانت قائمة في أوروبا الشرقية ومترتبطة به.. وبالتالي اختفاء ما كنا نسميه بالمعسكر الاشتراكي.

٢- انتهاء الحرب الباردة والعالم الثنائي القطبية، وبروز قطب واحد تمثل في «**الولايات المتحدة الامريكية**» التي تسعى لفرض هيمنتها الاقتصادية والسياسية والفكرية على العالم، مستخدمة القوة العسكرية والاقتصاد والمؤسسات المالية والدولية ومجلس الامن لتحقيق هذا الهدف.

٣- هزيمة حركة التحرر الوطني العالمية والاستعمار الجديد والشركات متعددة الجنسية والصهيونية.

٤- دخول الاشتراكية كتطبيق وفكرة ونظرية في أزمة خطيرة.

٥- اندفاع موجة كاسحة شملت العالم كله تقريبا، تروج للرأسمالية والليبرالية الجديدة، وضرورة تخلي الدولة عن أي دور اقتصادي ، وعن دورها في توفير الخدمات والرعاية للطبقات الشعبية، وفرض الخصخصة ومنع الحماية للمنتجات الوطنية .. الخ.

ولقد انعكست هذه التطورات على الاحزاب اليسارية والتقدمية بصورة سلبية».



سلفيا
مايير

أزمة الاشتراكية

وقد تطرق عدد من المشاركين خلال تقييمهم للوضع الراهن الى محاولة لتفسير أسباب سقوط التجربة الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي وأزمة الماركسية.

فايفان مالينكوف- **الحزب الشيوعي للاتحاد الروسي**- وهو أكبر الاحزاب الشيوعية الستة الموجودة حاليا في روسيا ، والذي يمثل المعارضة الرئيسية في البرلمان الروسي، يرى أن سقوط النظام الاشتراكي في الاتحاد السوفيتي يعود الى الفروق الواسعة بين القمة والقاعدة داخل الحزب الشيوعي السوفيتي، وبين الحزب ككل وملايين الشيوعيين والمواطنين السوفيت، ثم سياسة البريسترويكا التي أدت الى تصفية الاشتراكية من الداخل .«أما **فلاديمير جاسيف**» - **حزب العمال الشيوعي** الروسي- فيرجع كل شئ الى «الخيانة» التي بدأت مع المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي في ظل «**نيكاتا خروتشوف**» .. وشعارات هذا المؤتمر المزيفة .. القضاء على سلطة الفرد- التعايش السلمي- هدم صورة **ستالين**».. واستمرت في عهد بريجنيف «خيانة الاشتراكية وادخال الرأسمالية، ثم جاء «جورجي» كما يسمى في الغرب في المؤتمر الطارئ التاسع عشر بالتفكير الجديد واقتصاد السوق **والبريسترويكا**» ، وبالطبع فقد كانت هذه الرؤية بعيدة كل البعد عن الاتجاه السائد في هذا اللقاء.

وتحدث «سامي خالد» **-الحزب الشيوعي العراقي**- حول الماركسية مؤكدا ان «الماركسية ما زالت قادرة -**كنظرية** ومنهج- على اعطاء اجابات شاملة على التحديات التي تواجهها البشرية في عالم اليوم، بينما الع « **الشفيع**» على أن بعض مقولات ماركس واضافات لينين تختلف عن متطلبات العصر، ولكن المنهج المادي الديالكتيكي يبقى ضرورة، والماركسية مرشداً وليس عقيدة ويضيف «**حسين عبد الرازق**» .. «سقوط هذه التجربة الاولى- الاتحاد السوفيتي- كشفت عن أزمة على المستوى الايديولوجي والفكري والنظري،

تواجه الاشتراكية العلمية والماركسية، والماركسية اللينية، ونحتاج الى شجاعة نقد أنفسنا وفكرنا لعلاج هذه الأزمة، أخذين في الاعتبار ان جهود تطوير الفكر الاشتراكي ونقده وتحديثه لم ينقطع طوال نصف قرن أو أكثر، ونمتلك اليوم حصيلة هائلة من أعمال جرامشي وتولياتي والتوسير ومفكري الشيوعية الاوروبية وغيرهم، يضاف اليها الدراسات الهامة التي كتبت وتكتب منذ سنوات في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية والعالم العربي، وما ينتجه الآن الشيوعيون في الدول التي كانت تكون فيما مضى الاتحاد السوفيتي، تجميعها زاد بساعد على استعادة الماركسية والاشتراكية لجوهرها القائم على رفض الجمود والقولبة، واعتماد النقد والتحليل العلمي والديالكتيك، ومواكبة التطورات والاكتشافات العلمية. ولعل اهم درس علينا ان نعيه ان الماركسية نظرية لم تكتمل ولن تكتمل ابدا فهي حية متجددة دائما، وان اقامة تناقض مفتعل بين الحقوق السياسية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية، بين الحرية والخبز، هو مقتل اي فكر وتجربة اشتراكية، وأن الديمقراطية وحقوق الانسان جميعا، هي نتاج لنضال البشرية، وخاصة الطبقات العاملة والاحزاب الاشتراكية في الغرب الرأسمالي. وبالتالي هي تراثنا ومستقبلنا».

برنامج ... للمستقبل

ومع أهمية هذه المناقشات وحيويتها، فأعتقد أن الجانب الذي يمثل اضافة جديدة، هو تطلع الاحزاب المشاركة الى محاولة التوصل الى اطار برنامجي للقوى الشعبية والاحزاب الشيوعية والتقدمية والوطنية لمواجهة هذا النظام الدولي الجديد القائم على الهيمنة والاستغلال...أو ما يسمى الآن الليبرالية الجديدة المتوحشة.

يقول **ماهر الشريف**«اذا كان اليسار بمفهومه هو الأقدر موضوعيا على بلورة مشروع الامل الجديد، فهناك شروط لابد من توافرها ليضطلع بالدور التاريخي المنوط به، فهناك ضرورة تجاوز أزمة الهوية التي يواجهها على المستويات الفكرية، واعادة الاعتبار لمعنى السياسة والعمل الجماعي، ولكل الممارسات التي تعطي للفرد صفة المواطنة ويحتاج اليسار الى موقف نقدي جرئ من ماضيه وتجربته، يتيح له فرصة الانتقال في مستوى الفكر، من الجمود والانغلاق الى الابداع والانفتاح، وضرورة اعادة النظر في العلاقة بين الطليعة والجماهير، والتحول من الاساليب المركزية الى الاساليب الديمقراطية وانهاء الفصل التعسفي بين مخططين ومنفذين.. وبالنسبة للخيار الاجتماعي البديل، يكفي في اللحظة الراهنة، ان يتجاوز كل ثغرات ونواقص نموذج الاشتراكية المطبقة ليحقق انتاجية اقتصادية عالية، عدالة اجتماعية حقيقية، وديمقراطية سياسية حقيقية آخذين في الاعتبار تعدد الاشكال والخصوصيات وعادات وتقاليد الشعوب والمناطق. ويطرح **فابيو سوريني- حزب اعادة بناء الشيوعية في ايطاليا**- سؤالين هامين..

«هل هناك امكانية لعمل مساومة مشتركة للوصول الى موقف عملي واحد بين الاحزاب والقوى التقدمية؟

إذا كانت الاجابة بنعم.. ما هي الوسائل لنضالنا المشترك؟

ويقدم عدداً من الاقتراحات للنضال المشترك حولها... مثل خلق نظام للأمن الاجتماعي يشمل أوروبا وروسيا ودول البحر الابيض المتوسط، ازالة القواعد العسكرية الاجنبية، ولكن أهم ما اثار «**سوريني**» هو دعوته للتفكير في تحرك وآلية شبيهة بما حدث في الخمسينات من جمع توقيعات على بيان ستوكهولم.. مقترحا تكوين مؤسسة أو لجنة أو مبادرة.. تشارك فيها الاحزاب والقوى التقدمية، تكون بمثابة مركز معلومات او ابحاث لتبادل الخبرة بين هذه الاحزاب والقوى.

ويؤكد الشفيع خيضر انه في مواجهة القطب الامبريالي لم يعد ممكنا، الحديث عن تحالف الدول الاشتراكية وحركة الطبقة العاملة في الدول الرأسمالية وحركة التحرر الوطني.. «فالمطلوب صيغة أخرى وجبهة أوسع اساسها حركة الشعوب. عمل مشترك بين قوى اليسار والقوى الوطنية والتقدمية».

وتقترح «**سيلفيا مايير**» برنامجا يشمل «التوصل الى الاتفاق على الغاء التجارب النووية شاملة التجارب العملية ومنع


ماهر الشريف



التسلح النووي، وأسلحة الدمار الشامل.. حل حلف الاطلنطي ووقف العسكرة .. معارضة نظرية «كول- بالادير- جاك ديلور» التي تستبعد عدداً من دول أوروبا من المشاركة في اتخاذ القرارات الهامة في التجارة والسياسة والامن وإعادة بناء مؤسسات ديمقراطية لاوروبا الموحدة ... وعلاج حقيقي لمشاكل الديون والتجارة الدولية والقضايا الاجتماعية» ، وأشارت الى اقتراح «جيمس توبين» الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد بفرض ضريبة ٥ر٪ على كل الصفقات التجارية ، وسيتم تحصيل ١٥٠٠ مليار دولار سنويا من هذه الضريبة ويقترح «أوسكار ارياس» الحائز ايضا على جائزة نوبل تكوين صندوق توضع فيه المبالغ الناتجة عن تخفيض ميزانيات التسلح تستخدم في دعم الدول على تحويل الصناعات العسكرية الى صناعات مدنية واعادة توظيف العاملين في المجال العسكري وتأهيلهم ويقدر الاجمالي المتراكم من تخفيض الميزانيات العسكرية منذ عام ١٩٨٧ حتى الان بحوالي ٥٠٠ مليار دولار.

ويضيف «كريستاكيس بارتاسيدس» ..نحتاج لنظرية محددة لتحقيق العدالة الاجتماعية وترسيخ الديمقراطية وازالة آفة البطالة ، والغاء النظام الطبقي الرأسمالي ، وازالة المجاعة عن دول الجنوب ، وتخفيف الهوة بين الشمال والجنوب، ومحاربة التطرف القومي والمحافظة على القيم الاخلاقية».

وتتوالى الافكار والاقتراحات مع التركيز على أهمية تواصل اللقاءات والاتصالات ، والحاح على فكرة وجود مركز اتصال وهو الاقتراح الذي طرح من جانب الايطاليين واليونانيين والقبارصة.

وبالطبع فلم تكن هذه هي كل القضايا التي أثيرت في هذه المائدة المستديرة ،فقد حظيت قضية البوسنة ويوغوسلافيا السابقة باهتمام كبير ، كذلك القضية القبرصية التي خصصت لها جلسة خاصة ، وتناول أكثر من متحدث القضايا العربية ومشروعات التسوية واسرائيل والصهيونية والقضية الفلسطينية والسوق الشرق أوسطية ، وتستحق الافكار التي أثيرت حول هذه الموضوعات تناولا مستقلا في مرة أخرى.

الأحزاب التي شاركت في المائدة المستديرة

أوروبا الغربية

قبرص: حزب أكيل
حزب إديك
حزب اديسوك
فرنسا: الحزب الشيوعي الفرنسي
ايطاليا: حزب اعادة بناء الشيوعية
البرتغال: الحزب الشيوعي البرتغالي
اليونان: الحزب الشيوعي اليوناني

أوروبا الشرقية

أرمينيا: الحزب الشيوعي الارميني
روسيا: الحزب الشيوعي للاتحاد الروسي
حزب العمال الشيوعي الروسي
يوغوسلافيا (السابقة) الحزب الاشتراكي الصربي
رابطة اتحاد الشيوعيين اليوغوسلاف.

الوطن اعربي

البحرين : لجنة التنسيق بين جبهة التحرير الوطني والجبهة الشعبية في البحرين
مصر: حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي
العراق: الحزب الشيوعي العراقي
الاردن: الحزب الشيوعي الاردني
فلسطين: حزب الشعب الفلسطيني
الحزب الشيوعي الفلسطيني
الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين
السودان: الحزب الشيوعي السوداني
سوريا: الحزب الشيوعي السوري
الحزب الشيوعي السوري
حزب البعث العربي الاشتراكي

الشرق الأوسط

اسرائيل: الحزب الشيوعي الاسرائيلي
ايران: حزب توده.
تركيا: حزب العمال الكردستاني

مصر

الإدارة المصرية هل تستطيع مقاومة الضغوط الأمريكية

أمينة النقاش

سواء صدقت تصريحات المسئولين المصريين والأمريكيين ، بشأن عدم وجود أزمة، فى العلاقات المصرية الأمريكية، أو لم تصدق ، فإن الشئ المؤكد، أن ثمة تغييرات فى النظرة الأمريكية، للدور المصرى فى المنطقة ، على ضوء التطورات التى لحقت بقضية تسوية الصراع العربى الاسرائيلى، التى تلعب فيها واشنطن-بعد انهيار الاتحاد السوفيتى، واختفاء المعسكر الاشتراكى، والكارثة القومية الشاملة التى حلت ، بعد الغزو العراقى للكويت- الدور الرئيسى خاصة بعد ترقيع إتفاق «أوسلو» بين الفلسطينيين والاسرائيليين، الذى انتهى بإقامة سلطة وطنية فلسطينية هشة فى غزة وأريحا ، وإبرام المعاهدة الأردنية الاسرائيلية ، التى أسفرت عن علاقات دبلوماسية واقتصادية كاملة بين البلدين ، فضلا عن تسارع خطوات التطبيع بين اسرائيل ودول الخليج العربى والمغرب العربى فى آن واحد.

فمع طى صفحة«مدريد» ، وفتح باب التسابق العربى للأنضواء تحت المظلة الامريكية، وعقد معاهدات سلام منفردة مع اسرائيل، وتطبيع العلاقات معها ، يصبح من قبيل التبسيط قراءة الهجوم ، الذى شنته بعض الصحف الامريكية، ذات الصلة بدوائر صنع القرار فى واشنطن ، على الادارة المصرية قبل شهرين ، باعتبارها أزمة عابرة ، كما تصبح امكانية الحفاظ على صداقة بين القاهرة وواشنطن، مع احتفاظ الأولى، بحق الخلاف أحيانا مع الثانية دون ان تفقد مساعداتها المالية احتمالا مشكوكا فيه، فى ظل شروط التحالف المصرى الأمريكى القائم ، فى المجالين السياسى والاقتصادى.

التصحيح الجزئى

ومنذ الأيام الأولى لتوليه السلطة فى أكتوبر عام ١٩٨١ ، كان الرئيس «**حسنى مبارك**» يبدى اتجاها للتميز عن سلفه «**أنور السادات**» فى بعض الظواهر، التى لم تكن تمس جوهر سياساته، كما كان يسعى لأحداث ، نوع من الموازنة فى علاقات مصر الدولية ، ولتصويب جزئى للعلاقات المصرية الأمريكية بحيث تبدو السياسة المصرية ، مستقلة نسبيا عن الولايات المتحدة الأمريكية ، لكن الاحداث تطورت بعد ذلك بشكل مضاد لتلك المساعى والمحاولات.

فمع بداية توليه السلطة، أعلن **الرئيس حسنى مبارك** عن التدهور **الشامل فى** الأوضاع الداخلية، كما أعترف للمرة الأولى- على عكس سلفه- بأوضاع مصر الاقتصادية المنهارة، او بدا واضحا ، «**أن الازمة الاقتصادية**» هى التى تقود سياسات الرئيس مبارك الداخلية والخارجية.

وفى هذا السياق، اختارت الادارة المصرية ، سياسة الاعتماد الكلى ، على الولايات المتحدة الامريكية، لحل مشاكل كل الفوضى الاقتصادية التى خلقتها سياسة الانفتاح الاقتصادى، وتعددت زيارات الرئيس**حسنى مبارك** ، بشكل شبه سنوى، مع اقتراب موعد مناقشة الكونجرس الامريكى، لبرنامج المعونات الخارجية، وأصبح البند الثابت فى كل المباحثات المصرية الأمريكية، **تأجيل اقساط فوائد الديون المصرية** لواشنطن، أو حثها على التنازل عنه، أو تحويلها لمنحة لا ترد، فضلا عن زيادة المعونات الاقتصادية الامريكية، ومنح الحكومة المصرية حرية أكبر ، فى استخدام تلك المعونات وفقا لاحتياجاتها الداخلية.



حسنى مبارك

وكان الاغراء الذى تقدمه ادارة الرئيس مبارك لواشنطن **هو قدرة مصر على تشجيع الاطراف العربية ،على الانضمام الى مسيرة التسوية السلمية** ، التى تكفل حفظ الاستقرار فى الشرق الاوسط ، وابعاد أى مخاطر تهدد أمن اسرائيل نفسها ، التى تضطلع- وفقا للاتفاق الاستراتيجى بينها وبين الولايات المتحدة-

بالدور الرئيسى فى صيانة المصالح الامريكية فى المنطقة. كما ان جذب بقية الاطراف العربية، لمظلة التسوية ، من شأنه حماية تلك المصالح سواء تلك الخاصة بأمن اسرائيل، أو الاخرى المتعلقة، باستمرار تدفق البترول من منطقة الخليج للولايات المتحدة وللدول الغربية ، دون تعرض هذه المصالح لأية اهتزازات محتملة.

وفى هذا السياق، قدمت القاهرة نفسها لواشنطن، بصفتها وسيطا بين الفلسطينيين، والاسرائيليين ، وبين الفلسطينيين والامريكيين ، انطلاقا من ان هذا الدور من المفترض ان يشجع واشنطن على تقديم المساعدات لمصر لحل ازمتها الاقتصادية باعتبارها -مصدر عامل الثبات والاستقرار فى المنطقة التى تعد حيوية كما تقول الولايات المتحدة الامريكية بأنه أمنها .

الشروط الامريكية

لكن هذا الدور الذى ساقته ادارة الرئيس مبارك لواشنطن ، كمبرر لعلاقات خاصة بين البلدين، اصطدم دوما ، بشروط امريكية سواء فى جانبه المتعلق بالمساعدات الاقتصادية، أو فى جانبه الاخر المتعلق بقضية التسوية السلمية فى المنطقة.

ففى القضية الأولى ادركت الادارة الامريكية بخبرتها ، ان استجابة **القاهرة لسياساتها دون قيد أو شرط، مرهونة بوضع الاقتصاد المصرى فى حالة احتياج دائم لمعونتها** وليس المساعدة على تخليص هذا الاقتصاد من ازماته.

وفى مجال قضية التسوية رفضت الادارة الامريكية فى كل العهود وبشكل خاص منذ **ريجان** مرورا **ببوش** وانتهاء **بكلينتون** ، اعتماد اي مشروع لا تستجيب له اسرائيل، أو اتخاذ أى قرار لا يحظى بموافقتها ، كما رفضت ممارسة اي ضغط على اسرائيل لدفعها للقبول بالحد الادنى بشروط التسوية المقبولة عربيا. كما **ربطت بين تقديم المعونات المدنية والعسكرية لمصر ، وبين قيام مصر بممارسة ضغوط على الفلسطينيين والسوريين للقبول بشروط التسوية الاسرائيلية**،وبطريقة ادارتها عبر المفاوضات المباشرة المنفردة، وهو ما تم بالفعل فى اتفاق غزة أريحا ، الذى اعترفت القيادات الفلسطينية والاسرائيلية بالدور المصرى فى إتمامه،. وما يزال يتعثر على المسار السورى الاسرائيلى، لرفض سوريا الاذعان للضغوط التى كان آخرها، تصويت واشنطن ضد قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بدعوة اسرائيل للانسحاب من الجولان واعتبار ضمها اليها قرارا باطلا لكى تحذو حذو الفلسطينيين ، وتقبل بحل مشكلة الجولان على مراحل، وتمسكها بتسوية تقوم على انسحاب اسرائيلى شامل من الجولان ، مقابل سلام شامل مع اسرائيل، ورفضها للمبدأ الاسرائيلى السلام مقابل السلام.

وفى هذا الاطار، لم تعد اسرائيل الحليف الاستراتيجى للولايات المتحدة هى الطرف الذى يملك بيده مقاليد القبول أو الرفض فى قضية التسوية فحسب، بل فى قضية المساعدة على حل مشاكل مصر الاقتصادية ، فقد رفضت الادارة الامريكية منذ تولى الرئيس مبارك السلطة، الفصل بين تقديم المساعدات الاقتصادية أو بحث زيادتها او ارجاء او الغائها ، وبين قضية العلاقات المصرية الاسرائيلية ومدى تطورها ، والاسراع بخطوات التطبيع العلنى بين القاهرة وتل ابيب، وظل **تحفظ الرئيس «مبارك»** على القيام بنفسه بزيارة اسرائيل- برغم تعدد زيارات كبار المسئولين المصريين اليها- موضعا لضيق الادارة الامريكية او لضيق اسرائيل بالطبع، التى اعلن مسئولوها ان احد أهم اسباب زيارة رئيسها**عزرا فايتسمان»** الأخيرة للقاهرة ، هو دفع الرئيس مبارك لتحديد موعد زيارته لاسرائيل، كما لم تخف اسرائيل انزعاجها الدائم من حالة الفتور فى العلاقات المصرية الاسرائيلية ، ووصف مسئولوها مصطلح السلام البارد بين البلدين، كما احتجوا مرارا علي احجام النقابات والاتحادات الجماهيرية على تطبيع العلاقات معها .

الوسيط غير مقبول

لم تقبل واشنطن بدور الوسيط الذى رسمته السياسة المصرية ، فى عهد الرئيس مبارك لنفسها، **وأخذت تصر فى كل مناسبة ، على أن تقدم الادارة المصرية الأدلة على التزامها بالدفاع عن السياسة الامريكية فى المنطقة ، ودعم اولويات تلك السياسة،** ولم تكتف الادارة الامريكية بذلك، بل وجهت ضربة للادارة المصرية فى أكتوبر عام ١٩٨٥، فى أعقاب الغارة الاسرائيلية الامريكية ، على مقر منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس، حين **قامت الطائرات الحربية الامريكية، بخطف الطائرة المصرية المدنية، التى كانت تقل الفلسطينيين الأربعة، مختطفى السفينة الايطالية» أكيلى لاورو»،** وأجبارها على الهبوط فى قاعدة عسكرية امريكية فى صقلية ، وبعد ان عرفت واشنطن اتجاه الطائرة ، عبر اجهزة التصنت التى تم زرعها بواسطة المخابرات الامريكية فى مكتب الرئيس مبارك، وهو ما اعترف به مدير السى. أى . إيه للكاتب الامريكى «بوب ودورد» ونشره الأخير فى كتابه الحجاب.

وكان الهدف الأول لهذا التدخل الفظ فى الشئون الداخلية المصرية ، هو اثبات انه لا طريق آخر للعلاقة بين القاهرة وواشنطن، سوى الامتثال التام للادارة الامريكية.

وجاء التطبيق العملى، لهذا الشكل من العلاقة ، بعد أقل من شهر من حادث اختطاف الطائرة المصرية . وفى أواخر نوفمبر عام ١٩٨٥ ، قامت مجموعة باختطاف طائرة الركاب المصرية، التى كانت قادمة من أثينا إلى القاهرة، وأجبرتها على الهبوط فى مطار فاليتا بمالطة ، حيث طالب مختطفوها بالافراج عن الجندى المصرى «سليمان خاطر» الذى قام عشية الغارة الاسرائيلية على مقر المنظمة فى تونس، بإطلاق النار على سبعة اسرائيليين، رفضوا الامتثال لأوامره، بعدم إجتياز خط الحدود بين مصر واسرائيل، وقد امتثلت الادارة المصرية ، للتوجيه الامريكى ، حيث قبلت بقيام قوة من الصاعقة المصرية باقتحام الطائرة، تحت دعوى مقاومة ما تسميه الادارة الامريكية بالارهاب الدولى. وأنتهى هذا الاقتحام بمجزرة ، أزهقت أرواح ٥٩ راكبا من المدنيين والعسكريين المصريين.

شروط متعسفة

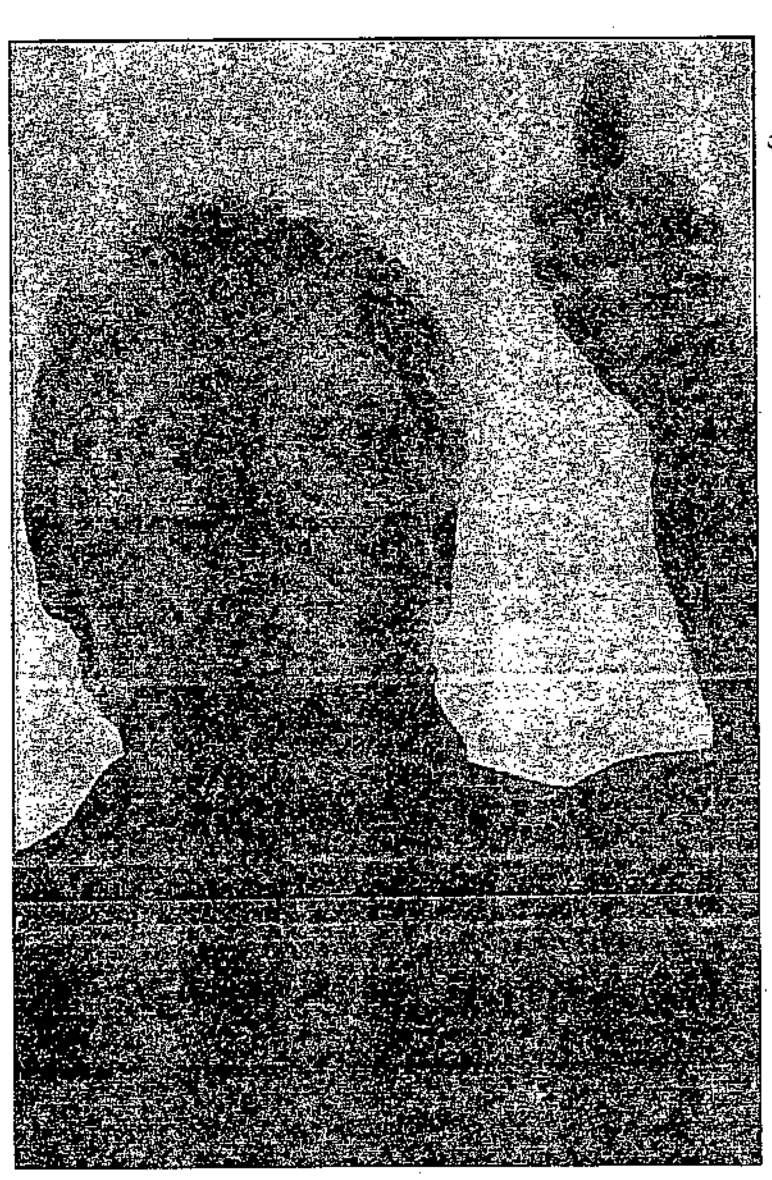
دشن عقد الثمانينات مصر، كجزء من الاستراتيجية الامريكية فى المنطقة ، بعد ان تم عزلها عن دورها القيادى لحركة التحرر العربى، عقب توقيعها صلحا منفردا- برعاية امريكية- مع اسرائيل، وبعد ان أوضعفت قدراتها على التوجه نحو تنمية مواردها الذاتية وقبولها- بضغوط أمريكية- الشروط المتعسفة لصندوق النقد والبنك الدوليين، التى تضمنتها برامج اعادة الهيكلية التى أدت الى ازدياد اعتماد الاقتصاد المصرى على مصادر دخل متغيرة كالسياحة وقناة السويس ، والمعونة الامريكية، التى استمرت بوتيرة ثابتة منذ عام ١٩٧٨، بواقع ٢٫٣ مليار دولار سنويا، كمكافأة للحكومة المصرية، على توقيعها**اتفاق كامب ديفيد** مع اسرائيل، ولم يكن هناك أدنى شك ان هناك عائدا سياسيا امريكيا من وراء هذه المكافأة المالية، وقد عبر عن ذلك صراحة، تقرير للوكالة الامريكية للتنمية الدولية قدم للكونجرس الامريكى عام ١٩٨٥ جاء فيه«أن **برنامج المعونة الامريكية، قد ساعد على خدمة المصالح الامريكية، فقد استمر التزام مصر بالسلام مع اسرائيل، وبعملية السلام فى المنطقة ، كما استمرت مصر فى مساندة مصالح العالم الحر فى الشرق الأوسط ، والقرن الأفريقى**.

وحددت الولايات المتحدة مصالحها فى المنطقة، باستمرار فرض هيمنتها على مواردها النفطية، والحفاظ على أمن اسرائيل، والسعى لانشاء حلف عسكرى مع الدول العربية المعتدلة تحت قياداتها، لدمج اسرائيل فى المنطقة، وانهاء المقاطعة العربية لها، وفتح الاسواق العربية أمامها ، واخراس الاصوات المعارضة فى حركة التحرر الوطنى العربية.

ولعبت العلاقات المصرية -الامريكية التى قامت علي ارتباطات اقتصادية، وترتيبات عسكرية -المناورات العسكرية المشتركة التى سميت بالنجم الساطع والتى بدأت منذ عام ١٩٨٠وأستمرت حتى الآن--وعلاقات سياسية ، دورا هاما فى تسهيل تمرير هذه الاستراتيجية الامريكية، وأفتتح الموقف المصرى من الغزو العراقى للكويت، عقد التسعينات بتدشين هذه الاستراتيجية حين دفعت المغامرة العسكرية العراقية السياسية المصرية دفعا، لأن تكون طرفا فى الحلف الامريكى الغربى الذى حرر الكويت، وأن تكون غطاء لقمة القاهرة العربية، التى منحت المآزرة لانفراد الولايات المتحدة بادارة الازمة والتحكم فى مسارها ونتائجها ، كما منحت الشرعية للتدفق العسكرى الامريكى والغربى لمنطقة الخليج. وهو ما انتهى بكافأة مصر بالغاء ١ر٧مليار دولار من ديونها العسكرية لأمريكا ،وهو ما يعادل ١٣٪ من ديونها الخارجية.

لم تدرك الادارة المصرية ، مدى الخلل الذى أصاب سياستها الرامية الى تزعم العالم العربى، وتسويقه لواشنطن، ولم تأخذ بجدية كافية اعتبار أن مصر التى غابت عن العرب عشر سنوات، هى غير مصر التى عادت إليهم. وانه قد تمت فى فترة غيابها مراكز قوة عسكرية-كما حدث فى العراق- ومراكز قوة مالية- كما حصل فى الدول الخليجية والسعودية- **وأن هناك خلافات حقيقية فى المصالح بين تلك القوى القطرية، التى تسعى الى وراثة موقع مصر فى المنطقة ، بعد أن تخلت عن دورها كقائدة لحركة التحرر الوطنى العربية.** كما انها لم تدرك ان وحدة الصف العربى-التى كثر الحديث عنها بعد عودة مصر للعرب- كانت نوعا من الوحدة الهشة الملبئة بالشقوب والتناقضات ، وأن جزءا من هذه الوحدة، لم يكن فى الواقع سوى مناورات سياسية، لا تسعى بالضرورة الى تحقيق الاهداف المصرية، بل تقتصر على أهداف الاخرين. ومن ذلك انشاء **مجلس التعاون العربى**-الذى تزعمت العراق الدعوة له- فى مراجهة **مجلس التعاون الخليجى** ، الذى انشئ على مشارف الحرب العراقية الايرانية،مستثنيا العراق من الانضمام اليه، ومنها ايضا ان عودة مصر للقمة العربية، ثم عودتها للجامعة العربية ، قد تمت جميعها فى سياق المناورات السياسية بين الاقطار العربية ، وفى غمرة غبطتها من نجاحها فى جذب العرب الآخرين الى مواقعها، وقبولهم بشروعها ، تغافلت السياسة المصرية، أن توجهها لتسويق الامة العربية لواشنطن- بدلا من تقويتها لتكون محلا لاعتبار الولايات المتحدة وغيرها، لم يتمكن من مواجهة المشاكل الحقيقية للأقطار العربية، كما فشل فى لعب دور فى تحقيق توزيع عادل أو حتى توجيه رشيد لثروات البترول العربية، لتنمية الاقطار العربية الفقيرة ، خاصة تلك التى تحملت اعباء المواجهة مع اسرائيل، بدلا من استثمارها فى البنوك الامريكية والغربية ، ثم من بعد ذلك تبديدها فى الانفاق العسكرى على القوات الامريكية التى تحتل بنفسها الآن منابع النفط العربى.

وكان من الطبيعى أن تسفر سياسة تسويق الامة العربية لواشنطن، عن**إضعاف مصر واضعاف الاطراف العربية**.ولم يكن مفاجئا فى ظل هذه الأوضاع، أن **تقود السعودية والكويت سياسة إفشال التحرك المصرى، للمساهمة العربية فى حماية امن الخليج، عبر دول**



كلينتون

اعلان دمشق، ولم يكن مفاجئا ايضا عرقلة تنفيذ الشق الاقتصادى من هذا الإعلان، للتخفيف من آثار الازمة الاقتصادية ، التى تحملت مصر أعباءها ، بعد ان اسفرت ازمة الخليج الثانية، عن نقص عائدات مصر من العملة الصعبة بنحو ١٫٥ مليار دولار من ضرب موسم السياحة المصرى، ونقص العائد من دخل قناة السويس، وعودة العمالة المصرية من العراق والكويت، لإضعاف مصر وزوال دورها، واخراجها من المعادلة **المشرقية ، لم يعد الآن هدفا امريكيا اسرائيليا فحسب، بل هدفا خليجيا أيضا.**

تصادم المصالح

ربطت الادارة الامريكية دوما بين تدفق معوناتها المالية لمصر ، وبين تنفيذ مطالبها على الصعيدين الاقتصادي والسياسى دون أية مراعاة للاحتياجات المصرية، فلم تأخذ واشنطن فى اعتبارها ادراك مصر لأهمية العلاقات المصرية الليبية للاقتصاد المصرى، ولمخاطر استمرار الحصار المفروض على دولة ، على حدودها الغربية، ورفضت الادارة الامريكية مطلب الرئيس مبارك اثناء زيارته لواشنطن -ابريل ١٩٩٣- بارجاء استصدار عقوبات جديدة ضد ليبيا ، وأصرت على تصعيد العقوبات ضدها لتشمل فضلا عن الحصار الجوى، حظر تصدير معدات البترول اليها وتجميد اموالها ، وبدا غريبا فى هذه الزيارة تحديدا ، ان تتصاعد النغمة الامريكية حول أهمية الدور العربى والاقليمى لمصر ، الذى تم تجاهله تماما فى الزيارة السابقة عليها التى حولت فيها اجهزة الاعلام الامريكية «الشيخ عمر عبد الرحمن» إلى ند للرئيس مبارك تحاوره حول سياساته وتجرى معه الاحاديث حول برنامجه اذا ما تولى السلطة ، لكن الدهشة سرعان ما تزول، اذا ما كانت الازمة الصومالية هى السبب، فبعد المواجهة الدامية للقوات الامريكية فى الصومال ، وتحول التدخل الأمريكى من مهمة انسانية «لاستعادة الامل» الى كارثة شاملة، يموت فيها الجنود الامريكيون وتسقط الطائرات ، فقد سعت ادارة «كلينتون» -تحت وطأة ضغط الرأى العام ، والمؤسسات الامريكية- للبحث عن مخرج عربى او افريقى من ورطة الصومال، يحفظ لها ماء وجهها ، ويحول دون تصوير تدخلها بالفشل الذريع والنهائى ، فتلقت إدارة الرئيس مبارك ، **بمبدأ قبول إرسال قوات** مصرية لتحل محل القوات الامريكية والفرنسية المنسحبة من الصومال، لتخرج واشنطن من ورطتها ، مقابل تعهد الاخيرة باستمرار المساعدات المدنية والعسكرية لمصر، لاستكمال برامج الاصلاح الاقتصادى ، ومعالجة الاوضاع التى تؤدى الى تنامى ظاهرة الارهاب ، ومحاصرة اشكال القلاقل الاجتماعية المترتبة من المتضررين من برامج «اعادة الهيكلة» بما قد يؤثر على استقرار الحكم.

مهدا الهرولة لاسرائيل

دخلت العلاقات المصرية الامريكية منعطفا جديدا ، فى أعقاب الهزيمة القومية الكاسحة، التى خلفتها المغامرة العراقية بغزو الكويت، والتى انتهت بتدمير القوة العسكرية والاقتصادية العراقية. وعلى انقاض تلك الهزيمة تسارعت الهرولة العربية لتطبيع العلاقات مع اسرائيل ، وتكرست المطالب الخليجية بالاكتفاء بالحماية الامريكية فى مواجهة اطماع الجيران وطموح الاشقاء العرب، وأنجزت المصالحة التاريخية بين الاسرائيليين والفلسطينيين وبينهم وبين الاردنيين، وبهذه **التطورات فقد «دور الوسيط» بين العرب والاسرائيليين الذى رسمته السياسة المصرية لنفسها أهميته، وافتقدت المساندة المالية لمصر، أحد أهم ذرائعها.**

ومنذ تولى «بيل كلينتون» الرئاسة الامريكية ، اتخذت ادارته قرارا بتخفيض المساعدات الامريكية الخارجية فى سياق البرنامج الاقتصادى الجديد، الذى تقدم به للكونجرس الامريكى ، وهو ما يعنى خفض المعونات الاقتصادية والعسكرية ، التى تحصل عليها مصر على هيئة منح لا ترد تمهيدا لالغائها نهائيا بحلول عام ١٩٩٦ ، وهو الاتجاه الذى اخذ دعما اضافيا ، بفوز الجمهوريين بالاغلبية فى الكونجرس الامريكى، وتولى قياداتهم ذات التوجه المعارض لسياسة المعونة الامريكية و«المساندة بحرارة لاسرائيل» للمواقع الرئيسية به.

وعلى ضوء الاهداف الجديدة، التى تشكلت للسياسة الامريكية فى المنطقة ، التى تقوم على تنصيب اسرائيل القوة العظمى بها ، او محاصرة القوة الايرانية الصاعدة على أنقاض الانهيار العراقى ، يتم فهم الضيق الامريكى، من تململ السياسة المصرية من الالتزامات التى تمليها تلك السياسة الجديدة، ومن سعيها للحد من **الضغوط الامريكية المفروضة عليها للاستجابة . للطلب الاسرائيلى بخفض حجم القوات المسلحة المصرية، والتوقف عن مساندة الموقف الليبى للتوصل لحل عادل لقضية لوكربى ، والتمسك بالدعوة لمنطقة الشرق الاوسط خالية من اسلحة الدمار الشامل، وارجاء قضية السوق الشرق اوسطية لحين إتمام تسوية تضمن جلاء اسرائيل الشامل عن الجولان وجنوب لبنان،و سعى الحكومة المصرية للحد من ضغوط صندوق النقد الدولى للاسراع في برامج الخصخصة وبيع القطاع العام وتخفيض قيمة الجنيه.**

وفي هذا الاطار يتم فهم خطورة السياسة المصرية، للتوجه الى الانضمام لاتحاد دول المغرب العربى، التى تحمل فى احد اوجهها ، اقرارا بالمسعى الامريكى، لتغييب الدور المصرى عن المشرق العربى!

وبرغم تأكيدات ادارة الرئيس مبارك فى أكثر من مناسبة ، انها ليست دولة تابعة للولايات المتحدة ، وانها لن تقبل الضغوط التى تمارس عليها لدفعها للقبول بسياسات تتعارض مع مصالحها ، برغم ذلك فإن حرية القرار السياسى المصرى هى أعقد من أن يتم تناولها بخطاب سياسى متشدد ، مفعم بالأمنيات الطيبة.

والسؤال الذى يصبح مشروعا على ضوء الحقائق السابقة،**هل حقا تستطيع الادارة المصرية اذا ارادت ، مقاومة الضغوط الامريكية ، التى قادت الى اعتماد الاقتصاد المصرى بشكل كلى على واشنطن للحصول على القمح، وتوفير المواد الغذائية الاساسية ، وعلى المنح والمعونات والقروض لسد العجز فى ميزان مدفوعاته ، وعلى المعونات لتسليح الجيش ، وعلى اطلاق حرية الاستثمارات الاجنبية بلا ضوابط لتحقيق نمو به . واعتماد الدخل القومى المصرى على موارد غير ثابتة كالسياحة وتحويلات المصريين العاملين فى الخارج وموارد قناة السويس مما أعطى للولايات المتحدة الامريكية ، موقعا هاما للنفوذ فى صناعة القرار الاقتصادى والسياسى المصرى!**

وهل مقاومة الضغوط الخارجية ميسورة بدون استعادة السيطرة على قيادة الاقتصاد الوطنى، وتحقيق المواءمة بين حق المكسب الخاص وحقوق المنفعة العامة، بما ييسر حياة الفئات الاجتماعية الفقيرة، التى تشكل غالبية الشعب المصرى؟!

في معركة مينا البصل
السادات الكلاسيكي ضد السادات الحداثي
اليسار .. أو الخراب

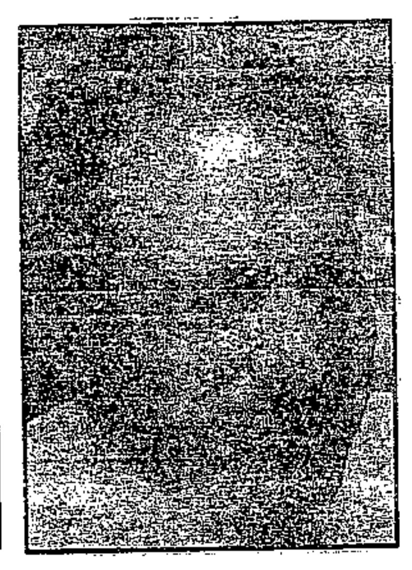
تحتاج تلك اللحظة الفائقة الرمزية الى ان نتوقف عندها ، انها اللحظة التى اعلن فيها **الحاج رشاد عثمان** ، نجم الاقتصاد الساداتي والثقافة الساداتية ، ترشيح نفسه فى انتخابات دائرة مينا البصل بالاسكندرية، لملء المقعد الذى خلا ، بوفاة **العضو محمود قاسم** ابن عم الحاج رشاد ، وبعد ان كان رشاد قد استصدر حكماً من محكمة القيم، برد اعتباره ، فى حدود ما يعيد اليه حقوقه السياسية فقط، والتى كانت سلبت منه مع أحكام فرض الحراسة ومصادرة أمواله واموال زوجته وابنائه . يذكر ان احكام الحراسة والمصادرة ، لا تسقط ولا تقبل الطعن فيها ، غير ان الحاج حاول ابهام الناس، ان رد الاعتبار شامل ، وانه يزيل العكارة من اللبن.

لحظة فريدة، توفر على نحو غير مسبوق ربما منذ ١٩٥٢ بالذات، أرضية لتحدد صارم الملامح بين اليمين واليسار ، يكاد المرء من الشعور بثقل تبعاته، ان يقول :ليته تأخر ولو قليلا لنتعم بعض الشئ بما نعيشه من تميع رغم سوء الحال والمآل.

اذن ما شأن مينا البصل باليمين واليسار والفريد والمحدد؟ من واقع معايشة ميدانية سريعة للمعركة الانتخابية ، ومتابعة يمكن ان نتحدث عن الأرضية التى تجرى عليها ،وعن **رشاد عثمان** ومنافسه من الحزب الوطنى (أيضا) «تم فصله منذ ايام». سعيد عهده، رئيس شركة باتا، وعن منافسهما اليسارى اسماعيل سليمان ، عضو اللجنة المركزية لحزب التجمع والموظف بشركة الشرق للتأمين ، والذى رشح نفسه كمستقل، وما يحيط بكل ذلك من تفريقات ودلالات ، مع تجنب تضييع الوقت فى الحديث عن المرشحين الاربعة الآخرين ، ومنهم واحد وطنى واثنان من حزب الاحرار والرابع مستقل ، لأن نزولهم له علاقة بالتفتيت التصويتى أو ..



رشاد عثمان



الساخنة وشهورها

تجئ المعركة الانتخابية السكندرية قبل عشرة شهور فقط، من موعد الانتخابات البرلمانية العامة ، وقد تذكرنا سخونتها فى التو، بتلك المعركة التى خاضها **أبو العز الحريرى**، فى كرموز ، عام ١٩٨٤ ، وقبل الانتخابات العامة وقتها بثلاث شهور ، خاضها ابو العز مؤيدا من كل قوى المعارضة المصرية فى مواجهة مرشح الحكومة ، لكن ، الآن ، فان الزمان اختلف.

وتجئ المعركة وسط اجواء هزيمة شاملة سياسيا واقتصاديا وروحيا وتنظيميا وحضاريا وبيئيا وحتى تموينياً ومائة واو عطف أخرى خلف كل منها ملمح للهزيمة ، التى تعيشها البلاد فى ١٩٩٤.

من التسليم للهيمنة الاسرائيلية الى التسليم لمافيا السوق، ولمافيا الفتاوى الدينية. هزيمة كاملة المرافق والتجهيزات ، يسكنها ايضا القطب الآخر للمعادلة ...الملايين من الشعب الفقير!!

وتأتى المعركة فى اجواء يتجلى فيها **انور السادات**، أكاد اقول تجليا فيزيقيا ، حتى لا يدع ريبة لمستريب: فى السوقين الشرق الأوسطى والمحلى ، فى لقاء الشورية بالرجعية على الاستسلام لاسرائيل ، فى البورصة وفى البنوك التى دخلها **الشيكل** فى جمعيات المجتمع المدنى الانفتاحى ، وفى مؤسسات كانت قد لعبت دوراً فى قرن عصر مبارك بالانفتاح الانتاجى (ضد الانفتاح الاستهلاكى الساداتى) ثم تداعت معنويا وفكريا واخلاقيا (حدثت واقعة سرقة فى فواتير السندوتشات اليومية فى مركز بحثى ذو صلة بالرئاسة ولم يتحرك المسئول. **تداعت فقبلت التبعية ورفعت الراية واستكانت واستطاعت المنح الدولية والاولويات الدولية، والنزول كذا سلمة لمقابلة قوى القهر السلفية.**

التواطؤ على قتل عمال كفر الدوار والتواطؤ مع مصادري لهيب محلوظ

انخرط قسم كبير في النخبة في التربيطات والتطاحنات والتمسيك (كل واحد يمسك على الثاني ليكون الكل ملطوطاً) ، واذ بدأت تستشعر الخطر لعجزها عن مواجهة الشعب، الذي يعيش بلا أمل، ولا أمل في السيطرة عليه ، ولعجزها عن ادارة حوار مع اي مواطن ، ولنلاحظ النخبة من أكبر رأس لأصغرها وهي تتحدث الى الناس في أوقات الاضطرار (هيه .. ازى الحال.. البيت رقع .. عال .. عال .. عال) ولم يكن بدٌ من ان يستحضر هؤلاء انور السادات ... بشعبويته ، التي يمكن ان تلهي الجماهير من ناحية ، وتقيم رابطة عضوية مع التيار السلفي من ناحية أخرى ، ليتمكن الاثنان من مواجهة الشعب الذي لابد ان ينفجر يوما.

من هنا جاء رشاد عثمان خير من يمثل الشخصية الساداتية ومن هنا يستعد بدر خطاب في مصر الجديدة (بالهبات والبر الموجه) ويستعد دياب في أجا (وكان قد نجح مؤخرا كنائب ، وقدم بالف دولار لانجاح د. فتحي سرور في الاتحاد البرلماني الدولي) ويستعد ساداتيون حداثيون مثل ابراهيم كامل بطريقة مختلفة قليلا لانتخابات ١٩٩٥ أيضا ، فبدلا من الاعتماد على الهبات والتمسحكات في الشعراوي والخطاب الديني، يعتمدون على قوى حداثية (فيها يساريون سابقون) بالأجرة ، لتقدمهم في خطاب فكري مبلوع الى الشعب المصري (لاحظ هيصة الصحف التي تصدر هذه الأيام).

وفي نفس الوقت فان الجناح الرأسمالي المرتبط بالرئيس مبارك ، والذي حرص طوال الفترة السابقة على الالتزام بخط الدولة ، قد بدأ يتهاوى تحت مطارق تحرير التجارة، وتحت نوازع الغيرة (بعضها مشروع والله) من المكاسب الخرافية التي يحققها اقرانهم في «البيزنس» والتجارة والعقارات ، فبدأ هذا الجناح هو الآخر يميل الى الاستثمار في الأراضي الفضاء والمباني والعقارات وينجرف الى ذات الممارسات الطفيلية التقليدية ، بل ويقيم خطوط اتصال مع المعونة الامريكية والبنك الدولي.. واسرائيل من اسف «منهم رصد تحولات فريد خميس في هذا الصدد» وحين يبقى الرئيس وحيدا ... فان كل شئ مباح ، وعلى كل رأسمالي ان يبحث له عن رئيس .. ومن مثل انور السادات لهؤلاء؟

ان دلائل تجلي السادات أكثر من ان تحصى ، لكن اطرافها اخيرا هي عودة «شيخ الشريب» الذي كان قد خلط الشاي بالبرادة لسنوات .. وعودة ملوك توظيف الاموال ، بعد ان ساعدتهم النيابة، من خلال لعبة الرد العيني : على ان يستردوا مواقعهم ، ويعاودوا رفع شعار البركة هي الحل.

وفي الاسكندرية فان الجناح المباركي الانتاجي !(اكاديمي اساسا) لأن الرأسمالية السكندرية في مجملها ساداتية بالطبع والتطبع . وكان التمايز فيها نابعا من تعالي الحداثيين ، على التقليديين فقط ، ومن هنا رفضت جمعية رجال الاعمال ويرأسها التاجر المعروف محمد رجب ، ان يدخل رشاد عثمان عضواً بها ، ورغم ان أحمد خيرى هو عضو مجلس ادارة الجمعية ، وأمين الحزب الوطني بالاسكندرية .. هو الذي وقف ضد ان يرشح الحزب رشاد عثمان، حامل العضوية رقم (١) فيه، واختار بدلا عنه سعيد عبده رغم ذلك فان جمعية رجال الاعمال لم تظهر أي جهد لدعم عضوها واسقاط من رفضت عضويته.

هل لأن الصراع بين أحمد خيرى ورشاد عثمان ، صراع مصالح في الميناء حيث يعمل الاثنان، وحيث انبثق أصليهما حيث أحمد كان يعمل بالتخليص ورشاد بالشحن؟ يجوز

هل لأن الحداثية والتقليدية على شفا اقتراب موضوعي واندماج؟ يجوز.

هل لأن الجناح الاكاديمي ومن ابرز ممثليه د. سعد الخوالقه (رئيس لجنة بالبرلمان سابقا) والذي وقف مع سعيد عبده ، لأغراض يقال انها بزنسية ، لا مباركية انتاجية قد انشق على نفسه حيث علاقة د. زكي ابو عامر وزير شئون مجلسي الشعب والشورى برشاد عثمان قوية كما كشف الاخير فانتظرت الجمعية مزيدا من الانشقاقات لتدعم قوتها هي؟

في أرض المعركة

من المهم ان نواصل في ارض المعركة ، شرح الاوضاع التي تجرى في ظلها انتخابات سيستمر الناجح فيها ستة شهور فقط في البرلمان الحالي ، ويدعي الحاج رشاد انه يتركها فقط لرد الاعتبار وانه لن يترك الانتخابات القادمة لأنه «مشغول لشوشته» الحاصل لأول مرة منذ الاتحاد القومي ، بنحل التنظيم السياسي الرسمي الي مكوناته الحقيقية ، فقد انقسم الحزب الوطني علانية .. فريق علي رأسه النائب حسين الوشاحي، رئيس لجنة القوى العاملة بالبرلمان (من قبل) ورئيس جمعية ابناء الصعيد ، وأول أمين للشباب الاشتراكي بالاسكندرية والمحاضر بالجامعة العمالية ، ليقف جهرة مع الحاج رشاد ، وينظر له، وقد لوحظ مثلا ان احدى لافتات الحاج تحمل عبارة «الشعب مصدر السلطات» ومي، فوق انها تذكرنا بشعارات الاسلام السياسي عن الحريات ، تشير مباشرة الي مؤلفها. ثم ان الحاج رشاد لا يعبر عن نفسه ، كما اتصور بعد زيارة لقلعته الانتخابية المالية الاسرار ، بصدق ، الا من خلال الصور المرسومة مقاس ١٫٥×٢ متر ، أو بعبارات من نوع «يد الله فوق ايديهم» المهم مع الوشاحي هناك قيادات أخرى ممن لا أمل لهم دخول انتخابات ١٩٩٥ وتطمع في نفحة من الحاج، أو تحاول اللحاق بقطاره الذى يظهرانه قطار المستقبل.

حزب آخر في الوطن ، يقف مع أحمد خيرى نجم التطبيع وصاحب توكيل شركة زيم الاسرائيلية وهو حزب التطبيع السافر حزب ثالث هو الاكاديمي غالبا يقف مع المحافظ ، ولتظهر المعارك في النهاية هكذا : سعيد عبده رجل القطاع العام والخصخصة مع أحمد خيرى رجل التطبيع ضد رشاد عثمان رجل التجارة والاستيراد والممثل القوي للقوى القبلية والاخوانجية فأي اختيار مرير؟

وبفحص مكون المعادلة المباركى الانتاجي سنكتشف ان سعيد عبده واحد من انشط الداعين للخصخصة في الاسكندرية ، وصاحب تاريخ في اضطهاد العمال، وتخسير الشركة ، وقد نجح في مهمة انتخابات المحليات السابقة والتي أصر أن يقودها من أجل الحزب ومن اجل مصر!! نجح في افشال قائمة الحزب الوطني بالكامل ، حيث نجحت قائمة القوى المتحجرة ، فما سر اختياره يا ترى لمواجهة الحوت رشاد عثمان؟ وتلوك الألسنة سيرة سعيد بما يستعد له من مشروعات عائلية خاصة في مجال الاغذية ايضا ، بعد ان تباع الشركة او تصفى ، كما يتحدث أبناء الدائرة عن عملية تجديد الفروع بـ ١٨ مليون جنيه، التي تولى اعمالها الاستشارية اكاديمي مهندس معروف في الحزب الحاكم! ان الحزب الذي يبرر ترشيح سعيد (الذى يبدو كالمؤامرة) بقوله انه سوهاجي يستطيع ان يتصدى للسوهاجي رشاد عثمان ، يكذب كما يقول اسماعيل سليمان لأن دائرة منيا البصل سكندرية ديموجرافيا في أغلبها ، ثم ان السهايجة فيها منشقون على أنفسهم ومنهم خصوم لرشاد عثمان كانوا قد شهدوا ضده في محكمة القيم . ثم ان الحزب الوطني ، لو لم يكن غارقا في الفساد ، لكان بامكانه ان يرشح عضوا آخر له قبول ، على ان يقوم قياديو الحزب من ذوى العصبيات بمساندته .

ولابد ان اذكر هنا ، وقد لاحظت دلالة ذلك في أكثر من موقع في مصر، ان سائق التاكسي قال لي لا رشاد حينجح ولا سعيد

اللى حينجح الراجل الثالث المتعلم ومعاه كام دكتوراه ، وفيما بعد تبينت انه يقصد أمين الحزب الوطنى فى منيا البصل، وهو غير مرشح. لكني عرفت ان الجماهير الشعبية بدأت تدرك أهمية المدخل العلمي.. والمثير ان رشاد عثمان وهو ذو قرون استشعار عالية، التقط قولة العلم هذه ، وقال فى حديث بالأجرة ، لصحيفة اصدرها على حسابه بالكامل ، إننا فى عصر العلم و الاتصالات والادارة ... والموظف اللى يخالف رئيسه بحريقا!!

جهة اسماعيل

ولم يكن اليسار ، بعيدا عن تأثيرات اللحظة الدرامية ، ففى حزب التجمع وبين قوى اليسار اختلفت الاراء بشدة ، فهناك من رأى انها معركة تطاحن لا شأن لنا بها ، ومن رأى أننا يجب ألا نستنفذ قوتنا من الآن استعدادا لانتخابات ١٩٩٥ .. وقال آخرون اننا شبعنا فى اليسار كشفا وتعرية ، وان من ينزل ليسب الحكومة فقط ، فان الناس اقدر منه على ذلك ، هناك من أيد النزول واختلف مع الشخص ، وهناك من جلس ليترقب أصر اسماعيل وبعض شباب مينا البصل على النزول لأن المعركة هذه المرة تشمل فى رمزيتها النظام السياسى كله ، وليست مجرد موقعة محلية صعبة . كما ان دلالة النزول تصبح اقوى حين يعرف الناس اننا حاضرون وسط هؤلاء الفيلان ، بل وندخل الى عقر دارهم ، وقد ذهب «اسماعيل سليمان» الى الورديات وكنت حاضراً ، حيث تركز انصار الحاج رشاد، وخطب فى الجماهير بالميكروفون ضد الفساد والمخدرات والنفاق والاسراف المجنون فى البقط.

نحو ١٠ آلاف يافطة وصورة وفى الانفاق على الجمعيات والجوامع ، والبخل الشديد مع منكوبى السيول ، حتى فى موطن رشاد نفسه ، والاحجام أيضا عن اقامة اى مشروع استثمارى صناعي ، اكتفاء بالاستيراد وبركاته ومضاعفة الربح بالمضاربة على الخشب ، واستيراده طريا حيث يشكو النجارون من انه يلوى . وطبعا تحدث اسماعيل عن الفساد فى باتا وفى الحكم وعن الاسعار والغلاء، والحرمان والتلوث وقوانين العمل والنقابات وحق الاضراب ، وانقسام مصر الى مصر النجع ومصر مارينا الخ.

والمعنى ايضا انه اذا كانت هذه الانتخابات بروفه ، لانتخابات ١٩٩٥ التى يستعد امراء الفساد من القطاعين العام والخاص لدخولها ، ولتكتيفها بالمال. بحيث لا يدخلها الا من يتحالف معهم.. اذا كان الأمر كذلك فها نحن فى قلب النار حتى يخرج البديل الثالث للطفيليتين الحداثية والكلاسيكية.

وقد يسجل التاريخ فعلا ان يوم ٤ يناير (يوم الانتخاب) هو بداية الميلاد الصعب بيسار جديد ، يسار كتبت عليه ليس فحسب ان يبرز ، بل وان يطرح من الآن ، وباللهول ، ووسط كل هذا الخراب ،الانهيار ، شعار اليسار هو الحل.

أقول ذلك بعد ان عاينت كيف وقف الاخوان مع الحاج رشاد ، وكيف انحازت الاصوات الديماجوجية الزاعقة فى حزب العمل الى الحاج بعد اول قعدة ، وبعد ان كانت صحيفة (الوفد) وتلك ليست صدفة هى أول من نشر خبر رد الاعتبار للحاج رشاد ، اضافة الى انه بات من المؤكد ان رشاد قابل شخصية كبيرة فى الحزب مؤخراً، وقد لوحظ ان «الوفد» لم تنشر خبرا او تعليقا واحدا عن ماضى الحاج رشاد ، ثم نتقدم خطوة لنكتشف ان الحاج زار أيضا احد اقرباء الرئيس عبد الناصر ، من الدرجة الأولى ، ويعمل فى البزنس بالاسكندرية ، وعليه قضايا شيكات وخلافه ، مزعجة ، زاره الحاج ليطلب المدد ويقف وراء الحاج ايضا تاجر «صنف» معروف ، غسل أمواله بافتتاح محل ملابس محجبات .وتاجر أخشاب معروف فى حقل الرياضة ، وقد قال الحاج ان كلاً منهما مول حملته بمليون جنيه ، كل اولئك مع الحاج وكان منهم من وقف مع ابو العزم عام ١٩٨٤ حين كانوا لا يزالون يؤمنون بالديمقراطية بحق والجديد فى أمر الطفيلية التقليدية ايضا انها أقامت شبكة علاقات دولية ، ليس بعيدا ان تصل بها الى المافيا العالمية ، وفى الاسكندرية يشيع الحاج رشاد الأسى أنه يتكلم بالبرتغالية والرومانية والانجليزية ، ويتعامل فى بلاد بره بكل احترام وبالكلمة فقط . وأيضا كان ملفتاً أن يستدعى الحاج (أو ينوب عنه أحد فى الاستدعاء) وكالات الانباء العالمية ليحيطها بتفاصيل معركته أولا بأول هى والصحافة هنا ويلعب بها ضد اي محاولة للتزوير المرتقب، قال الحاج فيما قال ان وزير الداخلية لن يزور ضدي ، وان التزوير لو حصل سيأتى من فوق!! ، وان رجاله مستعدون بالنبابيت اذا سحبت الحكومة سلاحهم ، وقال ايضا انه قد لا يحدث تزوير لأن ذلك سيضعف موقف الحكومة فى الانتخابات المقبلة أمام الرأى العام العالمى الخ الخ.

القوى كلها ، حلوها ومرها ، تلعب مع الحاج ، او مع نقيض الحاج الذى ليس نقيضا ولا حاجة ، هل من حل لوضع مثل هذا غير وجود اليسار الحقيقى والمستقلون الحقيقيون والديمقراطيون الحقيقيون؟

إننا لا نقدم هنا دعاية انتخابية ، رغم ان هذا واجب المجلة التى تصدر عن حزب التجمع ، وتعبر عن اليسار ، لكن نقر حقيقة . اليسار او الهمجية بصرف النظر عن متابعهم . ان قيمة تجربة اسماعيل سليمان فى انها تقدم اسلحة مبتكرة للمقاومة فى مثل هذا الجو الملبد باليأس والانفجار : الموظف الصغير ضد الباشا تاجر الخشب او الباشا صاحب الشركة العامة!

البيان ضد اللافتة الكبيرة.

الصورة مقاس ٤×٦ ضد اللوحات الضخمة.

الميكروفون فى مواجهة الصحافة المباعة والاعلانات.

الانحياز الحقيقى فى مواجهة النفاق والمداهنة والتلاعب.

القرش الصغير من التبرعات فى مواجهة الملايين . والميكروباس المكشوف فى مواجهة الزلكات.

البيوت العارية المفتوحة ضد الأسوار العالية ، اسوار مقر الحاج رشاد الرهيبة ، رغم الادعاء بلغة «الدار مفتوحة».

الكوخ فى مواجهة قصر الباشا فرغلى حيث يسكن رشاد ، وبالمناسبة جماهير منيا البصل ، اسقطت من قبل فرغلى فى أحد الانتخابات.

العلم والعقل ضد الخرافة والتضليل والتمحك . وكان الحاج رشاد قد قال انه يموت فى الشعراوى وشرحه الذى ينطق الحجر ، ووصفه بانه عالم فى الاقتصاد والكون والسياسة والطبيعة (لعل الحاج يتحدث عن العلم من هذا الفهم).

الوضوح فى مواجهة المراوغة فنجم الخصخصة يتحدث الآن عن مكاسب العمال وعن الانتاج والخدمات ، ونجم الخشب يتحدث عن الخير .. وكلنا لمصرنا وقائدنا .. وانا ابن هذا النظام فلماذا الضجة .. ويشيد بيوسف والى وصفوت الشريف والمحافظ ويقول لم تمتد يدى الى حرام ولم يدخل بيتى حرام ؛ المعروف ان ماهر شقيق رشاد ، والذى مات فى ظروف لا زالت مجهولة (هناك شكوك سياسية) فى اول الثمانينات ، كان هو الذى يدير اغلب علاقات الحاج رشاد وانشطته ونفحاته.

معركة فائقة الرمزية وانتظار لن يطول لنعرف ان اصعب الايام تلك التى اتت الآن ، لابد ان يبنى اليسار حتى لا تتحطم مصر.

ولقد نجح محمد علي في إدخال زراعة قصب السكر في مصر،
ونتمنى ألا ينجح د. عاطف صدقي في اخراجها منها»!!

محمد ادريس

رئيس الاتحاد التعاوني الزراعي المركزي

حتى لا يصبح السكر .. مراً

عريان نصيف

التخوف الذى أبداه رئيس الاتحاد التعاوني في **الجمعية العمومية العامة لمنتجي القصب** التي عقدت في نوفمبر ١٩٩٤- لمناقشة مشاكل زراعة القصب وهموم زارعيه- له ما يبرره.

فزراعة القصب- وصناعة السكر-هي احدى الدعامات الرئيسية في الواقع الاقتصادي والاجتماعي المصري ، التى استقرت منذ ما يقرب من القرن والنصف.

* فالمساحة المنزرعة قصبا تبلغ حوالي **٣٥٠ ألف فدان** من أراضي مصر الزراعية.

* وهو **المحصول الرئيسي لمحافظتي قنا واسوان**، ومن المحاصيل الاساسية في محافظتي **المنيا وسوهاج**.

* **قامت -على زراعة القصب- ثماني مصانع للسكر تبلغ قيمة أصولها الثابتة ٦ مليار جنيه**، وتصل الاستثمارات بها الى ٢ مليار جنيه ، وتنتج سنويا مايقرب من مليون طن سكر تمثل حوالي ٦٥٪ من حجم الاستهلاك المحلي.

*هناك أكثر من ١٠ مصانع أخرى تقوم بانتاج العديد من السلع والصناعات القائمة على صناعة السكر والاستكمالية لها مثل: **الكيماويات -الكحول- المعدات الخشبية- الورق- العسل الاسود- الخل- خميرة الخبز - المولاس -العطور -الوقود- العلف.. الخ.**

* توفر عملية صناعة السكر - وفق الاحصاءات الرسمية- حوالي ٢٥٠ ألف **فرصة عمل** -بالاضافة لمئات آلالاف من الفلاحين المنتجين للقصب وتقام عليها مئات المجتمعات الاقتصادية المتكاملة ، ليس فقط بالنسبة للقرى في صعيد مصر ،ولكن أيضا حول مصانع السكر في المدن.

فاذا كان الوضع بهذه الأهمية بالنسبة لانتاج السكر في مصر (زراعة وصناعة) .. واذا كان هذا الانتاج قد استطاع حتى **أوائل** السبعينيات أن يغطي الاحتياج المحلي ويصدر منه أيضا- -لجودته-كميات **كبيرة للأسواق العربية والدولية** .. ويغطي حاليا- رغم اتساع الفجوة بين الانتاج منه والاحتياج اليه- النسبة الغالبة من حجم الاستهلاك المحلي .. واذا كان المكتب الاقتصادي للأمم المتحدة بجنيف ، قد أعلن هذا العام أن **مصر تحتل المركز الأول في انتاجية فدان القصب وفي نسبة استخلاص السكر**. فوفقاً لأرقام هذا المكتب الدولي تبين أن **مصر/ الفلاحين قادرة على الوصول بالانتاج الى أعلى متوسط دولي (٤٣,٥٤ طن قصب من الفدان) ، وأن مصر/ العمال** قادرة أيضا **على الوصول إلى أعلى متوسط دولي لاستخلاص السكر(٤,٤ طن من الفدان)**. .. واذا كان كل ذلك .. كذلك .. فلماذا إذن هذه الأزمة الطاحنة في السكر ، والتي أدت إما الى اختفائه نهائيا من سوق المستهلك ، أو تواجده في السوق السوداء ، بسعر يتراوح بين ٢١٠- ٢٢٥ قرشا للكيلو الواحد من السكر السايب (غير المعبأ)؟!

أزمة السكر .. لماذا

إن العامل الرئيسي وراء أزمة السكر- كغيرها من الأزمات الاقتصادية - هو ما يسمى **سياسة «التحرير الاقتصادي»** أو بالدقة التطبيق المصري لهذه السياسة ، بما لها من انعكاس علي كافة مراحل العملية الانتاجية : الزراعة -الصناعة- السوق.

أولا : هموم زراع القصب

فبالرغم من أن زراعة القصب من أشد الزراعات جلبا للمعاناة للزراع -باستغراقها العام تقريبا دون أي امكانية لتحميل الأرض بمحاصيل أخرى، بالاضافة الى تكاليفها الباهظة- فإن هموم الفلاحين من زراع قصب السكر أصبحت أكبر من قدرتهم على تحملها والاستمرار في زراعة هذا المحصول الاستراتيجي .

(١) الاختلال الكبير في التناسب بين تكاليف العملية الانتاجية وبين سعر التوريد: ففي الوقت الذي ارتفعت فيه أسعار مستلزمات الانتاج- في السنوات الأخيرة. بنسبة تتراوح بين ٤٠٠٪ - ١٠٠٠٪ ،ولم يزد سعر القصب بأكثر من ٢٥٪ بما لا يعطي أي عائد مجز للفلاح ، بل على العكس -كما ورد في التقرير المقدم في شهر ديسمبر عام ١٩٩٣ من الاتحاد التعاوني الزراعي المركزي إلى كل من السيدين رئيس مجلس الوزراء ووزير الزراعة- **أصبح الفدان المنزرع قصبا يتحمل خسارة قدرها ٤٠٠ جنيه** وخاصة -كنص التقرير- «**في ظل التحرر الاقتصادي ورفع الدعم عن مستلزمات الانتاج**»

(٢) ارتفاع نسبة فوائد بنك التنمية الزراعية الى ٢٢٪ بما يمتص أي عائد للفلاح . ويتم تحصيل قيمة القرض والفوائد من «المنبع» أي من المصنع والا يتم الحجز على المستحقات المالية للمزارع لدى مصنع السكر.

(٣) مشاكل الزراع مع مصانع السكر

-الارتفاع المغالي فيه للاستقطاعات ، تحت دعاوي ارتفاع نسبة الشوائب والقصب المحروق ، أو انخفاض نسبة «الحلاوة» في القصب المورد.

-عدم تمكين المزارع المورد من مراقبة عملية الوزن ، بما يتيح الفرصة للتلاعب في الميزان.

-عدم صرف ثمن القصب بالكامل للمزارعين، ومطالبتهم باستلام سكر مصنوع مقابل ثمن القصب!!

-تهديد المزارعين- من جانب إدارات بعض المصانع - بحقهم في قبول او رفض استلام القصب وفقاً لقواعد «الحرية الاقتصادية»!!

ثانيا: مشاكل صناعة السكر

في الوقت الذي يؤكد فيه المسئولون عن صناعة السكر انها ما زالت احدى أهم الصناعات في مصر، وأنها ما زالت قادرة على توفير احتياجات الشعب من هذه السلعة الهامة حيث تنتج يوميا ٤٥٠٠ طن بما يكفي ويزيد عن الاستهلاك المحلي- فانهم -وأمام

الازمة التى تتناقض مع تأكيدهم - يبررونها بعوامل خارجة عن ارادتهم، واستجدت فى الحقبة الأخيرة:

(١) عدم توافر سيولة نقدية كافية للتعامل مع زراع القصب، وذلك نتيجة- من وجهة نظرهم -للتوسع فى استيراد السكر من الخارج من ناحية، ولالغاء جانب كبير من حصص التموين من جانب آخر.

(٢) وجود طاقات إنتاجية كبيرة غير مستغلة بالمصانع وصل حجمها فى بعض السنوات الأخيرة الى ٥٠٠ ألف طن وهى- تقريبا- نفس الكمية التى يتم استيرادها.

(٣) صعوبة قدرة المصانع وشركات السكر ،فى هذه المرحلة- على التعامل مع مشكلة النقل، ففى الوقت الذى تمتلأ فيه مخازن الشركات بالسكر ، لا تجد وسائل النقل الكافية لتوصيلها الى المستهلكين ، حيث يفضل المتحكمون فى اساطيل النقل- وفقا لآليات السوق- نقل السلع المستوردة من الموانى لما لذلك من ميزة ربحية لهم.

ثالثا: مافيا السوق:

من المعتاد سنويا- فى شهرى نوفمبر / ديسمبر من كل عام ، وهى فترة نهاية موسم السكر ، وقبل الانتهاء من عملية عصير المحصول الجديد وانتاج السكر- ان يستغل التجار -الموقف برفع سعر السكر فى السوق.

ولكن فى السنوات الأخيرة- وفى ظل ما يسمى بالاقتصاد الحر-وصلت الامور الى الدرجة التى استفزت هذا العام الدكتور أحمد جويلى- وزير التموين وجعلته يعلن أن ارتفاع سعر السكر بهذه الصورة لا يتفق مع آليات السوق ومع الاقتصاد الحر ولكنه تعبير عن **حالة احتكار**، وان على الدولة -باعتبارها مراقبا للسوق وهو دور لن تتخلى عنه- أن تحارب الاحتكار وان تكون مسئولة عن توفير السلع للمستهلك بالسعر المناسب.

ولقد وضع الدكتور وزير التموين يده على حقيقة المشكلة.

فاستغلالاً من مافيا كبار المستوردين والتجار للواقع السلبى لقضية السكر، المتمثل فيما يلى:

*الفجوة التى تتراوح بين ٥٠٠ ألف طن - ٧٥٠ ألف طن بين انتاجنا من السكر وبين احتياجاتنا المحلية له، والناتجة من معوقات انتاجية (زراعة وصناعة) والسابق توضيحها.

*الارتفاع البسيط فى سعر السكر العالمى والذى لم يتجاوز ١٠٪ (والناتج من انخفاض حجم انتاج البنجر فى روسيا ومن الحصار الاقتصادى على كوبا).

* ضعف دور الدولة- إن لم يكن تخليها -عن دورها المسئول-وفق القواعد الرأسمالية -عن دعم الانتاج والرقابة على السوق.

استغلت مافيا السوق كل ذلك واستطاعت ان تخفى السكر إلا من السوق السوداء ، وترفع سعره الى أكثر من ٤٠٪.

الخروج من أزمة السكر

أولا : الحل المرفوض : احلال البنجر محل القصب

أن تهتم وزارة الزراعة باجراء المزيد من البحوث حول زراعة محصول البنجر ، وأن يتم زراعة بعض المساحات به، واقامة بعض المصانع لاستخراج السكر منه، فكل هذا هام وضرورى فى اطار استكمال احتياجاتنا الاستهلاكية من السكر بديلا- أو تقليلا- من استيراده.

أما ان تطرح زراعة البنجر كبديل عن زراعة القصب ، فهذا **هو المرفوض اقتصاديا واجتماعيا** ، ليس فقط لأن مصانع انتاج السكر فى مصر مصممة على اساس انتاجه من القصب- كما ورد فى رد المهندس **فاروق عفيفى** رئيس مجلس المحاصيل السكرية على هذه الدعوة- ولكن ايضا لأن ناتج البنجر يتمثل فقط فى السكر ، **بينما ناتج القصب يضم- كما اسلفنا -العديد من السلع الهامة والمطلوبة فى السوق المصرى ، بالاضافة لارتباط الحياة الاجتماعية والاقتصادية لشريحة كبيرة من المصريين -وخاصة الجنوبيين- بزراعة القصب.**

وعن جهة استهلاك البنجر لمياه أقل فى الرى عن القصب ، فهى مردود عليها بالاضافة لما يراه السيد رئيس الجمعية العامة للقصب من أن الرى الليلى يوفر حوالى ٢٠٪ من احتياجات القصب للمياه بأنه من الممكن بالتنسيق بين كل من وزارتى الزراعة والرى ومراكز البحوث وزراع القصب ، علاج قضية المياه بأفضل المواصفات.

ولقد استغل اصحاب، هذه الدعوة تواجد بعض جماعات الارهاب فى صعيد مصر، ليجدوا فرصة مواتية لدعوتهم بالغاء زراعات القصب حيث يتخفى الارهابيون داخلها!

وبهذا المنطق ، فلو نشط- لاقدر الله- هؤلاء الارهابيون فى مناطق زراعة الذرة لطالبنا أيضا بالغائه ، أو لراستخدم بعضهم عمارة عالية لانجاز عملياته الاجرامية لهدمنا كل العمارات العالية؟

ثانيا نحو حلول جادة للأزمة:

لا شك انه فى ظل نظام اليات السوق واطلاق حرية استيراد السكر عانت صناعة السكر فى الآونة الأخيرة .. وأصبح هناك خطر كبير على صناعة السكر المصرية» ، كنص ما ورد بدراسة «المحاصيل السكرية وانتاج السكر فى مصر والعالم» الصادرة عام ١٩٩٤ والمعدة بالمشاركة بين الادارة العامة للدراسات الدولية بقطاع الشئون الاقتصادية ، ومجلس المحاصيل السكرية بوزارة الزراعة المصرية.

ومع إدراك ذلك ، إلا أنه يمكن تحديد بعض الحلول القادرة على حماية هذه الزراعة / الصناعة» الهامة اقتصاديا واجتماعيا وضمان توافر السكر بالاسعار المعقولة :

١- رفع سعر توريد القصب بما يتلاءم مع ارتفاع اسعار مستلزمات الانتاج وتكاليف الزراعة ، ويحقق عائداً مجزيا للفلاح المنتج.

٢- تحديد العلاقة بين الزراع والمصانع بما يضمن لهم استلام ثمن محصولهم بالكامل وايقاف المغالاة فى نسبة الاستقطاعات.

٣- تخطيط انتاجية مصانع السكر ، بحيث لا يزيد الانتاج من القصب عن طاقة المصنع (ابو قرقاص)، فى الوقت الذى لا يعمل فيه مصنع آخر سوى بحوالى ٤٠٪ من طاقته الانتاجية (جرجا).

٤- تدخل الدولة لحماية الانتاج المحلى من السكر من خلال نظام جمركى أو ضرائبى يفرض على السكر المستورد الذى يقل سعر استيراده- نتيجة دعمه فى الدولة المصدرة- عن سعر انتاجه محليا.

٥- قيام هيئة السلع التموينية باستيراد السكر الخام -لتكريره فى مصر مع اعفاء هذه الكميات من الجمارك وضرائب المبيعات ، بما يمكن وزارة التموين من زيادة حصة الفرد فى البطاقة التموينية -من السكر المدعوم.

وأخيرا ، فلا نملك الا ان نقول لبعض السادة الخبراء المعادين لزراعة القصب -والذين وصل الأمر ببعضهم كالدكتور **جمال صيام** استاذ الاقتصاد الزراعى بجامعة القاهرة إلى الدعوة بانه يجب «الا تكون هناك حماية لهذا المحصول الذى يعود بخسارة كبيرة على المجتمع»!! ، وأن «تقليل الفجوة بين الانتاج والاستهلاك يمكن التغلب عليها عن طريق ترشيد الاستهلاك»! إننا نعتبر رأيهم هذا- مع كل احترامنا له - يتضمن فى داخله نكاهة .. **«زى السكر»!!.**

إصلاح اقتصادي أم تقشف اقتصادي

محمود الشاذلي

في يناير الماضي أمضيت اسبوعين في زيارة عمل للقاهرة . وفي نهاية الزيارة لفت نظري تصريح لرئيس الوزراء، الدكتور عاطف صدقي حملته الصحف المصرية في صفحاتها الأولى ، مؤداه أن الحكومة سوف تركز جهودها في الفترة القادمة على الاصلاح الاداري في مصالح ووحدات قطاع الاعمال بعد أن نجح برنامج الاصلاح الاقتصادي.

وملأني العجب ، هل يتحدث رئيس الوزراء عن نفس الاقتصاد ونفس البلد الذي أهم بمغادرته بعد زيارة تكاد تجمع اراء كل من قابلت أنه يمر بأزمة اقتصادية طالت مدتها وتزداد حدتها يوما بعد يوم وليس في الأفق أي بشائر لانفراجها في المستقبل القريب.

وعكفت على دراسة الأمر لمعرفة اسباب التناقض الظاهري بين تقييم رئيس الوزراء من جهة وما لمسته من انطباع الشارع المصري من جهة أخرى. وأوضحت بعض الدراسات التي اطلعت عليها الحقائق التالية:

كان الاقتصاد المصري في الماضي وحتي عام ١٩٨٧ يعاني من ارتفاع في عجز الموازنة العامة يصل الي ٢٠٪.

ومن معدل تضخم يتراوح بين ٢٠٪ ، ٢٥٪ في السنة وعجز شديد في ميزان المدفوعات وسعر غير واقعي للتحويل بين الجنيه المصري والدولار وبسبب هذه الأمور جميعها وجدت الخزانة صعوبة بالغة في مقابلة متطلبات خدمة الديون الاجنبية الضخمة.

وبالتالي أوصت المؤسسات الدولية أن تتخذ الحكومة المصرية عدة اجراءات لتعديل السياسة النقدية ، والموازنة العامة بالاضافة الي تغييرات هيكلية في وحدات الانتاج ، كل ذلك اصطلح على تسميته باجراءات **الاصلاح الاقتصادي**،في مقابل جزء من الديون الخارجية ،وتقديم المزيد من القروض ، وكانت هذه الاجراءات تشمل :

١- خفض الدعم في الموازنة العامة.
٢- رفع اسعار الطاقة تدريجيا لتتساوى مع الاسعار العالمية.
٣- تحديد اسعار المحاصيل الزراعية.
٤- ادخال ضريبة المبيعات.
٥- تحديد سعر الفائدة.
٦- خصخصة شركات قطاع الاعمال العام.

وكان من نتائج تنفيذ المرحلة الأولى من هذه الاجراءات أن انخفضت نسبة العجز في الموازنة العامة الى حوالى ٥ر٢٪ وزاد احتياطي العملة الصعبة الى ما يساوي سنة كاملة من الاستيراد أو يزيد ، وثبت سعر الصرف للجنيه المصري في مقابل الدولار.

د. عاطف صدقي



وكان اتمام تنفيذ اجراءات المرحلة الاولى هو ما سماه رئيس الوزراء بنجاح جهود الاصلاح الاقتصادي.

وهنا وجب ان نطرح سؤالين بالغي الأهمية.

١- ما هو الثمن الذي يدفعه الاقتصاد المصري والفرد المصري للوصول الي هذه النتائج مرحليا وفي المدى الطويل؟

٢- هل هذه النتائج في حد ذاتها غاية اقتصادية يجب الوصول إليها بأي ثمن؟

وللبحث عن إجابة فإننا نرى اعتمادا على تقارير البنك الدولي وصندوق النقد الدولي أن متوسط دخل الفرد المصري في انخفاض مستمر من منتصف الثمانينات وحتى الآن. حيث كان يبلغ ٧٥٠ دولاراً للفرد في السنة في عام ١٩٨٥/٨٦ ووصل الى ٣٨٠ دولاراً للفرد في السنة في عام ١٩٩٢/٩٣ (بعد أخذ معدل التضخم في الاعتبار).

وفي نفس الوقت فقد أدى إجراء المرحلة الأولى هذه الى :

١- زيادة تكلفة السلع والخدمات نتيجة ادخال ضريبة المبيعات.
٢- خفض الدعم على السلع الاستهلاكية مثل الزيت والسكر والشاي وغيرها مما يمس القوت اليومي للطبقات العاملة والفقيرة.
٣- زيادة أسعار المواد البترولية ثلاثة اضعاف منذ سنة ١٩٩١. وبالتالي زيادة تكلفة المواصلات والنقل وخلافه.
٤- زيادة اسعار الطاقة الكهربائية أربعة أضعاف في نفس الفترة.

كما تدل هذه التقارير على أن عدداً من الافراد الذين سيدخلون سوق العمالة لأول مرة خلال عقد التسعينات سوف يتراوح بين ٥إلى ٦ ملايين فرد. بينما تقضي برامج الاصلاح الاقتصادي في المرحلة القادمة ليس فقط الى خفض استيعاب مصالح الحكومة ووحدات قطاع الاعمال العام من الخريجين الجدد(حيث انخفض هذا الرقم من ١١٠ ألف سنة ١٩٨٥ إلى ثلاثين الف سنة ١٩٩١) بل يتوقع اضافة مئات الالاف من العمالة الزائدة الى صفوف البطالة نتيجة لبرامج الخصخصة.

هذا في وقت تشير التقديرات المحافظة لبعض الدراسات ان مستوى البطالة في مصر يتراوح بين ١٧٪ ، ٢٢٪ من اجمالي القوى العاملة التي تقدر بحوالي ١٨ مليون شخص . في حين تقدر نفس الدراسات أن بين ثلث ونصف هذا العدد يعتبر بطالة مقنعة.



د. كمال الجنزوري

وبالتالي فلن نكون مسرفين في المغالاة اذا توقعنا ان تصل صفوف البطالة الحقيقية في مصر الى عشرة ملايين فرد قبل ان يستكمل تنفيذ جميع مراحل الاصلاح الاقتصادي.

واذا سلمنا جدلاً بضرورة أن يدفع المجتمع المصري هذا الثمن الباهظ ليصل الى نتائج ايجابية محققة في النهاية(وهذا مشكوك فيه كما سأوضح فيما بعد) ، فإني أشك في أن البنية الاجتماعية والسياسية في مصر قادرة على تحمل هذه التضحيات دون ان تتمزق وتنفجر . خصوصا وان مدى تحمل هذه التضحيات لن يكون توزيعه في ظل الأحوال السائدة.

أما عن النتائج المرجوة من برامج الاصلاح الاقتصادي ، فإني لا أجد تعبيراً أكثر وضوحا من تقديرات مسئولي البنك الدولي التي تقول:

وإن معدل زيادة البطالة سوف يستمر لسنوات عديدة قادمة حتي يستكمل تنفيذ اجراء الاصلاح الاقتصادي ، ثم يحدث رد فعل يشجع تبني LABOR INTENSIVE TECHNIQUES .

وبعد ذلك يحدث نمو اقتصادي

نلاحظ هنا أن تقديرات زيادة البطالة خلال السنوات العديدة القادمة هي تقديرات مؤكدة . في حين أن زيادة معدلات النمو الاقتصادي المرجوة تعتمد على تصرفات الاخرين- رد فعل SUPPLY RESPONSE -الذين يتخذون قراراتهم بناءً على عوامل متعددة ، وفرص للاستثمار متنافسة دوليا ، ليس للمجتمع المصري وقادته أي سيطرة عليها ،وقد يرى الكثير منا ان الاجراءات الاقتصادية سالفة الذكر هي إجراءات ضرورية ، أو لاخيار للحكومة فيها حيث انها شروط لازمة لالغاء جزء من الديون ، ثم علي مقدرة الاقتصاد المصري علي توفير السيولة اللازمة لخدمة الجزء المتبقى من هذه الديون.

ونحن ان سلمنا بذلك ، فمن الضرورة أن تعتبر هذه الاجراءات -ونسميها بوضوح- اجراءات تقشف اقتصادي تستلزم بالضرورة أن يصاحبها خطة محددة المعالم للتنمية الاقتصادية تعتمد علي استراتيجية واضحة لتحديد الاولويات القومية ، والانشطة الاقتصادية التي يجب ان تحظى بالدعم والتشجيع ، ثم مصادر تمويل هذه الخطة بشكل أكثر تفصيلا من مجرد الانتظار حتى يحدث SUPPLYR ESPONSE.

من هنا يتضح ان تسمية هذه الاجراءات ، تقشف اقتصادي ليس مجرد تلاعب بالالفاظ ، حيث في مقابل ذلك تتوقع المدرسة التي تسميها باجراءات اصلاح اقتصادي أن يحدث عملية نمو اقتصادي تلقائيا لمجرد اكتمال تنفيذ هذه الاجراءات دون الجهد والعرق والتمويل اللازمين لوضع وتنفيذ خطة محددة للتنمية الاقتصادية.

ومن ثم وجب علينا تحديد الهيكل العام والوعاء الايديولوجي لهذه الخطة.

من المسلم به انه يعتبر من السفه في ظل المناخ الجيوبوليتكي الحالي ان يطرح أحد نمطا للتنمية الاقتصادية يمت بأي صلة للمذهب الماركسي، حتى للجدل النظري.

ولكنه من الضروري ونحن ننبذ النمط الماركسي للتنمية أن نفعل ذلك معتمدين في هذا القرار على الدراسة الهادئة المعتدلة وليس انسياقا أعمى وراء التيار المنفضل في الوقت الحاضر.

في هذا المجال تقول احدى الدراسات الاخيرة ، أن تقديرات هيئة المخابرات المركزية الأمريكية أن اقتصاد الاتحاد السوفيتي عندما وصل جورباتشوف للسلطة كان ينمو بمعدل ١ر٢٪ بين سنوات ١٩٧٥ ـ ١٩٨٥ . وأن هذا المعدل يقل قليلا عن معدل نمو الاقتصاد الامريكي الذي بلغ ٩ر٢٪ في نفس الفترة. وفي منتصف الثمانينات كان الاقتصاد السوفياتي ينمو بمعدل أكثر ، ففي عام ١٩٨٣ وصل الى ٣ر٣ ، وفي عام ١٩٨٦ كان ١ر٤ ٪..

وتستطرد الدراسة فتقول ، أن المشاكل الاقتصادية التي نراها بوضوح الان كلها ظهرت في ظل جورباتشوف.

إنه من المهم أن نلاحظ ان صاحب هذه الدراسة ليس فلاديمير جيروتونسكي الزعيم اليميني الروسي المتشدد ، ولكنه لستر ثورو أستاذ الاقتصاد في ال إم. أي. تي.

خيارنا إذن هو خطة للتنمية تعتمد علي نمط رأسمالي ، ولكن أي أنماط الرأسمالية؟

نمط آدم سميث واقتصاديات السوق الحر المطلق؟

أم نمط الاقتصادي الألماني فريدريك ليست الذي تتبعه دول شرق آسيا وغيرها من الدول في الأطوار الأولى من برامج التنمية الاقتصادية.

تشير علينا المؤسسات الدولية (البنك الدولي وصندوق النقد الدولي) وكذلك أصدقاؤنا في الغرب بضرورة اتباع سياسة التجارة الحرة المطلقة وفتح اسواقنا واعطاء آليات السوق مطلق الحرية في تحديد الاسعار وما ينتج وما يستهلك من سلع وخدمات بلا قيود ، أو بأقل قدر من القيود . ويتخذون قراراتهم بتقديم المعونة أو منعها ، وغفران جزء من الديون أو تأكيدها بقدر إخلاصنا في الايمان بهذه المبادئ واتباعها.

في نفس الحين تحذرنا دروس الماضي البعيد والقريب معا من هذا الطريق.

أما عن دروس الماضي البعيد فيقول المؤرخ برنارد لويس من جامعة بريستون عن الشرق الأوسط في القرن السابع عشر وقامت الشركات التجارية الغربية ، بمساعدة حكوماتها بالسيطرة شبه الكاملة على اسواق الشرق الأوسط ، وبالتدريج حتى على صناعاته.

فمثلا منسوجات الشرق الأوسط التي كانت تتمتع بموقع مميز في الاسواق الغربية طردت أولا من هذه الاسواق وتباعا حتى من أسواقها الداخلية.

ويستطرد ليقول : وبالتالي في نهاية القرن الثامن عشر اذا جلس عربي او تركي ليستمتع بفنجان من القهوة فالاحتمال الأكبر ان تكون القهوة قد استوردت من جافا بتجار هولنديين ، والسكر عن طريق تجار فرنسيين أو بريطانيين من وست انديز ، وكان المكون المحلي الوحيد هو الماء..

وفي خلال القرن التاسع عشر، أصبح ذلك ايضا مشكوكاً فيه حيث سيطرت شركات المياة والكهرباء الغربية على خدمات مدن الشرق الأوسط السريعة النمو.

هل هناك صورة أكثر وضوحا وأدق تفصيلا لما نتوقعه من اتباع سياسة السوق المفتوح ، واقتصاد آليات السوق ونحن في بدء التنمية؟

ألا يجب علينا ان ندرس بعناية -الطريق الذي اتبعه الاخرون عندما كانوا في نفس الطور من مراحل التنمية.

يقول توماس مكارو في كتابه عن تاريخ السياسة الاقتصادية في الولايات المتحدة ان النجاحات البادرة في القرنين الماضيين -أمريكا بعد ثورتها -والمانيا تحت بسمارك واليابان بعد الحرب العالمية الثانية - قامت علي حذف قواعد آليات السوق... في كل الاحوال الثلاثة ظلت الاسواق المحلية مغلقة في وجه المنافسة.

وفي الفترة الأولي للتنمية لم تستورد المانيا أي قدر يذكر من الحديد من منافسيها الكبار ، بريطانيا والولايات المتحدة مثل ذلك فإ اليابان بعد الحرب لم تستورد إلا أقل القليل من البضائع المصنعة من أوروبا أو أمريكا مهما كان الثمن والجودة . كانت اليابان تستورد فقط الطعام والمواد الصناعية الخام والتكنولوجيا».

أما في الوقت الحاضر- فلا يكاد يخلو بحث أو تحليل لنماذج التنمية الناجحة من ذكر نماذج دول الشرق الأقصى -اليابان- ، وتايوان وكوريا وغيرها.

وبينما يصر الساسة الغربيون والمؤسسات التي يسيطرون عليها علي أن هذا النجاح يرجع اساسا الى اتباع هذه الدول لسياسة السوق الحر المطلق فإن الحقيقة لا يمكن ان تكون ابعد من ذلك.

فمثلا، بينما يقول إدوين رايشاور السفير الامريكي الاسبق لدى اليابان في وصفه لتجربة التنمية الاقتصادية اليابانية : «واسهم الاستثمار الحر بالجزء الأعظم في تطوير وتحديث الاقتصاد الياباني».

في حين يقول المؤلف والصحفي الأشهر جيمس فالوز:

«إن دارسي التجربة اليابانية بما فيهم رايشاور يعرفون جيداً أن اعادة بناء الاقتصاد الياباني استلزم بالضرورة أموراً أكثر تقيداً من مجرد اطلاق سراح الاستثمار الحر.

في نفس الوقت الذي كتب فيه رايشاور ملاحظاته كانت الحكومة اليابانية تحرم الاستثمار الاجنبي في اليابان، وتسمح باحتكارات وكارتلات عامة ، وتوجه السياسة المصرفية وتتحكم في اسعار السلع الرئيسية ، وتحدد بشدة الحركة النقدية داخلة وخارجة وتحرم الكثير من الواردات.. الخ»

وفي مثال آخر يقول الرئيس الامريكي السابق جورج بوش «لقد انهار الاتحاد السوفيتي ، وآسيا تحذر حذو الغرب. العالم كله يحذر حذونا» . بينما يبين الاقتصادي التايلندي سبب نمو اقتصاد دول الشرق الاقصى فيقول «السبب الرئيسي لنموهم الاقتصادية هو الفارق في انماط الرأسمالية المطبقة عن الانماط الغربية ، والفارق يبلغ اشده بين اليابان وأمريكا . الرأسمالية اليابانية تعتمد اساساً علي التعاونيات NET WORKS.

ويصف أحد مسئولي وزارة المالية اليابانية أيسركي سكاكيبارا النظام الاقتصادي الياباني في كتابة المسمى «ما بعد الرأسمالية» فيقول ان اليابان قد اخترعت ما يسمى «اقتصاد السوق اللارأسمالي».

وفي سنة ١٩٩١ عندما قامت نخبة من اقتصاديي صندوق النقد الدولي بدراسة اقتصاديات دول الشرق الأقصى وصلت الي توصياتها بأن هذه الدول ان ارادت ان تنمو بمعدل اعلى ، فعليها ان تحرر مؤسساتها المالية وتعتمد أكثر على آليات السوق ، حتي يتمكن المستثمرون من تحويل اموالهم بالسرعة والمرونة التي يرغبونها.

وفي الحال قام فريق من مسئولي بنك اليابان بتحذير جيرانهم من التسرع في اتباع هذه النصائح مؤكدين ان الغرض الاساسي من المؤسسات المالية ليس هو اثراء المضاربين او حتى المستثمرين ، ولكن الغرض الاساسي لهذه المؤسسات هو خدمة الاقتصاد الحقيقي!.

أما عن كوريا فتقول الاقتصادية أليس أمسدن في كتابها «عملاق اسيا القادم» تشارك النهضة الكورية بعد الحرب العالمية الثانية المعجزة الصناعية اليابانية وكذلك حركة التصنيع الالمانية في القرن التاسع عشر في اوجه شبه اساسية ، ذلك انه لم يحدث في أي من هذه الحالات ان تركت الدولة تنميتها الاقتصادية لأليات السوق بأن تجعل المستثمر والمستهلك يقررون ان تنفق اموالهم . السر في نجاحهم كان العكس تماما.

ان لم تتدخل الدولة عمداً في آليات السوق ، لم يكن هناك أي أمل في اللحاق بسباق التصنيع».

نخلص من هذا التحليل ان اجراءات التكيف الاقتصادي التي بدأت في سنة ١٩٩١ يجب ان يصاحبها خطة قومية محددة المعالم للتنمية الاقتصادية تعتمد على واقع مصر الاقتصادي تاريخيا وحاضرا ، تهدف الى الوصول الي غايات اقتصادية واجتماعية محددة وتبعا لبرامج زمنية معلومة ويجب ان تشتمل هذه الخطة على سياسة صناعية واضحة تشجع قطاعات صناعية مستهدفة بتقديم لها التمويل الميسر طويل المدي والحماية المطلوبة في حدود ما تسمح بها اتفاقات التجارة الدولية وظروفها حتى تقوى على المنافسة الحرة.

ومن الغريب ان الحوار الدائر في مصر الان حول التنمية الاقتصادية يكاد يخلو تماما من ذكر التجربة المصرية الرائدة الكبرى- قبل ثورة يوليو ٥٢- ودارستها وتحليلها والافادة منها ، وهي بالطبع تجربة طلعت حرب . بل إنني حاولت ان أجد في المكتبة المصرية الحديثة شيئا ذا قيمة عن هذه التجربة ، فلم أجد.

تكمن عبقرية طلعت حرب في انه تنبه مبكرا الي ان محصلة الاعمال والجهود الفردية لن تصل في مجموعها الى مستوى مجابهة المشكلة الاقتصادية القومية . وبالتالي لم يعتمد على امكانياته الشخصية أو تشجيع الاخرين على استخدام امكانياتهم في القيام بأعمال فردية تسهم في التنمية في مجموعها ،كما تشير السياسات الرأسمالية الحالية ، لكنه استطاع ان يرى بوضوح ان العمل لابد ان يكون عملا جماعيا وان يغطي أكبر قدر من الطاقات القومية كبيرها وصغيرها للقيام بعمل جماعي ومنسق وتم التخطيط له مسبقا وبذلك استطاع في بحر سنوات قليلة ان يغير وجه النشاط الصناعي والاقتصادي في مصر تغييرا جذريا .

اذا قارنا ذلك بجهود الاستثمار الفردي الوطني أو الاستثمار الاجنبي في مدى العشرين سنة الماضية نرى ان كلا منهما لا يزيد اسهامه عن حوالى ٥ر٢٪ من الجهد الاستثماري اللازم لاستيعاب العمال الجدد الذين يدخلون سوق العمالة سنوياً.

إننا وإن اعطينا الجهد الفردي ما يستحق من تقدير -فإننا نصر ان الحل الذي يصل الى مستوى ما يواجهنا من تحديات لابد وان يكون حلا قوميا جماعيا منظما طبقا لخطة مسبقة على غرار تجربة طلعت حرب الرائدة.

أزمة اليسار الماركسي ومستقبل الاشتراكية

أحمد عبد القوى زيدان

فجّر انهيار الاتحاد السوفيتي وبلدان شرق اوروبا طوفانا من النقد لدى الماركسيين المصريين ، وقد انقسموا الى ثلاث اتجاهات:الأول: يرى فيما حدث نهاية الحلم الاشتراكي ووداعا للنضال من أجله ، وان ما حدث دليل على ان الرأسمالية هي نهاية التاريخ ومن ثم هجر صفوف الاشتراكية بل اصبح بعضهم المنظرين المعتمدين لما يسمى بالليبرالية الجديدة.

الاتجاه الثانى: لم يغادر صفوف الاشتراكية ولكن اليأس دب فى اعماقه فساد شعور بعدم اليقين واصبح العمل من اجل الاشتراكية لا يمثل هماً حقيقياً بل مجرد استمرار تاريخي يحفظ للذات بعض توازنها.

الاتجاه الثالث: رأى أن ما حدث يحتم ضرورة لشحذ العقل النقدى فى قراءة الفكر الاشتراكى العلمى مع ضرورة العمل السياسى النضالى باعتباره البوصلة التى توجه وتشحذ عقله النقدى لبطور الفكر الاشتراكى.

وبداية اعتقد ان التركيز على أن أزمة اليسار الماركسى فى مصر ناجمة عن اسباب خارج بنية هذا اليسار ذاته ومكوناته الطبقية وتاريخه النضالى وفكره المتحقق فى الصراع الطبقى ، هو فى ذاته نوع من تكريس أزمة اليسار فكراً وممارسة.

وأزمة النموذج السوفيتى -التى انتهت بانهياره -وامتداد تأثيرها الى اليسار -الماركسى المصرى ليس الا عاملا اضافيا ساعد على تفاقم ازمة هذا اليسار التى هى نبت الواقع المصرى.

ان الماركسية -فى مصر- فكراً وممارسة لم تكن إلا تعبيرا جزئيا عن الصراع الطبقى فى الواقع المصرى -ولكنها كانت تعبيرا كليا عن قضية التحرر الوطنى وقد ساعد هذا على وجرد بعض السمات للحركة الماركسية المصرية نعتقد انها تكون ازمة هذا اليسار.

على مستوى الفكر مارست البرجوازية تأثير كبيرا على الفكر الماركسى فما سمى بطريق التطور اللارأسمالى أو المجموعة الاشتراكية ، لم يكن نتيجة لتأثير الطرح السوفيتى بل نجد جذورها الحقيقية فى تأثير الفكر البرجوازى المصرى على الفكر الماركسى ، وذلك لضعف الحركة الماركسية عن خوض الصراع الطبقى وجمه غالبا لصالح ما تعتقد انه يدعم حركة التحرر الوطنى... أى سيطرة المفاهيم البرجوازية على حركة التحرر الوطنى ، وعجز الماركسية عن ان تمارس دورها فى حركة التحرر الوطنى من موقعها الطبقى ، وما حل الحزب الشيوعى (١٩٦٥) إلا ذروة هذا التأثير والخضوع للفكر البرجوازى ، كما انه التعبير الاكثر جزما على أن الحركة الماركسية المصرية لم تكن تعبيرا أصيلا عن الصراع الطبقى بقدر ما كانت تعبيرا عن احتياج حركة التحرر الوطنى . ولذلك عندما بدا ان حركة التحرر الوطنى وصلت الى تحقيق انتصارها شعر البعض بانه ليس للحزب دور وانهم يتحدثون ذات اللغة التى يتحدثها النظام الناصرى فتعلق قادة الحركة باذيال السلطة ولو كانوا تعبيرا حقيقيا عن الصراع الطبقى لاختلفت لغتهم ،واولوياتهم عن لغة واولويات النظام ومن ثم لشعروا بضرورة الحزب الشيوعى.

وقد انعكس هذا التأثير ايضا فى الضعف النظرى للكادر الماركسى فقد عومل الفكر النظرى داخل صفوف الحركة الماركسية كما لو كان ترفا ، ولم يكن هذا الموقف نتيجة لسلفية الفكر الماركسى ، كما ان التهميش الثقافى لم يكن خضوعا للنموذج السوفيتى ، بل ان السبب الحقيقى فى تهميش الفكر والثقافة فى الحركة الماركسية المصرية ينبع من تأثير الفكر البرجوازى ولذلك كان الفعل السياسى هو السبب الحقيقى فى تهميش الفكر النظرى ، واشهار سيف الخروج على النص لمن يحاول ان يعمق الفكر النظرى فى حقل الصراع الطبقى ، ولذلك لم يكن غريبا ان تنتشر فى صفوف الماركسيين ظاهرة الابداع النظرى خارج الخدمة او بعد الخروج على المعاش ، اي ظاهرة وجود كتابات تحاول ان تقترب بالماركسية من واقع المجتمع وحقل الصراع الطبقى ، ومحاولة ان تجد طريقا مصريا لتحقيق الحلم الاشتراكى ، وكان معظم هؤلاء قد اصبحوا خارج الحركة الماركسية المنظمة.

وقد انعكس هذا الفكر على المستوى النضالى والحركى فى عدة ظواهر.

بدت الحركة الماركسية حركة سياسية لا تستهدف السلطة فبرغم الحجم الهائل لتضحيات الماركسيين المصريين ، فالمتتبع المدقق يرى أن الحركة الماركسية دفعت ثمنا غاليا ولكن لدعم الغير الذى يقرر عند نقطة الاختراق البطش بها فتبدأ من جديد.

ان غياب الهدف- الوصول للسلطة -كان سببا اساسيا فى عجز البناء التنظيمى للحركة

الماركسية . ولذلك كم من كوادر انسحقت بالحركة السياسية الماركسية المنظمة وخرجت لتمارس دورا في الحياة السياسية والثقافية وشعرت انها لم تخسر كثيرا فهي تقوم بدور تنويري والمنظمات الماركسية لا تفعل أكثر من ذلك كثيرا ، فالوصول الى السلطة ليحقق الاشتراكية هدف غير مطروح علي اولوياتها عمليا بل ونظريا ايضا.

ادي غياب مسألة السلطة -وهي جوهر العمل السياسي -وكون الحركة الماركسية المصرية تعبيرا عن احتياج الحركة الوطنية أكثر من تعبيرها عن الصراع الطبقي ، إلى أن ترث الحركة الماركسية داء عضالا وهو النظر الى أعلى حيث من يجلسون في مواقع السلطة والحديث الذي ينتهي عن وجود اختلافات في صفوف من في الحكم والعمل الدءوب على الالتحاق لمن يسبغون عليه صفة الجناح الوطني ، والحديث الذي لا يمل عن ضرورة الجبهة مع هذا الحليف ، في ذات الوقت افتقدت الحركة الى فضيلة النظر الي اسفل الى جماهير الطبقة العاملة والفلاحين وغيرهما من القوى الاجتماعية.

(راجع نقد **غالي شكري** في كتابه **الثورة المضادة** لبيان الحزب الشيوعي المصري) الصادر في يوليو ١٩٧٥ ص٢٧٥-٢٨١) كما يراجع كتاب **الاهالي صحيفة تحت الحصار لحسين عبد الرازق** ، مذكرات رئيس تحرير **لمصطفى بهجت ومثقفون وعسكر لصلاح عيسى وخاصة فصل اسلحة اليمين الفاجرة واسلحة اليسار الفاسدة**).

اننا نعتقد أن هذه العيوب هي التي ادت الى تحلل الحركة اليسارية المصرية- فبعد ان اشتد عودها في السبعينات ، عندما سقط أي رهان على اي من أجنحة البرجوازية ، وتحقق نمو يساري كان قادرا على التجذر في الواقع الاجتماعي ،واحدث قطيعة مع هذا الذات الاخلاقي .. الا أن مقتل السادات واتخاذ مبارك لسياسة التهدئة سرعان ما كشفت عن عمق هذه السمة من سمات اليسار الماركسي المصري.

ولقد كانت النتيجة فادحة وهو ما نراه اليوم على الساحة الماركسية.

اننا نعتقد انه لا مستقبل للاشتراكية في اطار الحركة اليسارية الموجودة على الساحة اليوم الا باحداث **قطيعة** مع هذه السمات التي اوضحناها سابقا ، وتجذير الصراع الطبقي بالاهتمام والانطلاق من وعي لصالح الطبقة العاملة والفلاحين أساسا ، ولا نعني بذلك بالطبع اننا ندعو للتنكر لدور الطبقة العاملة في الصراع الوطني أو التوجه الاشتراكي إلى الفئات الاجتماعية الأخرى ، بل ان الطبقة العاملة بفكرها الماركسي مدعوة أن تلعب دورا أكثر جذرية في هذا المجال ولن يتم هذا الا اذا كان هذا الدور من موقعها هي الطبقي.

ونحن نعتقد ان هذا لن يتحقق إلا بالتأكيد على الاستقلال التنظيمي والسياسي والفكري ، وبعيدا عن تأثير البرجوازية بأجنحتها المختلفة ايا كانت درجة وطنيتها.

ويبدأ هذا الطريق باجراء اوسع نقاش حول الماركسية والاشتراكية العلمية بين صفوف الماركسيين بكافة اتجاهاتهم وبكامل الحرية وينظم هذا النقاش ليحقق الهدف منه وهو الوصول الى رؤية أكثر وضوحا وأكثر ارتباطا بالصراع الطبقي الدائر في المجتمع وأكثر تمثلا وتطويرا لقيم المجتمع المصري أي بعبارة أخرى رؤية أعمق ماركسيا.

وان يتم هذا -ليس بمعزل عن- بل في حضن العمل الجماهيري في صفوف العمال والفلاحين والحركات الاحتجاجية في صفوف الفئات الوسطى ، يكبر معها -اي الحركة الجماهيرية- ويصلب عودها ويكون مرشدا لها حتى لا يتكرر الحد من فاعليتها لصالح البرجوازية.

الحزب الشيوعي المصري

المؤتمر العام الثالث للحزب الشيوعي المصري

نوفمبر ١٩٩٢



إسلام لا كهانة

دولـــة الأزهـــر

خليل عبد الكريم

«الأمم الاسلامية في الوقت الحاضر تتبع قوانين وضعية تبيح ما حرمه الله وخصوصا كبائر الاثام من إباحة الزنا والربا ومن عصيان الله في عبادته ومعاملات الناس ومن آثر قانون العباد الوضعي على قانون الله الشرعي فقد كفر».

هذه الفقرة لم ترد في منشور إحدى الجماعات الإرهابية التي ترفع شعار الدين انما ظهرت في مجلة «الأزهر» ص٧٣٧ ، عدد جمادي الآخرة ١٤١٥هـ ، نوفمبر ١٩٩٤ ، وهي تكفير صريح للحاكم والمحكومين وما يستتبع التكفير معروف.

ولكن كيف تجرؤ مجلة «المعهد العتيق» على ترويج هذا الفكر الذي تحاربه الدولة في كل ميدان. ؟

الجواب : لان الازهر تحول الى «دولة» عما قريب تعلن استقلالها عن مصر وليست هذه فكاهة (نكتة) ، فالذي يراقب عن كثب احواله يتبين له بجلاء أن المتنفذين فيه يعملون علي ذلك بهمة وعلى راسهم شيخه فهو يقابل رؤساء الوزارات ورؤساء الوفود والوفود والوزراء وسفراء وقناصل الدول. وعلى الرغم من انه مرؤس لرئيس الوزراء فإنه يصر على أن الأخير هو الذي يسعى اليه ويحدد له مكتبه موعدا ليحظى بشرف اللقاء ، وقد أذعن لذلك كله «**الطبيب الأمير**» **الدكتور عاطف صدقي** !!!

وتنشر مجلة الخصوصية أخباره من سفريات ومقابلات في باب عنوانه «أنباء الامام الأكبر» يحرره أستاذان يدفع راتبيهما المواطن المسحوق ، والمعروف ان رئيس مصر وحده هو الذي تخصص له الصحف القومية باباً لنشر أخباره .

ومثل الخلفاء والسلاطين -أيام عز الإسلام- للشيخ جاد «**شعراء مداحون**» تحمل المطبوعات التي ينشرها المعهد العتيق قصائدهم العصماء في مدح الشيخ وتعظيمه وهذا ما لم يحدث في تاريخ الأزهر ، وفي جريدة الاهالي ١٦-١١-١٩٩٤ أوردت ضمن مقالتي (مجمع البحوث الاسلامية من جوه) شطراً من قصيدة مدح رفعها الى مقامه عضو بالمجمع المذكور في صدر كتاب نشره «المعهد العتيق» -ثم طالعت ب مجلة الازهر عدد رجب ١٤١٥ هـ - ديسمبر ١٩٩٤ قصيدة خريدة مدحه بها إمام وخطيب حظي ببعثة خارجية ، ننقل منها:

وإلينا أتت رعاية شيخ الجامع الازهر الشريف احتسابا

شيد العلم مجد الفهم حتى
تسمى به فخر وطابا
نحن في ظله نباهي ونقدم
به لنداء لا يحترن اضطرابا

ومع ركاكتها فقد سمح الشيخ بنشرها لان فيها تمجيداً وتعزيزاً وتطييباً لذاته، وعلى الرغم من أننا لفتنا نظره في مقالنا المشار اليه آنفا : أن الإسلام يكره المدح وينهى عنه.

****

والشيخ جاد يعقد معاهدات (نعم يعقد معاهدات) مثل التي أبرمها مع رابطة العالم الاسلامي، وأجرّ أحد مباني **المعهد العتيق** مفروشاً لأحد شيوخ النفط بحجة انشاء معهد لما يسمى بـ الاقتصاد الاسلامي استخدم فيه عدد من خشداشي الشيخ برواتب يسيل لها أي لعاب مقدس ، وآخر ارتباطاته مع(الاكاديمية العلمية الاسلامية) بـ كولونيا / المانيا (نشر الخبر في عدد جمادى الاخر ١٤١٥هـ/١/ نوفمبر ١٩٩٤ م من مجلة الازهر بالقسم المكتوب بـ اللغة الانجليزية!!!) ، وهذه الجهات جميعها مشبوهة وصلاتها بأقلام الاستخبارات العربية والايرانية والاوروبية والامريكية معروفة كما ان تمويلها تتكفل به دول تكنّ لمصر خالص العداء.

وعندما كان يعالج الشيخ جاد في سويسرا (على ايدي الفرنجة الكفرة . أ. هـ) أرسل له بابا روما مع أحد الكرادلة الفرنسيين رسالة تكتم مضمونها كما انه تحالف مع الفاتيكان لتوحيد الموقف تجاه وثائق ثم توصيات مؤتمر السكان(سبتمبر ٩٤/ القاهرة).

وأصدر «**مجمع البحوث الاسلامية**» الذي يرأسه بياناً هاجم فيه المؤتمر المذكور واتهمه بأن يتبنى نقيض الاسلام ويشجع الشذوذ الجنسي .. الخ.

وسمح لجماعة اطلقت على نفسها (جبهة علماء الازهر) بنشر بيانين في المجلة -(حقته)-هاجمت فيهما مؤتمر السكان وتوجه وزارة التعليم في مسألة الحجاب بالمناقضة والمواجهة لسياسة الدولة.

(والآن يدعى الازهر بجامعة وجبهاته وندواته .. الخ انه يعارض الحكومة بسند من الشريعة وفي الماضي القريب عندما كانت الدولة والحكومة قويتي الشكيمة مرهوبتي الجانب كان يؤيدها تأييدا مطلقا وايضا بسند من الشريعة . أ. هـ)

وهكذا تحددت مواقف الشيخ جاد الحق تحديدا دقيقا لايدع مجالا لأي شك تجاه سياسات الدولة في أي مجال.

وبعد

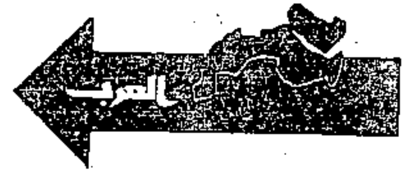
فقد سبق لكاتب هذه السطور ان نبه لأمور عديدة ثم تحقق ما حذر منه : مشكلة جماعات العنف وان علاجها سياسي (ديمقراطي) ، اجتماعي، اقتصادي، بيئي (أيكولوجي) وليس أمنيا مع التقدير البالغ لتضحيات رجال الامن.

والتخلف المزري الذي يعيشه «**الصعيد الجواني**» وآخر مقال في هذا الشأن كان في الاهالي في يناير من العام الماضي بعنوان «**رحلة الشتاء**» ثم جاءت كارثة السيول وصدقت كل حرف سطرناه.

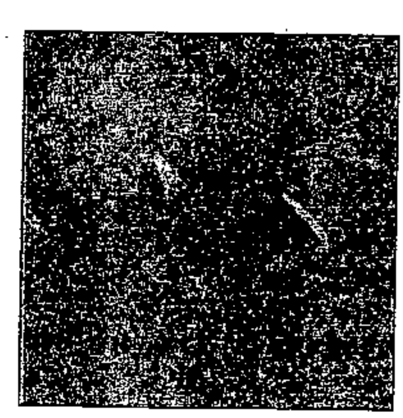
والآن نقول في «مشكلة الازهر ورئيسه الشيخ «**جاد الحق**» انه اذا استمرت حكومة الحزب الوطني «**الرخوة**» جاثمة على صدر المحروسة ، فلن تكون مفاجأة اذا استيقظنا ذات صباح على صوت الشيخ جاد الحق وهو يذيع «**البيان رقم واحد بقيام دولة الازهر**» ، حدودها قسم الجمالية ، على غرار الدولة الثيوقراطية القابعة في قلب عاصمة دولة أوربية متوسطية.

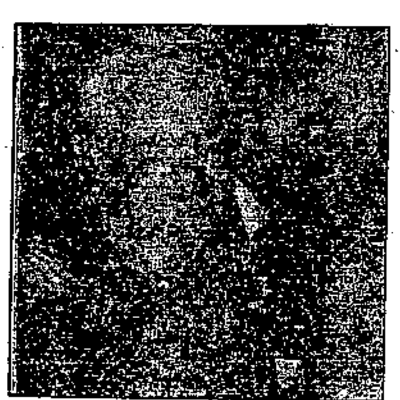
اللهم اني قد بلغت اللهم فاشهد

رسالة هذا العدد ليست سياسية ، مع انها تتعلق برجل السياسة الاول فى اسرائيل وزير الخارجية ، والقائم بأعمال رئيس الحكومة فى غيابه ، شمعون بيريز انها رسالة تتعلق بالدين ورجال الدين اليهود والاحزاب الدينية السياسية . فكما هو الحال في عالمنا الكبير ولدى جميع الأديان والعديد من رجال الدين السياسى أو السياسيين كذلك لدى اليهود في اسرائيل ... الخلط بين الدين والسياسة يلخبط الاوراق ويسيئ لجميع الاطراف، وخصوصا للدين ، واليكم نموذجا



بيريس .. يتمرد على الملك داهود







من حين لآخر، يطلق احد رجال السياسة العلمانيين في اسرائيل تصريحا .. ينمّ عن تشكيك فى أسطورة دينيـة أو يطعن فى جانب من جوانب التراث الدينى ، فتحدث أزمة سياسية تنشغل فيها الدولة واحزابها بضعة أسابيع ، ثم يتجند رجال السياسة من كل حدب وصوب لتسوية الازمة إلى حين تنفجر أزمة جديدة..

بالنسبة للمراقب من بعيد، قد تكون هذه تسلية ممتعة ولكن، فى زمن الردة الذى نعيش ، وفى الوقت الذى يشهد فيه عالمنا العربى والاسلامى اشد الصراعات بين **العلمانية والدين العقلانى** من جهة **وبين احزاب الدين السياسى والمتعصبين** من جهة ثانية ، تبدو المعارك الدينية في اسرائيل مثيرة بشكل خاص ، فهنا ، وعلى الرغم من كل ما يمكن ان يقال دفاعا عن الدين أو عن العلمانية ، فان الصراع يظل فى اطار النقاش العام الذى يأخذ فيه كل طرف بعين الاعتبار مصالح القناعات الفكرية التى يدافع عنها ، وبعد تشرب المعركة ، يسعى كل طرف للتخفيف من حدة المشكلة والصراع ، حتى يخرج هو وقناعاته الفكرية بأقل ما يكن من الأضرار ، فلا يتطور **الامر الى** عنف وارهاب ، ولا يستفحل الصراع لتعميق الهوة بين الاطراف.

الملك داهود

المشكلة هذه المرة تتعلق **بالملك داهود.**

والملك داهود هو بانى المملكة اليهودية فى القدس، يعتبره اليهود ،متدينين ، وعلمانيين، الثانى بعد **النبى موسى** فالأول هو النبى والقائد الروحى والفيلسوف ومؤسس الديانة اليهودية والثانى هو **القائد السياسى والعسكرى والشاعر ، صاحب المزامير الشهيرة** بدأت شهرته وهو صبى يرعى الماشية ، فعندما وقف جوليات الجبار على رأس الجيش الفلسطينى يتحدى بنى اسرائيل كل يوم،

ولمدة اربعين يوما ، داعطونى رجلا نتحارب معا » (التوراة فى سفر صموئيل الاول- الاصحاح ١٧-الآية ١٠) ، فلا يجرؤ أحد من بنى اسرائيل على قبول التحدى ، جاء الراعى داهود الفتى الاسى الصغير، وخرج الى **جوليات** بمقلاعه، وضرب جوليات فأراده قتيلا ، وقطع رأسه بسيفه.

وبات داهود اسطورة للبطولة **اليهودية ليس امام الفلسطينيين فحسب، بل فى وجه كل الاعداء، وكانت هذه الاسطورة درسا اوليا فى اليهودية ليس لدى المتدينين فحسب، بل تعلمها كل طفل يهودي فى مدرسته ، وتناقلتها الاجيال ، واصبحت نظرية عسكرية متكاملة ، تبدو فيها دولة اسرائيل «الصغيرة» فى المحيط العربى ، مثل داهود امام جوليات.**

واذا كانت الاسطورة ، نموذجا تراثيا بالنسبة لاسرائيل الفتية فانها بعد سنة ١٩٦٧ وحرب الايام الستة التى انتصرت فيها اسرائيل على مائة مليون عربى ، اصبحت تراثا حديثا جدا ، يرفع المعنويات ويلهب الحماس ويقوى النفس العسكرى الاحتلالى المتغطرس.

ولكن داهود لم يبق فقط ذلك الفتى البطل. وهذا يعرفه كل يهودى ، وكل دارس للتوراة . غير ان هناك اجماعا قوميا على أن لا يذكر شئ عن داهود سوى بطولاته.

وفى أواسط الشهر الماضى (١٣ كانون الأول- ديسمبر ١٩٩٤) خرق ذلك الاجماع رجل السياسة الاول فى اسرائيل ، وزير الخارجية والقائم باعمال رئيس الحكومة فى غيابه ، شمعون بيرس.

كان ذلك خلال جلسة برلمانية (للكنيست) ، قوى المعارضة اليمينية طرحت مشروع قانون معاد للحكومة ، فوقف **بيرس** يرد على النقاش باسم الحكومة ، بوصفه القائم مقام رئيس الحكومة **رابين**(الذى كان حينذاك يزور اليابان) ، وخلال الرد قاطعه أحد نواب اليمين صائحا ، عن **مدينة القدس مدينة الملك** داهود ، فرد بيرس بحركة استهتار من يده ، فصاح احد قادة الاحزاب الدينية فى الكنيست محتجا: «**انت تستهتر بالملك داهود**» فأجابه بيرس من على منصة الكنيست : «**الملك داهود لا يعبر عن كل شئ فى اليهودية ، وأنا لا أرى فى كل ما فعله الملك داهود ، على الأرض وعلى أسطح المنازل ، أمرا يهوديا** ».

فثارت العاصفة أحد قادة الاحزاب الدينية فى الكنيست **الحاخام رابتس** ، صاح من القاعة فى وجه بيرس: «**اغلق فمك**» وخرج جميع النواب المتدينين من القاعة (١٦ نائبا) ، واعلنوا انهم سوف يطرحون مشروع قانون لنزع الثقة عن الحكومة واسقاطها وطالبوا **رابين بأن يقيل بيرس من الحكومة.**

ونقل عن **رابين** إنه بعث ببرقية عاجلة إلى نائبه يطلب منه ان يصلح الموضوع مع الاحزاب الدينية فى أسرع وقت ممكن بأى ثمن ، فهو أى **رابين** يفتش عن وسيلة لادخال حزب دينى الى الائتلاف الحكومى ، لكى **يوسع ائتلافه ولا يخضع الى ضغوط العرب واليسار فى ائتلافه.** وكاد يتوصل الى اتفاق مع حزب **شاس** (المتدينين الشرقيين ، وله ٥ نواب) ، وفى هكذا حالة ، وحتى لو ارادت **شاس** الانضمام الى ائتلاف «رابين -بيرس» فان هذا التصريح من بيرس سيمنعها ، وسيحرجها أمام رجال الدين وبقية الاحزاب الدينية.

لذلك، أصدر **بيرس** بيانا فى **اليوم نفسه ، يعتذر فيه عن «التعبير غير الموفق»** ويعلن انه لم يقصد الاساءة ، للدين أو لرجال الدين ، لكن قادة الاحزاب الدينية لم يكتفوا بذلك بل وطلبوا اعتذاراً علنيا وواضحا من على منصة الكنيست ، فبدون ذلك لا يمكن ان يصوتوا الى جانب الائتلاف ، ويصرون على المضى فى مشروع نزع الثقة.

الملك البصباص

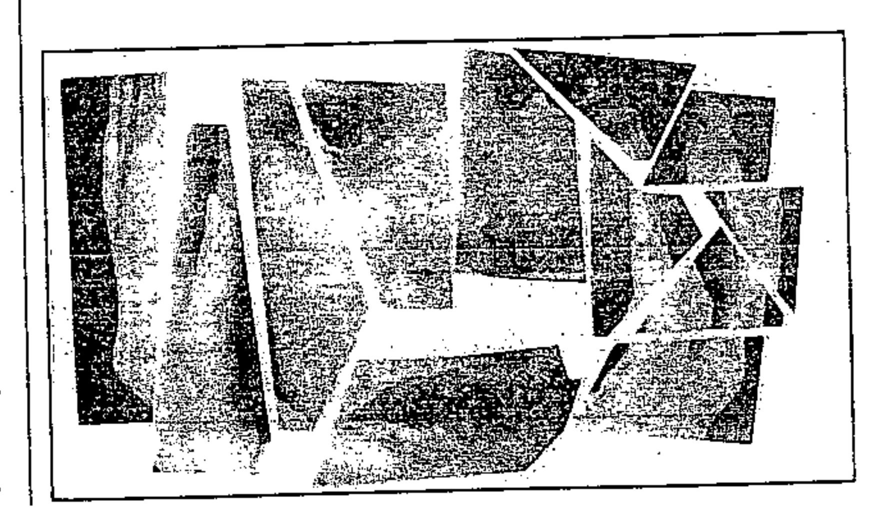
لكن، حل الاشكال «الحزبى- الائتلافى» ، لم يحل المعضلة بالنسبة للصحفيين ، والمعلقين والكتاب ، فهؤلاء ملزمون تجاه قرائهم بكتابة الحقيقة.

وكان السؤال الذى توقعت الصحافة ان الناس تريد عليه الجواب هو : ماذا فعل الملك داهود ولم يعجب السيد بيرس؟ ماذا فعل الملك داهود .. تحديدا؟ فوق أسطح المنازل والتعليقات والتحليلات والمقابلات تنشر ، فى الصحافة المكتوبة والمسموعة والمرئية ، حول الملك داهود ، شخصيته وتاريخه.

وساهمنا نحن أيضا فى البحث.

والمصدر الاهم للحديث عن الملك داهود، ملك أسرائيل الدينى والسياسى والعسكرى ، هو الكتاب المقدس -العهد القديم أى التوراة ، وشمعون بيرس رجل واسع الاطلاع عميق الثقافة ، وقد درس هو ايضا التوراة ، ومن هنا حديثه عن أفعال الملك داهود فوق اسطح المنازل.

وهذا ما وجدناه فى التوراة» سفر صموئيل الثانى الإصحاح من الآية « رقم ٢ حتى الآية ٢٦ » :وكان فى وقت المساء وان داهود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك ، فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جدا ، فأرسل داهود وسأل عن المرأة ، فقال واحد «أليست هذه بنت **شيبع بنت اليعام امرأة أوريا الحثى؟** فأرسل داهود رسلا وأخذها ، فدخلت اليه فاضطجع معها وهى مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها ، وحبلت المرأة ، فأرسلت واخبرت داهود وقالت «أنى حبلى» ، فأرسل داهود الى يوآب يقول دارسل إلى **أوريا الحثى»فأرسل يوآب اوريا الى داهود** ، فأتى اوريا إليه ، فسأل داهود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب وقال داهود لأوريا : «انزل الى بيتك واغسل رجليك» فخرج اوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصة من عند الملك ، ونام اوريا على





باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ، ولم ينزل الى بيته فقالوا لداهود : ولم ينزل اوريا الى بيته» فقال داهود لاوريا : «اما جئت من السفر» فلماذا لم تنزل الى بيتك؟ فقال اوريا لداهود «ان التابوت واسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام ، وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء ، وأنا آتي الى بيتي لآكل واشرب واضطجع مع امرأتي ، وحياتك وحياة نفسك لا افعل هذا الامر فقال داهود لاوريا : «أقم هنا اليوم ايضا ، وغدا اطلقه» فأقام اوريا في اورشليم ذلك اليوم وغده ودعاه داهود فأكل امامه وشرب واسكره وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده ، والى بيته لم ينزل.

وفي الصباح كتب داهود مكتوبا الى يوآب وارسله بيد اوريا ، وكتب في المكتوب يقول «اجعلوا اوريا في وجه الحرب الشديدة ، وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت . وكان في محاصرة يوآب المدينة انه جعل اوريا في الموضع الذي علم ان رجال البأس فيه ، فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب ، فسقط بعض الشعب بين عبيد داهود ، ومات اوريا الحثي ايضا.

فلما سمعت امرأة اوريا انه قد مات اوريا رجلها ندبت بعلها ، ولما مضت المناحة ارسل داهود وضمها الى بيته ، وصارت له امرأة وولدت له ابنا».

رمز الشقاق

وتقول التوراة أن الله لم يحب تصرف داهود اللاأخلاقي هذا فعاقبه بأن جعل ابنه من امرأة اوريا الحثي يموت ،وهو رضيع ، ولم يكتف هذا بل جعل احد ابنائه ، امنون يضاجع شقيقته تمار احدى بناته ، تمار ، وبعد ان فرغ امنون من مضاجعة شقيقته تمار.. ضربها وطردها من قصره شر طرده فقام اخوهما ابيشالوم بالانتقام لشرف اخته فقتل الشقيق الجاني ، امنون فلم يرق الامر لداهود فراح يطارد ابيشالوم وبعث له من يقتله ، ولم يقف ابيشالوم مكترف الأيدي فرد على والده الملك داهود ، الصاع صاعين ، وراح يحرض الاطفال والعبيد على الملك ، فرجمه هؤلاء ، فهرب الملك داهود إلى شرق الأردن ، تاركا القدس لابنه المتمرد. ثم عاد بجيش مغوار يحارب ابنه.

وكان الملك داهود منذ انتصاره على جوليات رمزا للشقاق والصراع بين بني اسرائيل.

فعلى اثر انتصاره حسده ملك اسرائيل شاؤول وخشي ان يحبه الشعب أكثر منه فراح



يدبر المؤامرة ، تلو المؤامرة لقتله.

وقد عرف عن داهود حبه للنساء ، فأرسل شاؤول ابنته ميخال لكي توقع به، ولكن ميخال احبت داهود فلم تؤذه ، فأرسل شاؤول ابنه يوناثان لقتل داهود فأحبه هو الآخر ، وأفشى لداهود بالسر.

فما كان من ملك اسرائيل شاؤول الا ان يحاول قتل داهود بنفسه ، فحمل سيفه وسعى اليه لكن محاولته انكشفت ، وتمكن داهود من الهرب ، وتخفى بين عامة الناس وتظاهر بالجنون «فاخذ يخربش على مصاريع الباب و يسيل ريقه على لحيته » (سفر صموئيل الاول- الاصحاح الحادي والعشرون الآية ١٣)

وعندما اصبح داهود ملكا ، كان اول ما فعله الهجوم على بيت نابال الكرملي واخذ منه زوجته ابجايل ، ثم فعل الامر نفسه على بيت في يزراعيل حيث اتخذ له لزوجة اخينوعم ، وفي حبرون تزوج من اربع نساء اخرهن: معكة بنت تلماي ملك جشور ، ثم حجيت وابيكال وعجلة.

وحتى عندما كان الملك داهود على فراش الموت عاجزا لم يترك اخلاقياته النسوية ، وكما جاء في سفر الملوك الاول- الاصحاح الاول -الآية (١-٥) «وشاخ الملك داهود ، تقدم في الأيام ،وكانوا يغطونه بالثياب فلم يدفأ ، فقال عبيده وليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء ، فلتقف امام الملك ولتكن له حاضنة ،ولتضطجع في حضنك ، فيدفأ سيدنا الملك» ، ففتشوا على فتاة جميلة في جميع تخوم اسرائيل فوجدوا ابيشيج الشونمية فجاءوا بها الى الملك ، وكانت الفتاة جميلة جدا ، فكانت حاضنة الملك وكانت تخدمه.

لفلفة الموضوع

وهكذا ، فان ملك اسرائيل ، الذي اعطى المكانة الثانية في اليهودية بعد النبي موسى ، كان فاسقا ، استغل مركزه ليسبي البنات على هواه ، بمن في ذلك النساء المتزوجات.

وعندما ضاجع زوجة أوريا الحثي التي بصبص عليها وهي تستحم وعلم انها حملت منه أراد جلب زوجها اليها حتى لا يتساءل بعد حين كيف حملت زوجته ، ولما رفض الزوج ان يضاجع زوجته بسبب اخلاصه لرفاقه في الحرب ، ودبر له ان يقتل في المعارك . والخ.

فلماذا ثار المتدينون اذن ، من كلمة شمعون بيريز عندما قال : «أنا لا أرى في كل ما فعله الملك داهود على الارض وعلى اسطح المنازل امرا يهوديا »؟ ثاروا بشكل هستيري وقد توجه كل اعضاء كتلة دينية الى مجلس حاخاميه من فقهاء الدين يطلب المشورة .. عن الخطوات القادمة.

ولكن ، كان هناك بين الفقهاء اناس حكماء ، وقد انتبهوا إلى أن الأستمرار في اثارة الموضوع في الكنيست سوف يؤدي إلى طرح سيرة الملك داهود وفصول أخرى من التوراة على جدول الأبحاث البرلماني والصحفي ، وفي اسرائيل لا توجد اية قيود على حرية النقاش والجدل الديني ، ومما لا شك فيه ان الدين والمتدينين سيخرجون خاسرين من مثل هذا البحث.

فماذا يستطيعون القول دفاعا عن افعال الملك داهود وماذا سيفعلون اذا تحدث أحد النواب العلمانيين، وهم كثيرون وجريئون وغالبية الشعب معهم وتزيد افكارهم ضد الغيبية والسلفية والتطرف ، عن هذه السيرة؟

وماذا سيفعلون اذا طرحت التحليلات العديدة لشخصية الملك داهود ، التي تحدث بعضها عن «لوطيته»؟!.

لذلك ، قرر الحكماء طي الموضوع ، وإيجاد سبيل للفلفته فاكتفوا بالاعتذار الذي نشره بيرس ، ولكن وسائل الاعلام لم تكتف بذلك وواصلت نشر التعليقات والتحليلات .. عن الملك داهود وشخصيته وعن وقاحة رجال الدين في الدفاع عنه كأنه مقدس.

وكما جرت العادة ، فان سكوت رجال الدين ،والاحزاب الدينية وعدم انجرارهم الى النقاش في الموضوع ، سيسرع في إغلاقه .. بانتظار المعركة الأخرى القادمة.

الانتخابات مقابل الأمن صيغة إسرائيلية لتحديد معالم الحل النهائى



رسالة القدس

المفاوضات الفلسطينية الاسرائيلية حول اجراء الانتخابات فى الضفة الغربية والقطاع واعادة انتشار الجيش الاسرائيلى، ستبقى تراوح مكانها ، حسب رأى المراقبين لفترة غير قصيرة من الزمن ، ويبدو ان الجانب الاسرائيلى يفضل اسلوب المماطلة والتباطؤ فى المفاوضات الجارية ما لم يجر الاتفاق مسبقا مع الجانب الفلسطينى على تطبيق تفاصيل المعادلة الاسرائيلية: «الانتخابات مقابل الأمن».

وتشير الأوساط الاسرائيلية بهذا الصدد، إلى أنه فى حالة اذا ما اصر الفلسطينيون على الربط بين الانتخابات واعادة انتشار الجيش خارج المناطق السكانية الفلسطينية فمن المرجح أن تؤجل الانتخابات الى ان يتم اتخاذ الاجراءات الكفيلة بضمان الامن الاسرائيلى ! ومن هذه الاجراءات **شق طرق جديدة تلتف حول المدن والتجمعات السكانية العربية، وتؤمن الوصول الأمن للمستوطنات وبناء قواعد جديدة للجيش واقامة الاسيجة والمناطق العازلة وغيرها من الاجراءات.**

بالفعل فقد اعلن عن مخطط اسرائيلى واسع لشق مئات الكيلومترات من الطرق الالتفافية حول المدن والقرى العربية يهدف ربط المستوطنات الاسرائيلية فيما بينها من ناحية ومع اسرائيل من الناحية الاخرى . كما اعلن ايضا أن تكاليف هذا المخطط الواسع قد تتجاوز ٣ مليار شيكل أو مليار دولار وبالطبع فان هذا المخطط الذي ابتدأ بتنفيذه فى عدة مواقع ، هو شأن اسرائيلى ، لن يخضع للمفاوضات الجارية مع الطرف المعنى بالأمر أى الطرف الفلسطينى ، الذى سيدفع **ثمنا باهظا يتمثل فى مصادرة المزيد من الأراضى العربية فى الضفة وفى تهديد وحدتها الجغرافية والديمقراطية مقابل تثبيت واقع جغرافى وديمقراطى اسرائيلى جديد لصالح المستوطنين فوق الاراضى العربية.**

وعلى سبيل المثال فان هذه الشوارع الالتفافية ستؤدى الى محاصرة مدينة **نابلس** من الناحيتين الغربية والشرقية والي محاصرة مدينة رام الله من الناحية الشرقية ومصادرة حوالى ٢٦٠٠ دونم من أراضيها والي مصادرة مناطق كبيرة الى الشرق من مدينة **جنين** بهدف ربط مستوطنتين صغيرتين هناك مع مدينة **بيسان** داخل اسرائيل والي عزل مدينة **اريحا** عن منطقة الاغوار ، كما سيؤدي الشارع الالتفافى حول مدينة البيرة إلي محاصرتها من الشرق والى مصادرة مئات الدونمات التابعة للعديد من القرى العربية فى تلك المنطقة وغيرها من الشوارع التى لم يكشف النقاب عنها حتى الآن.

ان هذا المخطط الاسرائيلى الذى يهدف لربط مستوطنات الضفة بشبكة طرق تحاصر المدن والقرى العربية واقامة مواقع ونقاط عسكرية ونقاط مراقبة ، واضاءة مناطق ، ووضع اسلاك اليكترونية عازلة، بالاضافة الى العملية الجارية بتوسيع حدود المستوطنات القائمة ، كما اقر مؤخرا عدد من قادة المستوطنين ، ان هذا المخطط يطرح عدة تساؤلات هامة حول **مستقبل المناطق المحتلة ضمن العملية السياسية الجارية** وعما قد تسفر عنه المفاوضات الحالية ومنها: هل المقصود وفق التصور الاسرائيلى ، اعادة انتشار الجيش كما نص اتفاق اوسلو ام تقسيم الضفة وتدمير وحدتها الجغرافية والديموغرافية والحيلولة دون اقامة دولة فلسطينية فى المستقبل كما ينص برنامج حزب العمل !! وهل من المعقول أن تكون مثل هذه الإجراءات الاسرائيلية الواسعة هى مجرد اجراءات مؤقتة!! وهل يعقل ان تنفق الحكومة الاسرائيلية أكثر من مليار دولار لتنفيذ مخطط ثم تتخلى عنه بعد ثلاث سنوات اي بعد انتهاء المرحلة الانتقالية ؟

وبالمقارنة مع النموذج الذى طبق على قطاع غزة حيث احتفظت إسرائيل تحت سيطرتها بحوالى ٤٠٪ من مساحة القطاع بدعوى الحفاظ على أمن تجمعين استيطانيين هناك،فماذا سيكون حال الضفة التى تنتشر فوق اراضيها حوالى ١٤٠ مستوطنة!! وضمن هذه المعطيات فهل هناك جدوى للجانب الفلسطينى من مواصلة المفاوضات حول المرحلة الانتقالية وفق الأسس والشروط التى ترتئيها اسرائيل؟

وفى اطار الإجابة الاسرائيلية على هذه التساؤلات يتحدث وزير الزراعة يعقوب تسور عن مصادرة نصف اراضى الضفة فى اطار الاتفاق حول الوضع النهائى! ويطالب سكرتير حزب العمل **نسيم زفيلى** بتجميد عملية السلام الى ما بعدعام ١٩٩٦ موعد الانتخابات الاسرائيلية ! ويقول وزير الشرطة **موشيه شاحال** بان خارطة الوضع النهائى لمتطلبات اسرائيل الامنية قد جرى وضعها منذ الآن لكي تحدد الخطوات الاسرائيلية خلال مفاوضات المرحلة الانتقالية ، ويؤكد **رابين** ان اي تقدم فى المفاوضات يرتبط بقدرة السلطة الفلسطينية على الاستجابة لمطالب إسرائيل الأمنية وفى المقدمة وقف العمليات العسكرية.

ومن الأهمية فى هذا المجال أن نشير أيضا إلي اجابة امريكية وردت على لسان وزير الخارجية **وارن كريستوفر** اثناء زيارته الاخيرة للمنطقة عندما قال: «ان **واشنطن لن تنصح اسرائيل بالسعى**

من اجل تقدم المفاوضات دون توفير ضمانات امنية كافية.. وقال أيضا: «ان تعديلات قد تجرى على اتفاق ارسلو من أجل إعادة انتشار الجيش الاسرائيلي في المناطق!!

إن هذه الاجابات تنطوي على أخطار كبيرة بالنسبة لمستقبل المفاوضات الجارية وطبيعة الحلول المقترحة التي بدت تظهر معالمها وخصائصها النهائية بوضوح ،ومما يزيد من هذه الأخطار مواصلة الجانب الفلسطيني التفاوض وفق المعادلة الاسرائيلية «الانتخابات مقابل الامن» واعتماد متطلبات اسرائيل الامنية كمرجعية لهذه المفاوضات بدل مرجعيتها الاساسية التي انطلقت منها ممثلة بقرارات الشرعية الدولية.

إن الخروج على هذه المعادلة وعدم تكرار الاخطاء التي وقع فيها الجانب الفلسطيني عندما وقع اتفاق غزة -اريحا يتطلب اعتماد **خطة سياسية جديدة تقوم على اعتبار عملية الانتخابات خطوة نحو إنهاء الاحتلال وليس تثبيته كما تريد** اسرائيل وفق معادلتها الانتخابات مقابل الامن.

ومن هنا فان ما يقال عن استعداد اسرائيل لتقديم تنازلات شكلية فيما يتعلق بانتخاب رئيس السلطة الفلسطينية بشكل مباشر او زيادة عدد اعضاء المجلس الفلسطيني مقابل موافقة الجانب الفلسطيني على اعادة انتشار القوات الإسرائيلية من ثلاث مدن فقط هي **نابلس** وجنين ورام **الله**، ما هو الا محاولة لتثبيت مطالب اسرائيل الامنية ، وفرض تصوراتها واهدافها وشروطها بالنسبة لطبيعة التسوية المقترحة.

وكما ان الجانب الاسرائيلي يحاول فرض فهمه الخاص بمسألة علاقة الانتخابات بقضايا الحل النهائي واستخدامها كاداة لتثبيت الاستيطان ومواصلة سياسة التوسع والاحتلال، فان على الجانب الفلسطيني ان يرص صفوفه ويعزز وحدته وان يسعى لفرض فهمه لطبيعة واهمية هذه العلاقة من جميع المناطق المحتلة بما فيها القدس-وليس العكس كما تريد إسرائيل.

لذلك فان الانتخابات يجب ان تكون تشريعية ، ولذلك ايضا على الجانب الفلسطيني ان يتوقف عن اللعب ضمن قواعد اللعبة الاسرائيلية وان يباشر بالتفاوض حول المرحلة النهائية ، خاصة وان نموذج غزة اريحا لم يعد قابلاً للتوسيع.

عن جريدة معريف

عمليات إرهاب..

ابتدعتها الاستخبارات الإسرائيلية

كذريعة لشن حرب على مصر

توفرت هذا الاسبوع الفرصة للكشف عن اكاذيب للاستخبارات العسكرية الاسرائيلية قبل سنوات طويلة ، وقد وضعت هذه الأكاذيب في كتاب جديد للدكتورة **ايل كفكافي** الباحثة والمحاضرة في مدرسة التربية للحركة الكيبوتسية في اورنيم، (حرب مخطط لها- الطريق الى سيناء والعودة منها ٥٦-١٩٥٧) كشفت الباحثة عن عملية قامت بها الاستخبارات العسكرية حيث فبركت عملية عنف من اجل القاء المسئولية على الجيش المصري وعلى الفدائيين الفلسطينيين.

قبل عدة ساعات من الهجوم الاسرائيلي بتاريخ ٢٩ تشرين الاول ١٩٥٦ ، اخذ ضابط الاستخبارات ابراهادار اثنين من رجاله وصفهما بعد سنوات بأنهما ضابطان اسمران ، ونقلهما الي بركة وحل في **مرتسهليا** ، وقال ادخلتهما هناك الى الوحل الذي كان يشبه صورة الوحل في سيناء ، ونقلتهما في سيارة ووضعناهم في مركز شرطة يافا.

وأخذهما رجال الشرطة الى مؤتمر صحفي.

وقال «دار» بأن الضابطين كانا بائسين وانتبه الصحفيون الى بؤسهما واوضح «دار» للصحفيين المخدوعين ، «هكذا يبدو الانسان الذي يلقى القبض عليه «انه يبدو بائسا» تحولت الكذبة في اليوم التالي (٣٠/١٠) الى «حقيقة» وحصلت علي تغطية إعلامية واسعة وقد نشرت صحيفة «لمرحاب» على سبيل المثال الخبر في رأس الصفحة الاولى الى جانب النبأ عن اقتحام القوات الاسرائيلية لسيناء ، وورد في النبأ : القي القبض على اربعة فدائيين بعد معركة قصيرة مع قوات الامن الاسرائيلي في منطقة ايرز في النقب .. انفجر بئر ما ، في ساعات بعد الظهر في تلك المنطقة جراء قنبلة وضعت في المكان ، ويعتقد بأن الخلية التي أسرت ومن بين اعضائها وكما يبدو ضابط مصري أو خلية أخرى نجحت في وضع العبوة الناسفة في البئر واعترف قائد الخلية في التحقيق الذي جرى معه بأنه ارسل الى اسرائيل من اجل القيام بأعمال تخريبية واعمال قتل.

وكتب المراسل العسكري للصحيفة أن القاء القبض على الفدائيين شكل «اثباتا جديدا على النوايا العدوانية المصرية».

وغص التقرير الكاذب بالتفاصيل ، وعلى سبيل المثال : القائد ضابط مصري اما الفدائيون فقد كانوا فلسطينيين ، وابتعلت الصحف هذه الاكاذيب الى درجة كتابتها : عثر في المنطقة على ٦ بنادق من نوع كارلو غوستاف وقنابل وكمية كبيرة من المواد المتفجرة ، وشوهدت اثار اقدام اشخاص وقربها بقع دم . ونقل جريحان الى المستشفى اما الاحياء فقد تم تسليمهم للشرطة الاسرائيلية.

تمادت صحيفة «لمرحاف» التي كانت أداة بأيدي الاستخبارات العسكرية مثل الصحف الاخرى وكتبت ان ظهور رجال الكوماندوز هؤلاء الذين كانوا مدججين بالاسلحة والمواد المتفجرة ، يمكن ان يشكل صفحة ذات مغزى كبير بالنسبة لنوايا الجيش المصري.

قال القدماء ، وكما هو معروف ، انه من المسموح **الكذب من أجل السلام لكن وجد لهؤلاء نسل قلبوا هذا المفهوم رأسا على عقب ، اذ اكدوا : بالامكان الكذب من اجل شن حرب ، لماذا نصدقهم الآن؟**

(مقتطفات من مقال كتبه حاييم جنفي في صحيفة «معاريف» ١٩٩٤/١١/٢).

كتاب جديد

ما بعد الملك فهد

ولاية العرش فى العربية السعودية (٢)

معهد واشنطون لسياسة الشرق الادنى
تأليف : سيمون هندرسون
ترجمة : مصطفى الجمال

فى العدد الماضى قدمت «اليسار» ترجمة للفصلين الاول والثانى من هذا الكتاب الهام ، تعرض فيهما المؤلف لتأسيس الدولة السعودية فى الجزيرة العربية على يد الملك عبد العزيز آل سعود ، وفروع هذه الأسرة الحاكمة وأصهارهم والصراعات والتحالفات العائلية فى مختلف العهود «عبد العزيز -سعود- فيصل- خالد- فهد) والعوامل والقوى المؤثرة فى ولاية العرش، بدءا من ابناء الملك عبد العزيز (٢٦ أميرا) ، ونساء البيت السعودى ، والعلماء .. الخ

ونشر فى هذا العدد ، الفصول «الثالث والرابع والخامس».



الملك فهد

(٣) ولاية العرش في المستقبل
(مرسوم فهد في مارس ١٩٩٢)

رغم عدم وجود شرح مكتوب لعملية تولية العرش فإن أغلب السعوديين يشعرون ان لديهم فكرة أساسية عن كيفية سير هذه العملية . لكن الملك فهد قرر في الأول من مارس عام ١٩٩٢ أن يوضحها للبعض ويجعلها ملتبسة أمام البعض الآخر ، مما اعطى دفعة هائلة للمناورة داخل العائلة المالكة من أجل تبوأ أعلى منصب في المملكة.

ويضم القانون الاساسي للحكم الذي أصدره الملك فهد اثنتين وعشرين مادة تتوزع على اربعة فصول ، ويعالج احد هذه الفصول المبادئ العامة للدولة كديانتها ودستورها (القرآن والسنة) ولغتها الرسمية وعطلاتها وعلمها وشعارها .. ويتناول فصل آخر سمات الاسر السعودية الحاكمة بوصفها نواة المجتمع السعودي ، يؤكد على قيمة العربية والاسلامية ويشير الى أهمية التربية لغرس حب الوطن والاعتزاز بالتاريخ في نفوس الشعب ، ويتطرق فصل ثالث الى المبادئ الاقتصادية فيؤكد على ملكية الدولة لموارد البلاد وحرمة المال العام وضرورة ان تفرض الضرائب عند الحاجة على اساس العدالة.

إلا ان الفصل الثاني كان الأكثر أهمية ، وأحدث ضجة سواء داخل أو خارج آل سعود فيقرر القانون (الذي صدر كمرسوم ملكي يعمل به كقانون من تاريخ نشره) **أن العرش حق لأبناء عبد العزيز بن سعود ، ومنهم إلى ابنائهم وان تتم البيعة طبقا لمبادئ القرآن وسنة الرسول -ص- ويختار الملك ولي عهده ، وبإمكانه اعفاءه من منصبه بمرسوم ملكي** ، ويضطلع ولي العهد بالسلطة بمجرد وفاة الملك حتى تؤدى له يمين البيعة.

وتؤكد مصادر عديدة ان هذا القانون قد قوبل بالانزعاج من جانب عديد من الأمراء الرئيسيين . ويقال ان عبد الله ولي العهد

(٤) ولاية العرش في الجيل الحالى

قد استحض لإقرار منصب كرويث للعرش بإرادة ملكية، أكثر منه حقا خالصا له برصنه التالى فى الترتيب ويتمتع بصحة جيدة وينظر الى نفسه كمسلم صالح ، وقيل ايضا ان الأمير **سلطان** أصابه القلق لإدراكه ضرورة ممارسة الضغط والنضال بصورة اقوى من أجل حماية وضعه كرويث ظاهر لعبد الله الذى **اصبح بإمكانه الآن اختيار ولى عهد من أبناء الجيل التالى -أى احفاد عبد العزيز بن سعود.**

استهدف مرسوم فهد تحقيق استقرار مستقبلى ليس فيما يتعلق بولاية العرش فحسب وإنما فى مختلف المسائل الدستورية المحتمل وقوعها، وذلك على الرغم من حرص الملك على انكار وقوع أى شكل من اشكال «الفراغ الدستورى» من قبل ، واكتملت هذه العملية بصدور مرسوم فى أغسطس ١٩٩٣ يحدد مدة عضوية مجلس الوزراء بأربع سنوات على الأكثر وضرورة ألا يحصل الوزراء على فائدة مالية من شغل مناصبهم سواء كانت مباشرة أو بالانابة. وفى نفس الوقت تقريبا تم اعلان اسماء اعضاء مجلس الشورى الوطنى ، وصدرت القوانين التى تحكم عمل مجالس الشورى المماثلة على مستوى المناطق الثلاث عشرة فى المملكة.

ومن الامور المثيرة للدهشة ان تصدر هذه المراسيم مع ما تتطلبه من نشاط من جانب الملك فهد، علي الرغم من اعتبار البعض له ملكاً بطيئا سواء من الناحية البدنية او السياسية.

وخاصة بالمقارنة بالحيوية التى كان يتمتع بها إبان تولى منصب ولاية العهد فى أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات.

وقد احدثت هذه الاصلاحات دهشة كبيرة لدى اعلانها على الرغم من أن جذورها تعود الى فترة حكم **الملك فيصل** ، كما تكرر الوعد بها منذ مجئ **فهد** الى الحكم عام ١٩٨٢ . وفتح الباب أمام عدة تفسيرات فرأى البعض ان **الملك فهد** قد قرر ادخال هذه الاصلاحات بالفعل فى وقت سابق ، ولكن التنفيذ تأجل بسبب غزو صدام حسين للكويت عام ١٩٩٠.

ويعتقد آخرون ان **حرب الخليج قد تسببت فى اضعاف صلات الأسرة الحاكمة بالشعب ، وأن المراسيم تأتى فى واقع الامر كتنازلات سياسية من جانب آل سعود . وهناك تفسير ثالث ذو مغزى هام مؤداه ان ادراك الملك فهد لأنه** أصبح طاعناً فى السن جعله أكثر عزما عن ذى قبل علي ارساء اسس راسخة لحكم بيت سعود ، ليس فقط فيما يتعلق بضوابط ولاية العرش ، وإنما ايضا من خلال محاولة انشاء مؤسسات بالمملكة لها نوع من الثبات .

وأخيراً فإن البعض ينظر الى العملية كلها **كرد فعل لمظاهر معارضة ونقد آخذه فى الازدياد بحق آل سعود من جانب دوائر كانت تعتبر تقليديا على ولاء تام لهم ، مثل التكنوقراط ابناء الطبقة المتوسطة، والجماعات الدينية التى أخذت تستخدم الاسلام لنقد الاسرة الحاكمة بدلا من تأكيد مشروعيتها.**

اذا وافت المنية **الملك** فهد البالغ من العمر ثلاثة وسبعين عاماً - قبل نهاية عام ١٩٩٤- فسوف يتمكن ولى العهد **الأمير عبد الله** من الفوز بتأييد فورى تقريبا من الاسرة المالكة لتبوء منصب الملك. لكن اذا امد الله فى عمر الملك ابعد من هذا فإن التكهن بالمستقبل سيكون أكثر صعوبة.

فالتحدى الرئيسى للنظام المعمول به حاليا يتمثل في كون ابناء **عبد العزيز بن سعود** يشكلون دائرة آخذة فى الانكماش ، نعددهم حاليا ستة وعشرون أميراً أصغرهم **الأمير حمود** الذى يبلغ السابعة والأربعين من عمره . وكان عمر **فهد** لدى توليه الحكم واحداً وستين عاما ، وهو اصغر فى السن من ثمانية أخوه يكبرونه ، ويدل تاريخ الوفاة فى الاسرة المالكة على ان افرادها توافيهم المنية عادة فى اوائل العقد الثامن.

وقد وضع أحد الرسميين الذين تقابلت وإياهم أثناء إعداد الدراسة الحالية- المشكلة كالآتى : **«سوف يسقط طائر جديد من على الفرع كل عامين او ثلاثة».**

ترى هل بإمكان النظام ان **يتحمل تعاقب** وفيات الملوك فى مثل هذه الأزمنة المتقاربة مع استمرار السياسة المعمول بها من اختيار ولى عهد ووريث ظاهر فى نفس الوقت ؟

ويتمثل تحد آخر فى أن ولى العهد **الأمير عبد الله** (٧١ عاما) **قد يوافيه** الأجل قبل أخيه **الملك فهد** مما ينذر بصراع مبكر على منصب ولى العهد والوريث الظاهر.

وفقا للمنطق السائد فإن **الأمير سلطان** -الأخ الشقيق لفهد ووزير الدفاع والطيران- سوف يكون التالى فى التسلسل. ويشير بعض غير السعوديين الى وضعه كنائب لرئيس الوزراء. (النائب الأول هو **الأمير عبد الله** ولى العهد) ويذكر آخرون ان **بندر بن عبد العزيز**-الاخ الاصغر المباشر لعبد الله- يمكن التغاضى عنه . ورغم انه يمكن اعتبار دعوى بندر مغالى فيها (بل هى موضع تندر البعض) فإن ولاية **سلطان-مع ذلك- أبعد** ما تكون عن أن تتم بصورة آلية.

ومن الممكن تناول تلك اللوحة المعقدة باستخدام عدد من السيناريوهات المحتملة.

السيناريو الأول :

(امتداد عمر فهد لعدة سنوات)

سيظل فهد فى منصب الملك طالما ظل على قيد الحياة، ما لم يقرر التخلى عن

العرش بمحض ارادته وحتى اذا تناقصت قدرته -بشكل متزايد -على اداء مهام منصبه فإنه من أبعد الاحتمالات أن يلجأ أخوته الي اقصائه عن العرش ، بل إنهم على العكس من ذلك سيلتزمون بتغطية جوانب النقص لديه.

اما اذا اصر على الاحتفاظ بسلطاته كاملة في وقت يتزايد فيه عندئذ عجزه عن ممارستها فإنه قد يجبر عندئذ على التنحي .ولكنه من غير المرجح أن يقع هذا لأنه سوف **يطرح مسألة الملاءمة الذهنية لتولي العرش ، وهي قضية لا يرد بيت آل سعود ان تصبح محل جدل حتى في اطار الاسرة نفسها، لأن هذا المعيار سوف يتسبب في إبطال دعوى بعض الامراء** . وعوضا عن ذلك ستحبذ الاسرة الاحتفاظ بفهد كحاكم شرفي ربما يتخلى عن رئاسة الوزراء، لكنه يحتفظ بكرامة وضعه كملك وهذا هو الدور الذي اختاره لنفسه الملك خالد الذي شغل منصب رئيس الوزراء من الناحية الشكلية ولم يكن يشغل نفسه بأمور الحكم اليومية.

السيناريو الثاني:

وفاة ولي العهد عبد الله قبل وفاة الملك فهد

يفاد أن الأمير عبد الله يتمتع بالصحة والحيوية خصوصا اذا قورن بأخيه نصف الشقيق (فهد) الذي يعاني من زيادة ملحوظة في الوزن ، ولكن لا يمكن استبعاد احتمال وفاة ولي العهد قبل الملك . وهنا ينشأ سؤال حول من يمكن ان يحل محله في منصب ولي العهد ، وهو أمر يخضع- من الناحية النظرية- لاختيار الملك فهد وحده ،ولكن يتم التوصل إليه عمليا من خلال الإجماع.

والاختيار الواضح عندئذ سيكون : سلطان الذي يجمع بين الطموح والخبرة الادارية في وزارة الدفاع والطيران . ولكن هناك اثنين من أولاد ابن سعود يكبران سلطان في السن ، وكلاهما ولد في نفس عام مولد

الامير عبد الله ولي العهد



الأمير عبد الله (١٩٢٣).

والأول هو الأمير مساعد بن عبد العزيز الذي لا يعتبر مرشحا مطروحاً لأن ابنه خالد قد لقى مصرعه علي ايدي قوات الامن عام ١٩٦٥ اثناء احداث شغب وقعت حينها احتجاجا علي ادخال البث التليفزيوني في المملكة ، أما ابنه الآخر- فيصل فقد أقدم عام ١٩٧٥ علي اغتيال عمه الملك فيصل ثأرا لأخيه ، ومن ثم جرى إعدامه ، أما الأخ الأكبر الآخر لسلطان فهو بندر بن عبد العزيز(عم سفير السعودية الى واشنطون) ، ويصور عادة في صورة المتعبد الزاهد ، وكان قد فشل من قبل في نيل منصب حكومي رئيسي . ففي عام ١٩٨٢ أخفق في الحصول على تأييد كاف من داخل الاسرة لتسميته وزيراً للدفاع ، حيث لم يعتبر كفؤاً لتولي هذا المنصب بسبب افتقاره لأي خبرة سابقة في شئون الحكم. وليس من الواضح ما اذا كان قد افصح من قبل -فعلاً -عن ادعاء بحقه في العرش ، وذلك على الرغم من شيوع الاعتقاد بذلك ،ومع ذلك ، فإن بندر بن عبد العزيز يتمتع بتأييد شعبي ربما كان مرجعه ما عرف عنه من استقامة دينية.

ومن العقبات الاضافية التي تقف أمام تسمية سلطان وليا للعهد أن ذلك سوف يعزز من قبضة «السديرى السبعة» وهو ما يثير حفيظة أخوتهم غير الاشقاء من ابناء عبد العزيز بن سعود ويحاولون انهاءه ، ومن الاساليب المتوقعة لتحقيق ذلك اصطناع أزمة داخلية قد يتطلب حلها ابعاد احد مناصب الحكم الرئيسية (وزارة الدفاع أو وزارة الداخلية) عن آل سديرى.

السيناريو الثالث:

تولي عبد الله بعد وفاة الملك فهد

هناك القليل من الشك في رغبة الأمير عبد الله في منصب الملك واعتباره ذلك حقا من حقوقه . إلا انه لا مفر من ان تنشب حينئذ أزمة الحكم- على عكس ما تدعيه المملكة و المدافعون عنها- وسوف تبدد طاقات كبيرة في مسألة الترضية بالاستخلاف القادم.

فعلى العكس من فهد وأخوته الاشقاء الستة(السديرى) الذين يتولى خمسة منهم مناصب حكومية رفيعة ، ليس لدى عبد الله اي أخوة اشقاء .ويتوجب عليه حينئذ ، اذا اراد ان يحكم بفعالية . ان يضطلع بتحالفات من نوع آخر داخل الاسرة ،والا فمن المتوقع -كما هو

الملك فهد

شائع على نطاق واسع -أن الاشقاء «السديري» لن يسمحوا بخسارة المناصب الاساسية التي يحتلونها الآن، وهو الوضع الذي يريدون توريثه لأبنائهم .ولا شك ان احتفاظهم بتلك المناصب الهامة يمكن ان يعرقل بصورة حادة من قدرة **عبد الله** على الحكم.

ويمهد عبد الله الأرض فعليا من الآن لبناء تحالفات مع بعض أخوته غير الاشقاء ، فعلى سبيل المثال هناك **الأمير بدر** نائب قائد الحرس الوطني (وهو معروف على نطاق واسع بعدم الفاعلية) وهو مدين لعبد الله بانقاذه من مذمة كونه يوما من «الامراء الاحرار».

اما المنطقة الصالحة لتحالفات ممكنة وأكثر فائدة لعبد الله فهي تقع وسط ابناء الملك الراحل **فيصل**، ويسمون جميعا «الفيصل» وهم مشهورون بقدراتهم الفكرية والادارية (فضلا عن القدرات السياسية) ويتمتع **سعود الفيصل** بخبرة كبيرة كوزير للخارجية، ولكنه نادرا ما يسمح له في عهد **فهد** باستخدام كامل مهاراته ، وبدلا من ذلك يضطلع **فهد** بنفسه ببعض الشئون الخارجية ، أو من خلال الأمير الموالي له: **بندر بن سلطان** سفير المملكة الى واشنطون ، أما **تركي الفيصل** رئيس الاستخبارات السعودية فهو موضع احترام العاملين بالجهاز ، وإن كان مضطراً الى تقبل دور **سعود بن فهد** الذي فرض عليه نائباً وهناك **الفيصل** ثالث هو **الأمير خالد** حاكم منطقة عسير.

وبامكان عبد الله بالطبع ان يحصل على دعم ابنائه ولكنهم مرتبطون حاليا بالعمل في ديوانه أو تولي مواقع قيادية في الحرس الوطني ، ولم يظهر احدهم قدرة أو مهارة سياسية بارزة.

السيناريو الرابع

(بروز أخ أصغر كأفضل مرشح)

تحاشيا لاختيار ملك جديد كل عامين أو ثلاثة قد يضطر عدد من الاخوة الأكبر سنا إلى الاقتناع بالتنازل عن حقهم في العرش لإعطاء الفرصة لأمير اصغر سنا . ان الصحة الجيدة تعني- ما لم يحدث أمر عارض ، عشر سنوات أو أكثر من الحكم المستقر ، وقد استمر فهد على العرش لمدة اثنى عشر عاماً رغم ما قد يزعمه البعض من ان تردده الحالي ليس له تأثير بالسالب على المملكة.

وربما يكون المثل الافضل هو **الملك فيصل** الذي حكم أحد عشر عاماً لا زال ينظر اليها بوصفها فترة الانتقال الناجح من مجتمع قبلي الى دولة حديثة تكنولوجيا.

والمرشح الذي يقفز إلى اذهان السعوديين والغربيين على الفور- وفق هذا السيناريو -هو الأمير **سلمان بن عبد العزيز** المولود عام ١٩٣٨ ،وقد حكم لفترة إمارة الرياض التي تضم العاصمة وتمتد جنوبا إلى الحدود مع اليمن ،وقد اكتسبت سمعة -نادرة في الاسرة- بكونه قادراً ومعتاداً على العمل الشاق وغير متورط في الفساد.

ويضاف أيضا مرشح آخر هو **الأمير مقرن** ثاني اصغر ابناء عبد العزيز بن سعود ، وهو طيار سابق بالسلاح الجوي ويحكم حالياً منطقة حائل التي تقع بين الرياض والحدود الاردنية ،ويرى أحد السفراء السابقين انه «يمكن أن يكون ملكاً جيداً».

والصعوبة الرئيسية أمام تحقق هذا السيناريو انه من الأمور بعيدة الاحتمال ان يوافق عدد كبير من ابناء عبد **العزيز** على تخطيهم في ولاية العرش ، وأفضل مثال على ذلك هو الأمير **نايف بن عبد العزيز**، وهو اخ شقيق للملك فهد يتولى المهمة **الدقيقة** للحفاظ على الأمن بوزارة الداخلية منذ عام ١٩٧٥ . كما هناك من أخوة فهد الاشقاء الأكبر سنا من نايف : **الأمير عبد الرحمن** الذي يعتبر مع الأمير **متعب**-وزير **الاشغال** العامة- صاحبي حق أكيد في **المطالبة بالعرش** في دورهما . **وتركي** هو الآخر يكبر **نايف في** السن ، ولكنه مغضوب عليه من **العائلة** بسبب زواجه من **عشيرة الفاسي المنفرطة** اجتماعيا.

كما يضم المرشحون الآخرون **محل السؤال** : «الأمراء الأحرار» (**طلال -بدر- فواز**) وتعتقد تحليلات غربية أنهم **فقدوا حقهم في** العرش .ويضاف اليهم **الأمير مشاري الذي** أطلق الرصاص على **القنصل البريطاني في** جدة عام ١٩٥١ ، والأمير مشعل الذي ينظر اليه على انه سيئ التصرف.

(٥) ولاية العرش في الجيل التالي

هناك خمسة سيناريوهات محتملة لأن يقفز خط توريث العرش الى جيل احفاد **عبد العزيز بن سعود** . وبالرغم من أن المزاعم التنافسية لفروع الاسرة داخل الجيل التالى قد تبدو مسألة موغلة فى الافتراضية بسبب بقاء العديد من أبناء عبد العزيز على قيد الحياة، فإن تناقص عدد هؤلاء يعنى أنهم مضطرون الى إدخال الأحفاد- سريعاً- فى عملية الاختيار من أجل كسب التأييد، وأن هذا بالمقابل سوف يجعل من الأصعب تجاهل دعاواهم باعتبار أنفسهم مرشحين هم الآخرين.

لقد فتح مرسوم الملك فهد فى مارس ١٩٩٢ الباب رسميا أمام أحفاد عبد العزيز للمطالبة بالعرش.

وإن كان المرسوم ذاته لم يذكر شيئا عن تخطى جيل، ولا كيف سيكون خط التوريث بعد حدوث مثل هذه القفزة هل يجب ان تذهب ولاية العرش الى أكبر أبناء الملك الراحل **سعود** الذى كان موضع عدم تكريم ثم أعيد اعتباره الآن ؟ وإن حدث فهل ينبغى أن تذهب بعد ذلك الى أكبر ابناء الملك الراحل **فيصل**؟ وماذا عن أبناء الأمير الراحل محمد الذى تنازل عن حقه فى ولاية العرش عام ١٩٦٥ لصالح أخيه الشقيق خالد الأصغر منه سنا؟.

آل فيصل

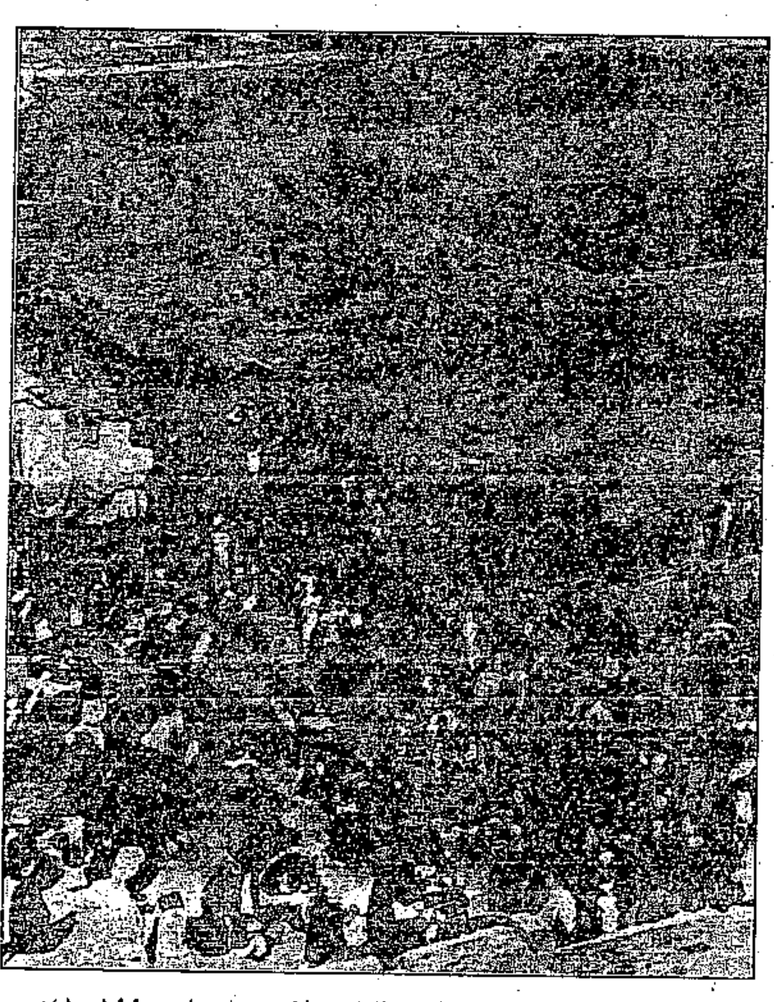
يحتل امراء سعوديون كثيرون مناصب حكومية ، ولكن القليل منهم يمكن ان يعتبر جديرا بها. ويأتى أبناء الملك الراحل فيصل ضمن من يستحقون مناصبهم فعلاً . ويعد الإلحاح على سعوديين بارزين لتحديد من يمكن ان يكون مرشحا اذا حدثت قفزة جيلية فإنهم يشيرون الى **آل فيصل** ، وهم أيضا موضع تفضيل الغربيين الخبراء بشئون المملكة . ويبرز منهم على وجه الخصوص: **سعود** وزير الخارجية ، و**تركى** مدير الاستخبارات الخارجية، و**خالد** الحاكم على منطقة عسير على الحدود الجنوبية الغربية مع اليمن.

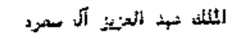
يحتل سعود الفيصل منصب وزير الخارجية منذ عام ١٩٧٥ وهو محبوب جدا من الدبلوماسيين ومنصبه صعب وحساس بشكل استثنائى لأن العديد من كبار الامراء اختطوا لأنفسهم خطوطاً خاصة فى السياسة الخارجية ، فمثلا نجد أكثر جوانب السياسية الدولية أهمية ، وهى إدارة العلاقات مع الولايات المتحدة ، تجرى بعيداً عن يديه حيث يتولى فهد هذا الأمر بنفسه أو يفوضها -بصورة متزايدة الى سفيره فى واشنطون الأمير بندر بن سلطان أما على المستوى الإقليمى فإن **للأمير عبد الله** اهتماماً شخصياً بالعلاقات مع سوريا ، بينما يرتبط **الأمير سلطان** بصلات مع اليمن ، وبالنسبة للأمير تركى -شقيق سعود- فقد كون خبرة فى التعامل مع أفغانستان وباكستان.

وقد تجرع سعود فى صمت وإخلاص كل هذه التعديات على صميم عمله ، ولكنه بعد ان اصبح الآن جدا فى العقد السادس من عمره يتردد انه يطمح الى التقاعد عن العمل ، إلا انه اذا اصبح **عبد الله** ملكا فمن المرجح ان يحفز هذا سعوداً الى الاضطلاع بدور أكثر فعالية . فالأمير **عبد الله** الذى يفتقر إلى وجود أخوة أشقاء له ينتظر الدعم من **آل فيصل** وبالمقابل فإن الاخيرين يأملون ان يمكنهم ذلك من الاحتفاظ بمكانتهم حتى لا تجرفهم موجة غامرة من ابناء اعمامهم آل سديرى.

وثانى ابرز ابناء فيصل هو **الأمير تركى** الذى يتولى منصب مدير الاستخبارات الخارجية منذ ١٩٧٧ ، وعمل نائبا لمديرها منذ ١٩٦٨ .وقد ساعده هذا المنصب على توفر المعلومات القيمة لديه ، كما حقق له علاقات وثيقة بأجهزة استخبارات الدول الحليفة للملكة .

وهو مسئول الارتباط بالممثلين







الملك عبد العزيز آل سعود



محمد بن عبد الوهاب

المحلين لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية والمخابرات البريطانية الذين يعملون تحت غطاء دبلوماسي بسفارتي البلدين في الرياض. ويقال انه «لامع جداً» ، وقد يكون هذا صحيحا على الرغم من اعتياد غربيين كثيرين الافراط في استخدام عبارات كهذه لوصف اعضاء الاسرة المالكة.

ومثله كمثل سعود أخيه فإن تركي على يقين من تولي موقع رئيسي اذا تولى عبد الله الحكم ، وربما كان الموقع نفسه الذي يحتله الآن مع توسيع مسئولياته للتخفيف من قبضة آل سديري على وزارة الداخلية التي يشغل اخوا فهد الشقيقان : نايف وأحمد منصبي الوزير ونائبه فيها على الترتيب.

وهناك تساؤل حول صحة تركي الذي تعرض وزوجته لحادث اختناق في منتصف الثمانينات بسبب عطل مدفأة في مخيمه بالصحراء ، أمضى بعده عدة شهور تحت العلاج بعيداً عن العمل ، وإن كان يقال أنه قد شفي الآن تماماً.

ومن ابناء فيصل الآخرين : الأمير محمد الذي عمل على انشاء مشروع تحلية المياه في الستينيات وهو يعتبر متدينا ورعاً . كما تنسب اليه فكرة جلب جبال الجليد العائمة من القطب الجنوبي وهو يرأس البنك الاسلامي الخاص المسمى «دار المال الاسلامي» الذي يمارس نشاطه في بلدان عديدة، ولكنه لا يعمل في داخل المملكة.

أما خالد فهو يحكم منطقة عسير وعبد الرحمن يقود وحدة مدرعات في الجيش السعودي وسعد يرأس مؤسسة الملك فيصل- وهي مؤسسة خيرية لتمويل أعمال البر أقيمت تخليدا لذكرى والدهم الملك الراحل.

أبناء فهد

يتمتع أبناء فهد بوضع خاص من حيث الامتيازات والسلطة نتيجة كونهم أبناء ملك يحكم ، وهم جميعا على درجة من الثراء العريض ، بل وحتى قبل ان يصبح والدهم ملكاً حيث توفرت لهم ميزة تولي والدهم رئاسة الوزراء في عهد الملك خالد ، وقد أضاف بعضهم خبرة الحكم الى رصيده خلال السنوات القليلة الماضية.

ربما يكون أكثرهم قدرة هو الأمير محمد الذي يحكم المنطقة الشرقية حالياً ، وكان -فيما مضى- موضع شائعات بسبب عمولات صارخة يقال انه حصل عليها في صفقات شهيرة . وقد عينه فهد عام ١٩٨٥ حاكماً على المنطقة الشرقية التي تمتد من الحدود الكويتية على طول الخليج الى سلطنة عمان وتضم معظم الاقلية الشيعية بالمملكة ، وذلك فيما ثبت انها كانت مناورة سياسية بارعة من الملك . وكان من يحكم هذه المنطقة يأتي تقليدياً من عشيرة جلوي التي اثبتت فعالية كبيرة في معاونة عبد العزيز آل سعود على بسط نفوذه على المنطقة منذ عام ١٩١٣. والأسلوب التقليدي لحكم المنطقة الشرقية هو قمع الشيعة الذين يشكلون ٥٪ من سكان المملكة ولكنهم يشكلون اغلبية محلية في أجزاء كثيرة من المنطقة الشرقية. وقد استجاب شيعة السعودية بالفعل لنداءات الثورة الاسلامية التي أتتهم عبر الخليج من آيه الله الخميني في ايران بعد الاطاحة بالشاه عام ١٩٧٩ ، فوقعت اضطرابات شيعية عامي ١٩٧٩و ١٩٨٠ ،وعندما مرض عبد المحسن بن جلوي ١٩٨٥ تحرك فهد بسرعة وعين نجله محمد حاكماً محله . وهناك اشادات كثيرة بأن محمد قام بعمله خير قيام ، وأخمد سريعا الكثير من غضب الشيعة بالاستثمار بكثافة في

الطرق والمنشآت.

ويتولى فيصل أكبر ابناء فهد رئاسة رعاية الشباب ، وهو موقع يناظر الوزارة بعطيه المسئولية عن المنشآت الرياضية والاتصال بالاتحادات الرياضية الدولية- ومن بينها اللجنة الأولمبية الدولية- ولكن لفيصل ماض محسوب عليه ، وهو لا يعتبر- حتى فى رأى السعوديين -ممن يعتمد عليهم ،ولا يؤخذ أمره بجدية كملك محتمل فى المستقبل.

وهناك ابن آخر هو سلطان بن فهد الذى يملك خبرة عسكرية ، ويعمل حاليا نائبا لرئيس رعاية الشباب ، ولكنه لا يقدر تقديراً عالياً.

أما النموذج الكلاسيكى للنزعة المحافظة بين ابناء الملك فهد فهو الأمير سعود ، الذى يشغل منصب نائب الأمير تركى بن فيصل فى الاستخبارات الخارجية منذ عام ١٩٨٥ ، وينظر اليه بعض المحللين كنموذج على زحف ابناء آل سديرى على مواقع السلطة ،وإن كان العكس هو التفسير الافضل فيما يبدو ، فيروى ان زائرا لمقر الاستخبارات فى الرياض فى إحدى المناسبات تم تقديمه الى **الأمير سعود** ، ولكنه فى زيارة تالية لاحظ عدم وجود الأمير فلما سأل عنه أجابه مسئول كبير بأن سعود يأتى الى العمل نادراً «كما انه لا يحب القراءة». وقد يكون التفسير الأصح فى واقع الأمر- ما عرف عنه من التمسك بالشعائر الدينية.

أبناء عبد الله

اذا تولى عبد الله العرش فسيكون ابناؤه فى موقع ممتاز لتولى مناصب رئيسية ، وإلى أن يحدث ذلك فإن أى مرتبة ينالونها سوف تزول اليهم من خلال أبيهم ، وهى فى العادة مناصب فى **الحرس الوطنى الذى يعد فى الواقع بمثابة جيش خاص بعبد الله** . فقد كان ابنه الأكبر خالد مدير ادارة فى الحرس الوطنى، وابنه متعب يتولى رئاسة اكاديمية الحرس الوطنى ولعله أقل ضباطها إطلاقا من الناحية الفعلية. أما الأبن الثالث عبد العزيز فقد التحق بالحرس الوطنى بعد دراسات فى انجلترا ثم أصبح مستشاراً فى ديوان ولى العهد وكون مثل هذه الخبرة كافية لاداء دور أكبر فى الجيش أو الحكومة .. فهو موضوع آخر ، فقد ترقى خالد ليصبح نائب وزير فى المنطقة الغربية ، ولكنه ترك المنصب عام ١٩٩٢ بسبب نزاع بيروقراطى ، وهو الآن منغمس فى عقد الصفقات التجارية.

أما متعب فيقدر جيدا كرجل مهذب وجندى جيد ، لكن وراء ذلك دائما مصالحه التجارية حيث يمتلك وكالة فورد فى المنطقة الوسطى.

وقد أرسل الابن الرابع فيصل- للتدريب كضابط فى اكاديمية «ساند هورست» العسكرية بانجلترا ، ولكنه لم يكمل الدراسة- طبقا لضابط تدريب بالاكاديمية -بسبب الغياب مرتين دون عذر.

وعموما فإن **أبناء عبد الله لا يوضعون فى الدرجة نفسها مع آل فيصل**: ومع ذلك فإن بإمكان عبد الله أن يتغلب على نقص الكفاءة بالسعى لعقد تحالفات مع أبناء الملكين الراحلين فيصل وسعود . فنجد **مشارى بن سعود** قائد لواء فى الحرس الوطنى ، **ومحمد بن سعود** يحكم منطقة الباحة ، **أما معتز بن سعود** فهو يدرس حالياً فى واشنطون ولكنه يعمل فعلياً كإحدى حلقات الصلة بإدارة كلينتون.

أبناء سلطان

من بين كل أبناء الأمير سلطان وزير الدفاع: حقق بندر الموقع الدولى الأكثر بروزاً من خلال موقعه كسفير لبلاده الى واشنطون منذ عام ١٩٨٣ .وقد تأثرت مكانته واقعيا إبان أزمة الخليج بسبب تألق نجم **أخيه الأكبر خالد** قائد القوات السعودية التى عملت مع القوات الامريكية ودول التحالف الاخرى ولكن بندر استعاد مكانته ثانية بعد ذلك.

وبندر ابن لسلطان من أم سودانية، ولذا لا يعتبر مرشحا لتولى منصب الملك، كما ان منصبه الرفيع ذى البريق فى واشنطون يزعج أكثر من أمير رئيسى فى الأسرة المالكة . وتتمثل مشكلة اضافية له فيما اثير عن انه **ليس على علاقة متينة بأبيه حيث يدين بمنصبه لعلاقته بعمه- الملك فهد.**

بيد ان مشكلة خالد ،مختلفة ، بل كانت أكبر فقبل غزو العراق للكويت كان خالد قائد القوات الدفاع الجوى ، وهو سلاح مستقل فى الجيش السعودى ،وقد تضخمت ذاته بشكل كبير بسبب المنصب الممتاز الذى تولاه أثناء عمليات درع وعاصفة الصحراء ، حيث كان يرى دائما برفقة جينى نورمان شوارتسكوف قائد القوات المتحالفة ، ، وبعد تحقيق النصر على القوات العراقية توقع خالد ان تتم ترقيته ، ولكن لم يتحقق له ذلك لأن قادة الاسلحة السعودية الرئيسية يجب الا يكونوا تقليديا من افراد الاسرة المالكة . بيد ان هذا لم يمنعه- طبقا لمصادر عديدة- من تخيير الملك فهد بين ترقيته او قبول استقالته. وفى النهاية طلب منه الملك ان يتقاعد ، وربما كان الملك منزعجا ايضا من اقتراح خالد الذى اكتسب شعبية بأن تبنى المملكة جيشاًعاملاً كبيراً ، وتحت قيادته فرضاً.

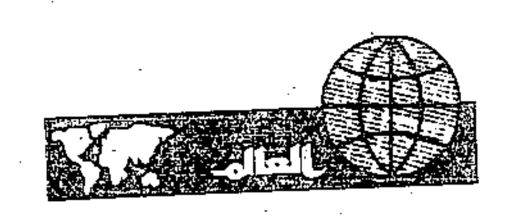
ولا شك أن **الملك ، والاسرة المالكة قد تحملوا خالد بما فيه الكفاية ابان تلك المرحلة ، فبعد الانتصار فى حرب الخليج اصبح أكبر من حجمه الحقيقى** وبدا انه نسى ان المجتمع السعودى ينبذ عبادة الفرد بشكل عام ، وهو الامر الذى اتضح انزلاقه إليه حينما شرع دون استئذان فى القيام بجولة -تم الترويج لها دعائيا بشكل جيد- على دول الخليج الاخرى.

أما مشكلة خالد الاخرى فهى التصورات الشائعة بانه **حقق اموالا طائلة فى** الحرب. **وتتراوح التقديرات -طبقا لمسئولين كبار فى الغرب- بين بضع مئات من الملايين وسبعة مليارات من الدولارات** . فقد أصر خالد على ان ترتب وزارة الدفاع السعودية كل وسائل النقل والاتصالات والامدادات الغذائية والمائية من خلال عقود سعودية محلية، **ويقال انه كان يقتطع عمولته عن كل صفقة وعلى الرغم من شيوع ممارسات كهذه فى المملكة فإن هذه المبالغ الضخمة قد اربكت حتى والده الأمير سلطان وزير الدفاع الذى يقال ان اسمه يقترن بالعمولات على العقود العامة.**

أحفاد بارزون آخرون

يستحق ابناء **الأمير سلمان** ان يكونوا محل الاهتمام حيث يوجد بينهم اثنان كانا موضع اهتمام عام فى مناسبتين ، أولهما هو سلطان بن سلمان أول ملاح فضاء عربى حيث شارك فى رحلة مكوك الفضاء الامريكى «ديسكفرى» عام ١٩٨٥. وهو الان برتبة فريق فى الجيش السعودى. والثانى هو **عبد العزيز بن سلمان** مساعد وزير البترول **هشام بن ناظر** ، وهو على نزاع مستمر مع الوزير- وإن حرص الاثنان على الظهور فى العلن بمظهر الفريق الواحد- ويشترك **عبد العزيز**- مع مساعد آخر هو **فيصل بن تركى**- فى الازدراء بالوزير ، وهو مصدر كل الروايات التى تنتقص من مكانته.

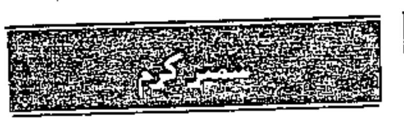
وعلى الرغم من ان ابناء آل سديرى الآخرين: **عبد الرحمن ونايف وتركى وأحمد** ، لا يعتبرون من العمد المهمة فى رهانات السلطة فمن المهم ملاحظة انهم يمكن ان يلعبوا دوراً هاماً فى مساندة هذا او ذاك من مرشحى آل سديرى.



التحدى الكوبى لأطول حصار فى التاريخ



تمثال الحرية يتحول الي منصه لشنق المهاجرين«عن نيويورك تايمز»



رسالة واشنطن

فى تاريخ كـوبا حكاية قـديمة من القـرن السابع عشر، أى منذ عهد الاحتلال الاسبانى .. جديرة بأن تحكى اليـوم ليس لما فيـهـا من إبهار- وفيها منه الكثير- وليس لما فيها من «تطهير» بالمعنى الدرامى للكلمة -وفيها منه ما يفوق معظم الاعمال الدرامية العظيمة -انما لما فيها من انعكاسات سياسية على الواقع .. واقع كوبا اليوم.

تقول الحكاية التاريخية ان الكونت **كاسا بايونا** الاسبانى أحد حكام كوبا الاسبانية ، وهو بالتالى أحد أثرى أثريائها . . فقد كان هذا هو الحال دائما ، كان يجمع ١٢ من العبيد الكوبيين ويجلسهم معه على مائدته الحافلة بخيرات الأرض ليلة«**خميس العهد**» ، أى الليلة السـابقـة التى تسـبق «**الجمعة الحزينة**».

«كـان الكونت يجلس على الأرض بعـد العشاء ويغسل اقدام المجموعة المختارة من عبيده مؤكدا تواضعه الدينى فى أقصى صورة ممكنة .. مقلدا السيد المسيح(...).

فى اليوم التالى كان العبيد الاثنى عشر يتحولون الى مجموعتين عندما يعودون الى مزارع التعب التى يملكها الكونت ، مجموعة يجتاحها الحماس لرد الجميل للكونت الكريم الورع ، **فتعمل وتعمل حتى لا تعود ظهورهم تتحمل** ، ومجموعة ثانية يجتاحها الحقد على الكونت بسبب ما رأت داخل قصره من ترف يفوق الخيال المصنوع من فقر،ر شقاء يفوق الخيال بالمثل ، فتشعل النار فى المزارع ومصانع السكر وما تضع عليه أيديها من هوامش ثروته ، باختصار تضرم حقدها فى كل ما يرمز إليه.

وتنتهى الحكاية بمجموعة احكام إعدام عشوائية تشكل من غسل الكونت اقدامهم وتشكل غيرهم أيضا.

تقفز هذه الحكاية الى الذهن عند تذكر مشاهد خفر السواحل الامريكيين يستقبلون الكوبيين الفارين على الواح خشبية تتقاذفها الامواج طلبا لفرصة عمل أو لفرصة حياة على الطريقة الامريكية .. هربا من فقر صنعته



امريكا . وصحيح ان خفر السواحل الأمريكيين الأشداء المفتولي العضلات الذين تعكس وجوههم وأجسادهم تغذية فائضة عن الحاجة لا يغسلون أقدام الكوبيين الهاربين.. لكنهم يقدمون لهم بعض الغذاء والشراب وبعض الكساء وكلمات طيبة عن شجاعتهم في وجه طغيان لبديل كاسترو ونشر نظامه.

بعدها يرسلون اما الى قاعدة «جوانتانامو» البحرية الامريكية في شرق وطنهم كوبا نفسه .. أو إلى القاعدة العسكرية الامريكية القريبة في أراضي بنما ليعيشوا داخل اسوار من الاسلاك الشائكة في معكسرات اعتقال جماعية بائسة. فلا عمل ولا حركة ولا فرصة حياة على الطريقة الامريكية .. أو حتى الكوبية والأتعس من هذا بلا وطن.

نسبة العبيد الاثنى عشر الذين كان الكونت يغسل اقدامهم قبل اكثر من مائتي سنة الى العدد الاجمالي للعبيد الذين كان يملكهم الكونت لا تختلف عن نسبة الكوبيين الذين يفضلون القيام بهذه المحاولة للرحيل من وطنهم الى «الشـــمال» .. الى الولايات المتحدة، مقارنة باعداد الكوبيين الذين يؤثرون البقاء في وطنهم واختيار طريق الاستقلال والكرامة الانسانية بكل مصاعبه ، **وكما ان الكونت (والحكم الاسباني) كان مسؤولا عن فقر وشقاء العبيد الكوبيين فان امريكا المعاصرة مسؤولة عن فقر وشقاء الوطنيين الكوبيين الذين يبقون في وطنهم والذين حاولوا الفرار على السواء ،** ولعل الفرق الاساسي الآن- وبعد شهور قليلة من توقف الامريكيين كلية عن استقبال الكوبيين الفارين- هو ان الفارين ادركوا ان مشقة الحياة في معسكرات اعتقال امريكية في **جوانتانامو** أو في **بنما** ، حتى انهم **بدأوا باعداد كبيرة يقطعون رحلة العودة الى الأراضي الكوبية هربا من جحيم اللاوطن واللاحرية واللاعمل خلف الاسلاك الشائكة الامريكية وأجهزة المراقبة الالكترونية.**

تبقى أوجه التماثل ..-ولو كانت رمزية- كثيرة بين أوضاع العبيد الكوبيين في مزارع الكونت واوضاع الكوبيين الفارين الذين وقعوا اسرى معسكرات الاعتقال الامريكية ، وبين اوضاع العبيد الكوبيين في قرون الاحتلال الاسباني وأوضاع الشعب الكوبي في قرن الهيمنة الامريكية والعقوبات والحصار..

لكن المسألة أعقد من مجرد تماثل رمزي أو حتى تاريخي.

لقد توقف تيار الفارين من كوبا ..اضطرت الولايات المتحدة الى الجلوس مع السياسيين الكوبيين والتوصل معهم الى اتفاق «يحرم» الكوبيين الذين طالما اغرتهم أمريكا بنعيم الحياة الامريكية من «حق» السفر أحق الحقوق التي تنعى أمريكا على نظام كاسترو حرمان الكوبيين منه وبعد ذلك صمتت امريكا فجأة عن الكلام ، عادت إلى مقاطعة الحديث مع كوبا بعد أن أراحت نفسها من صراع الكوبيين الفارين .. لكن ايضا بعد ان كشفت عن نفاق النظرة الأمريكية الى محنة كوبا .

****

عندما عقدت «قمة الامريكتين» في مدينة ميامي بولاية فلوريدا الامريكية في الشهر الماضي (من ٨ الى ١١ ديسمبر ١٩٩٤) كان من اوائل الملامح التي اهتم الامريكيون بابرازها ان هذه اول قمة للامريكتين منذ عام ١٩٦٧ .. ٢٧ عاما كاملة لم يستطع فيها الأخ الأكبر (أمريكا) ان يقنع جمهوريات امريكا اللاتينية بعقد مؤتمر على مستوى القمة بينهم .. بالأحرى لم تستطع امريكا اجبار الامريكيين على الالتقاء.

في عام ١٩٦٧ كان عمر الحصار الاقتصادي الذي فرضته الولايات المتحدة على كوبا ٤ سنوات فقط.

في عام ١٩٩٤ -مع القمة الامريكية الأخيرة- كان عمر هذا الحصار قد بلغ ٣١ عاما ، وأصبح بذلك اطول حصار من نوعه في التاريخ القديم والحديث . وبالتالي فان «حجم» أو «كمية» الشقاء التي تسبب فيها إذا جاز ان نقيس الشقاء «كميا»- تجاوزت كل الحدود ، والتوقعات ، خلال هذه السنوات لم يمر عام دون ان تظهر دعوات صريحة بل وملحة في أمريكا بضرورة تصفية النظام الكوبي بعد ان اخفق الحصار الاقتصادي المطبق عليه في اسقاطه.

طبعا بلغت التوقعات ذروتها وخفتت أصوات الداعين الى غزو آخر لكوبا ينهي «نظام كاسترو» عندما وقعت الطامة الكبرى بكوبا بقرارات حكومة «البروسترويكا» الروسية بوقف مساعداتها لكوبا ، وقد سبقت هذه القرارات سقوط النظام السوفيتي وصعود «الرأسمالية الوحشية» ، كما يسميها معارضوها الروس وكما يسميها اليسار الامريكي ايضا- مع بوريس **يلتسين** ، **فقد اعتبر اليمين الامريكي اغلاق ابواب المساعدة الاممية بوجه كوبا النهاية المؤكدة للاشتراكية والتجربة الكوبية وكاسترو** ، واعتقد خصوم كاسترو الألداء الذين يعيشون في المنفى منذ السنوات الاولى للثورة الكوبية ان سقوط الاتحاد السوفيتي والدول التي كانت تسير على نهجه في أوروبا الشرقية يرفع عن كاهلهم عبء الاعداد لأي غزو عسكري آخر لكوبا .. وهو ما لا تتوفر له أي ضمانات للنجاح ، تماما كما حدث في غزو خليج الخنازير قبل ٣٢ عاما.

وعندما أخذ يتضح ان انقطاع شريان المساعدات الى كوبا لتعويضها عن خسائر رهيبة ألحقها بها الحصار الاقتصادي الامريكي لا يحدث الأثر الحاسم المطلوب منه سنة بعد سنة من سقوط النظام السوفيتي ، بدأ القلق يستبد بكوبيي المنفى .. أي «الكوبيين -الامريكيين» بتعبير اصدق - وبدأوا يثيرون حجة منطقية للغاية.

طوال السنوات منذ «أزمة الصواريخ الكوبية» عام ١٩٩٢ الى سقوط النظام السوفياتي كانت حجة الادارات الامريكية المتعاقبة ضد غزو كوبا أن **واشنطن تعهدت مقابل سحب الصواريخ السوفياتية من الأراضي الامريكية لانهاء هذه الازمة بعدم غزو كوبا او المساعدة في غزوها /...** وبالتالي فان نقض هذا العهد يمكن ان يفجر حربا عالمية نووية ، والآن وقد سقط النظام السوفياتي لابد أن يسقط معه هذا التعهد نظريا وعمليا ، نصا وحرفا.

وعندما كانت الادارة العسكرية الامريكية تستعد لغزو هاييتي لأسباب شبيهة للغاية بالازمة مع كوبا- أي تدفق المهاجرين الفارين الى القوارب والألواح الخشبية باتجاه شواطئ الولايات المتحدة -ارتفعت أصوات كثيرة تؤكد غزو كوبا أولى وأهم .. بل لقد تأخر

* *

*** رأي كاسترو في منع اشتراكه في قمة الامريكتين .. وماذا سيقول لو حضرها**

أوانه كثيرا.

وأوضحت الازمة خلال الشهور الماضية ان حكام امريكا يعرفون شيئا لا يعرفه «الكوبيون -الامريكيون» .. وهو ان **غزو كوبا ليس مهمة سهلة حتى يقدم عليها أى رئيس امريكى .. بل ان غزو كوبا يمكن ان يفجر امريكا اللاتينية كلها ضد واشنطن والمصالح الامريكية** ، ولم يكن معنى هذا ان حكام الولايات المتحدة يعلنون التسليم فى مواجهة صمود النظام الكوبى ، انما كان معناه انهم يفكرون فى «وسائل أخرى» فما هى ؟

ان أوضح الخطط البديلة وأكثرها جاذبية للداعية الى إحكام الخناق الى حد القتل حول رقبة النظام الكوبى ، وقد ثبت انها جذبت الرئيس كلينتون نفسه ، على الرغم من انها صدرت عن أشد القوى السياسية عداء له ، **هى خطة شرح تفصيلاتها اليوت ابرامز** الذى شغل فى عهد رونالد ريجان منصب مساعد وزير الخارجية لشئون امريكا اللاتينية.**وتقضى هذه الخطة بتحويل قاعدة « جوانتانامو» البحرية الامريكية فى أراضى كوبا الى«برلين غربية أخرى** .. الى مدينة حرة صغيرة داخل كوبا الشيوعية ، حيث يستطيع الكوبيون أن يمارسوا حرية التجارة مع أمريكا وأن يمارسوا ايضا انتخاب حكامهم».

وفى برلين الغربية الكوبية هذه يمكن لسلاحى الاذاعة والتلفزيون ان يلعبا الدور الذى ادته برلين الغربية فى خلق الظروف التى ادت الى تحطيم سور برلين.

ولا يخفى صاحب هذه الخطة شيئا من افكاره ، حتى أكثرها اثارة للاشمئزاز من نوع قوله : أن كوبا ليست دولة عظمى ، ولا هى تستطيع ان تهدد مصالحنا حول العالم ، ولهذا ينبغى ان تكون المسألة يسيرة الحل. **عدم الاستقرار فى كوبا - العنف- تدفق اللاجئين والكوارث الطبيعية عبر البحر- كلها اجزاء من اشواك الموت فى جسم نظام كاسترو، وستنتهى كلها عندما ينتهى هذا النظام ، والحقيقة أن الامور لابد ان تزداد سوءا فى كوبا على ان يتم خلع هذا النظام .. ان علينا ان نزداد تشددا لا ان نكون أكثر ليونة».**

والمعنى الصحيح لهذه العبارات الأخيرة: مزيدا من التجويع للكوبيين ، مزيدا من انتشار الفقر والمرض والحاجة . مزيدا من المآسى الاجتماعية ومزيدا من التدهور العام بسبب نقص المصادر ونفاذ الطاقة ، هو السبيل الاوفق للانتهاء من نظام كاسترو ، وفى نفس واحد: لا تأخذكم بالكوبيين شفقة .. اقتلوهم حتى يمكن انقاذهم(...).

وقد جاء الحديث عن هذه الخطة فى وقت كانت «الازمة الكوبية» نفسها قد أدت الى تصاعد نوع آخر من التفكير بين الامريكيين ، وحتى بين الكوبيين فى المنفى» - يتذكرون فى ولاية فلوريدا التى تقع كوبا على مرمى المدافع منها ، يمكننا حتى أن نقول ان التيار الاعلى صوتا فى الساحة السياسية الأمريكية عندما صعدت ازمة الفارين من كوبا إلى ذروتها كان صوت المطالبين برفع الحصار عن كوبا باعتبار ذلك وأفضل السبل لانهاء نظام كاسترو» .. **وان كوبا تحتاج الى مساعدة لا الى عقاب »« ان العقوبات هى السبب الحقيقى لقدرة كاسترو على البقاء ، انها سبب اعجاب الكوبيين بالتحدى الذى يظهره لأمريكا- ان الحصار الاقتصادى ينال من الشعب الكوبى لا من حكامه..»**

بالاضافة الى هذا كان هناك «البعد اللاتينى» للأمة الكوبية.

لقد عرف الرئيس الامريكى **كلينتون** -كما عرف كل رئيس امريكى توالى على الحكم منذ انتصار الثورة الكوبية ، وهم ثمانية رؤساء قبل **كلينتون** من ايزنهاور إلى بوش - انه من الضرورى تجنب الصدام العسكرى المباشر مع كوبا كاسترو ، ذلك ان «فيديل» لا يتمتع فقط بشعبية داخل كوبا ، انه يتمتع بشعبية لا نظير لها فى جميع انحاء امريكا اللاتينية ، قليلة للغاية هى الحكومات اللاتينية التى تجاهر بأي تأييد لسياسة الحصار الأمريكية ضد كوبا ، **كاسترو** يستقبل استقبال الأبطال فى أي مدينة لاتينية ينزل بها.

وسط هذه الاعتبارات والحسابات بما فيها حسابات اصوات الكوبيين الامريكيين فى الانتخابات ،،، قرر **كلينتون** ان يأخذ بقدر من السياسة التى يدعو اليها المحافظون الامريكيون من الحزبين الديمقراطى والجمهورى ، دون ان يصل بها الى حد التفكير فى الغزو ... وبقدر من السياسة التى يدعو اليها الليبراليون فى الحزب الديمقراطى ، وكذلك اليسار الامريكى بوجه عام، دون ان يصل بها الى حد التفكير فى رفع العقوبات حتى وان كان البعض يعتبر ذلك واحدا من أقصر السبل الى الاطاحة بنظام كاسترو.من هنا كانت المفاوضات المحدودة التى ادت الى وقف تدفق المهاجرين من كوبا الى الشواطئ الامريكية .. لكنها لم تزد كما كانت كوبا تتمنى الى توسيع نطاق الحوار مع واشنطن ليشمل العلاقات الثنائية والعقوبات الاقتصادية ، على الرغم من اعتراف خصوم كوبا وانصارها فى الولايات المتحدة بأن هذه كلها امور متشابكة : هجرة الكوبيين والحصار الاقتصادى وسياسة العزل ضد كوبا ومشكلة قاعدة « جوانتانامو» التى لا تزال تبحث عن تفسير : لماذا قررت الثورة الكوبية من البداية أن لا تقاوم وجودها؟ هل ارادتها رهينة أمريكية؟ أم قدرت الثورة الكوبية أن تمسك امريكا بالقاعدة يجعلها ذريعة لتدخل عسكرى أمريكى واسع النطاق؟.

ولقد كان من أخطر تداعيات ازمة كوبا حتى بعد الاتفاق الامريكى الكوبى الجزئى بشأن وقف تدفق المهاجرين بالقوارب - ان الوضع فى القاعدة بعد الاعداد الكبيرة التى اعتقلت فيها وصل الى درجة من التوتر استوجبت اعلان حالة استنفار بين القوات الامريكية .. ولم يحل ذلك دون وقوع المحاولات التى تزداد يوما بعد يوم للهروب من القاعدة للعودة الى الأراضى الكوبية .. عبر حقول الالغام التى تفصل القاعدة الامريكية عن باقى الاراضى الكوبية. وقد رفضت السلطات العسكرية الامريكية فى «جوانتانامو» أن تصف رحيل الكوبيين من القاعدة التى تحولت الى معتقل كبير تحت

**

★ ادارة كلينتون حائرة بين استراتيجيتين:

★ الاولى تحول قاعدة «جوانتانامو» البحرية إلى برلين غربية فى كوبا تمهد لغزو من نوع آخر .

★ والثانية تطالب بها المؤسسة العسكرية الامريكية: فتح الحوار مع كاسترو .. لان البديل بالغ الخطورة.

حراسة القوات الامريكية - بأنه «دروب» .. على الرغم من أنه يتم خلسة وضد ارادة هذه القوات ، وعلى الرغم من ان الكوبيين الهاربين الى داخل وطنهم فى رحلة العودة يعرضون حياتهم للخطر ، فهم كما يقول المراسلون الامريكيون من داخل القاعدة- «يضطرون لاجتياز حاجز من الاسلاك الشائكة خطر كحد الموس» ، وبعد اجتيازه يقفزون من فوق جرف من الصخور بارتفاع ٣٠ قدما الى الماء ، ثم يسبحون وسط ألغام بحرية حتى الوصول الى الشاطئ الكوبى ، وهناك يخوضون فى حقول ألغام ارضية .. وهى الألغام التى تحمى اراضى كوبا ضد احتمال انزال من البحر يقوم به اعداء الثورة منطلقين من ولاية فلوريدا الامريكية.

وعلى الرغم من ان عدد الكوبيين الباقين فى معسكر الاعتقال الكبير فى «جوانتانامو» لا يقل حتى الآن عن ٢٠ الفا .. الا ان معظمهم الآن من المسنين والنساء والاطفال الذين لا يستطيعون خوض مخاطر العودة. **وقد اعترفت الصحافة الامريكية بأن حياة الكوبيين فى «جوانتانامو» هى «حياة مزرية داخل سجن كبير».**

والوضع لا يختلف فى معسكرات اعتقال اللاجئين الكوبيين فى بنما .. سوى فى بعدها نسبيا عن الاراضى الكوبية بالمقارنة بقاعدة «جوانتانامو» **وقد عبّر الانفجار المفاجئ للعنف بينهم ضد حراسهم من** القوات الامريكية عن سوء أحوالهم الأمر الذى دعا القيادة الامريكية فى بنما الى تحذير واشنطن وقبل هذا الانفجار من اسوأ الاحتمالات ، وما لبث المهاجرون الكوبيون ان أكدوا صحة هذا التوقع .. مما ادى الى انفجارهم ضد «حراسهم» الامريكيين الى اصابة اكثر من مائتين من هؤلاء الحراس.

والآن تبحث السلطات الامريكية فى واشنطن عن وسيلة تفريغ المعكسرات من المهاجرين الكوبيين سواء فى جوانتانامو او فى بنما بسرعة تكفى لتجنب مزيد من الاضطرابات من جانب المعتقلين وبطء يكفى لتجنب موجة جديدة من لاجئى القوارب قادمين من كوبا» .على حد تعبير مسئولين امريكيين لصحيفة «واشنطن بوست» (فى ١٤ ديسمبر الماضى).

وبعبر هذا بوضوح عن الازمة التى تجد الادارة الامريكية نفسها فيها .. انها تحصد ما زرعته بسياسة الحصار ضد كوبا طوال اكثر من ٣١ عاما . ولا تزال تتمسك بعناد بتطبيق السياسة نفسها ، على الرغم من اعترافها الضمنى بالعجز عن ايجاد «حل حاسم» «**والحل الحاسم هو دائما -عندما يكون الحديث عن كوبا- انهاء نظام كاسترو**».

ويبدو أن أكثر الهيئات قربا من المؤسسة العسكرية الامريكية تعى أكثر من غيرها خطورة المغامرة باستمرار السياسة الراهنة بقدر خطورة المغامرة بالاستجابة للداعين الى غزو كوبا بعد ان سقطت التعهدات بالاحجام عن ذلك بسقوط النظام السوفيتى الذى قطعت له هذه التعهدات قبل ٣٢ عاما.

فقبل اسابيع قليلة من التطورات الخطيرة فى جوانتانامو وفى بنما بشأن اوضاع المعتقلين الكوبيين ، رفعت مؤسسة راند البحثية الامريكية -تقريرا على درجة كبيرة من الاهمية بشأن كوبا الى وزير الدفاع الامريكى وليام بيرى،

ومؤسسة راند تجرى «ابحاثها» وتضع التقارير والدراسات لحساب البنتاجون (وزارة الدفاع الامريكية) لتكون بمثابة أسس للقرارات السياسية ، وفى هذا التقرير عن كوبا اوصت «راند» بضرورة التعامل مع كاسترو وعقد صفقة لانقاذ ماء الوجه معه .. بدلا من المخاطرة بازمة لا يمكن السيطرة عليها.

ويقول واضعو التقرير انه ينبغى الحذر من كاسترو لأنه اذا وجد نفسه محاصراً فى ركن ضيق فسوف يقاتل حتى الموت لكنه اذا اتيحت له خيارات سلمية قد يصل الى حد التنازل عن السلطة اذا ما تأكد ان ذلك ينطوى على مكاسب لكوبا.. لهذا تحث مؤسسة راند الادارة الامريكية على صياغة اقتراح يكون بمثابة صفقة كبرى تتجنب التدخل الخارجى وتنقذ ارواح الالاف من الكوبيين وربما الامريكيين ايضا.

بل تذهب المؤسسة التى تلعب دورا استشاريا اساسيا فى رسم سياسات



«البنتاجون» الى حد الاقتراح ان تشمل هذه الصفقة انسحاب امريكا من قاعدة «جوانتانامو» وتسليمها الى كوبا ... لكن بعد ان يكون قد تم تشكيل حكومة كوبية منتخبة أما في حالة حتمية التدخل العسكري فينبغي ان يتخذ شكل عملية من اجل السلام تحت مظلتي الأمم المتحدة ومنظمة الدول الامريكية». وقد فوجئ كثيرون من المعنيين بالشئون الكوبية في الولايات المتحدة بتوصيات مؤسسة «راند» التي تعبر عادة عن فكر المؤسسة العسكرية الامريكية .. خاصة و انها ضمت صوتها الى الداعين الى فتح ابواب الحوار مع نظام كاسترو .. وقد سبقها الى ذلك كثير من رجال الاعمال الامريكيين والهيئات المعبرة عن مصالحهم والتي اكدت ان الولايات المتحدة خسرت كثيرا بمقاطعتها لكوبا.. وان ما خسرته ذهب الى دول اخرى لا تزال تقيم علاقات اقتصادية وتجارية مع كوبا (انظر اليسار رسالة واشنطن- عدد أكتوبر ١٩٩٢).

****

ولقد تجددت الدعوة على نطاق واسع الى ضرورة فتح ابواب الحوار مع كوبا وكاسترو منذ بداية مرحلة الاعداد لقمة الامريكتين ووجدت الدعوة من يعبر عنها حتى في افتتاحيات كثير من الصحف «القومية الامريكية» مثل «لوس انجليوس تايمز» و «نيويورك تايمز» و «واشنطن بوست»، وكانت أوضحهم تعبيرا عن هذا الرأى صحيفة «كريستيان ساينس مونيتور» التي قالت في مقال افتتاحي يوم ١٤ ديسمبر الماضي: «يتعين على الرئيس كلينتون الآن أن يفعل بالنسبة لكوبا ما يفعله طوال الوقت مع غيرها وهو ان يفتح خطوط الاتصالات مع كاسترو، أن ادارته لم تنتهز الفرصة التي اتيحت لها في سبتمبر الماضي عندما طلب الزعيم الشيوعي محادثات تغطي عددا كبيرا من المسائل. كما فوّت الرئيس كلينتون فرصة أخرى في قمة الامريكتين .. لقد اظهرت الولايات المتحدة استعدادها للتعامل مع بلدان مثل الصين وهاييتي وفيتنام)، ولقد نفذت خياراتها الاخرى بالنسبة لكوبا».

والحقيقة ان كثيرين من الامريكيين، ربما يستثنى منهم فقط أعداء كاسترو الذين يعيشون في أمريكا منذ انتصار الثورة الكوبية يتساءلون: لماذا استقبل كلينتون ياسر عرفات في البيت الأبيض وفتح حوارا مع كوريا الشمالية، وأقام علاقات دبلوماسية مع فيتنام، ويقيم اوسع العلاقات التجارية مع الصين و، لا يفعل الشئ نفسه مع كاسترو وكوبا؟

ويعرف الجميع ان السبب يكمن في «المجموعة الضاغطة» التي تتمثل في الكوبيين -الامريكيين، الذين اصبحوا يشكلون مركز قوة انتخابي سواء بالنسبة لانتخابات الرئاسة او انتخابات الكونغرس في بلد أصبحت فيه الفروق بين الفائز بالرئاسة ومن يخسرها لا تتجاوز نسبة ٥٪ بالمئة من أصوات الناخبين .. وأحيانا أقل.

وبسبب هذا العامل الداخلي -الذي يذكرنا في قضايانا العربية بالعامل الذي يمثله «اللوبي الاسرائيلي» -مارست الولايات المتحدة أقصى ضغوطها على دول نصف الكرة الغربي جميعا ونجحت في منع كوبا من المشاركة في قمة الامريكيين.

وفي لقاء نادر عقده كاسترو في هافانا يوم ١٢ ديسمبر الماضي (اليوم التالي لنهاية قمة الامريكتين) لمجموعة كبيرة من محرري صحيفة «نيويرك تايمز الامريكية» قال الزعيم الكوبي: اذا كانت هذه القمة في ميامي عرضا رائعا فانها كانت ستصبح عرضا اروع لو انني كنت هناك، لكن الحقيقة اننا آخر الثوار،، ولم يكن هذا اجتماعا للثوار».

أهم من هذا ما قاله كاسترو في هذا اللقاء: «يوم يريد رجال الاعمال الامريكيون ان يأتوا الى هنا لاقامة اعمال لهم فان ذلك سيسبب لنا صراعا شديدا، ولكننا مستعدون لمواجهة هذا التحدي، هل سيفسدوننا؟ هل سنسقط مرضى بعدوى الرأسمالية الرهيبة؟ نحن مستعدون لان نرى، لكن من الزائف بصورة مطلقة الادعاء بان الحصار يخدمنا كأداة سياسية للحفاظ على الشعب متحدا .. الثورة تتجدد، تفتح كوادر جديدة قادرة تستحق المسئوليات المتزايدة التي يعهد بها اليها إننا نثق بانهم يطيحون بنا ولم يضعونا أمام فرق الاعدام رميا بالرصاص»

**

إذا كانت سياسة أمريكا قد استهدفت بالحصار الحاق الشقاء بملايين الكوبيين فقد نجحت الى حد كبير.. أما إذا كانت قد استهدفت كسر الثورة الكوبية.. فقد حققت فشلا ذريعا.

ثم يعود كاسترو الى قمة الامريكتين ليقول:

«إن زملاءنا قادة امريكا اللاتينية يبيعون بثمن بخس للغاية ما يملكون للاستثمارات الخاصة في اندفاع لا يعرف التوقف لاعادة بناء اقتصادياتهم التي كانت في السابق تحاط بحماية زائدة ويكسبوا تجارة أكثر تحررا مع الولايات المتحدة.

وعندما سأل محرر «نيويورك تايمز» عما كان يفعله لو اتيح له التحدث امام القمة في ميامي قال:

«كنت سأحذر من الحاجات الاجتماعية التي تركت دون تلبية عن التنمية الاقتصادية التي خرجت عن السيطرة، عن بلد فقير تبتلعه ذراعا الولايات المتحدة الضخمتان».

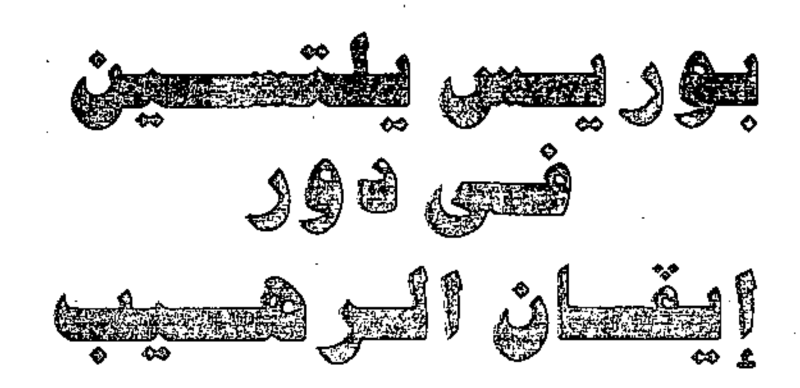
لكن حتى بعد أن انتهت «قمة الامريكتين ناقص كاسترو»، كما جرت تسميتها في الصحافة الامريكية - وبعد أن انتهى لقاء كاسترو مع الصحفيين الامريكيين في هافانا لا تزال تتردد اصداء التساؤل الملح عن مغزى الاستمرار في سياسة اثبتت فشلها على مدى ٣٢ عاما .. إلا في صنع الشقاء لشعب معتز باستقلاله يقدس سيادته ويعرف حقيقة ما فعلته الثورة له، ويخشى ما يمكن ان يفعله به اسقاطها.

والآن وعوامل الخطر تلوح بوجه السياسة الامريكية التي شلها جمود الاعتياد وحاصرتها الاعتبارات الانتخابية الضيقة، تجد أمريكا نفسها مضطرة الى التفكير من جديد: وماذا بعد كاسترو؟ ماذا يمكن ان يملأ الفراغ الرهيب الذي يمكن ان يتركه في كوبا ذهاب هذا العملاق الذي نجح في تحدي الامبراطورية الامريكية على مرمى مدافعها كما لم ينجح في تحديها احد في نصف الكرة الغربي باجمعه .. في تاريخه كله!

حتى أمريكا قلقة مما بعد كاسترو .. وهي كما قال الصحفيون الامريكيون الذين التقى بهم الزعيم الكوبي، ترقبه وقد شاع الشيب في كل ملامحه .. ولم يعد كاسترو الثلاثيني الذي عرفته من بدايات الثورة في الخمسينات، انما أصبح في الثامنة والستين .. وهموم وطنه تجعله يبدو أكبر سنا بكثير، لكنه لا يزال يثبت قدرة الثورة على التحدى».



شيشانيات مسلحات يعلن التأييد للرئيس دودايف في تظاهرة أمام القصر الرئاسي في غروزني



بوريس يلتسين في دور إيفان الرهيب

أحمد الخميسي

رسالة موسكو

ما زالت الاوساط الإعلامية الروسية تتندر بصورة الرئيس **بوريس يلتسين** الذي قام في آخر زيارة له إلي ألمانيا بقيادة الأوركسترا -الذي رقف يرحب به - وجسده الضخم يتطوح مع الانغام ودر في قمة النشوة الكحولية.

وقد ظل التليفزيون الألماني- بعد سفر يلتسين -يعرض الشريط الذي لاقي نجاحا هائلا-في التليفزيون لجمهور راسع استمتع بالمشهد طويلا ، ثم زاد الطين بلة ان الرئيس في الرحلة التالية له الي ايرلندا لم يستطع أن يخرج من الطائرة -بتأثير من نفس النشوة الكحولية -للقاء الرئيس الايرلندي الذي ظل واقفا في البرد يفرك يديه من الحرج حتى خرج له مساعد يلتسين ليعتذر بأن الرئيس مرهق بعض الشئ ، وتأجل اللقاء على مرأى من ملايين المشاهدين الروس الذين تابعوا النظر على الشاشات التليفزيونية وهم يدقون كفا بكف! وأخيرا رقد الرئيس في مستشفى الدولة- لمدة تزيد عن أسبوعين -لعلاج أنفه-.. وان كان الأطباء في البرلمان الروسي المعارضين يؤكدون أن أعقد العمليات الجراحية في الأنف لا يمكن ان تستغرق كل تلك الفترة ، وخلال ذلك طالب **فلاديمير جيرنوفسكي** الزعيم المتطرف وعضو البرلمان السماح له بإذن برلماني بزيارة يلتسين للتأكد من أنه مريض ، وأنه حي! إلا أن رئيس المجلس ايفان **ريبكين** رفض التصريح على ذلك المطلب : ان زيارة المرضى مسموح بها للأقارب فقط.

على أية حال فقد أعلن يلتسين -رغم أنفه- قيام حملة تأديبية على شمال القوقاز شاركت فيها ثلاث فرق عسكرية تتألف من أربعين ألف عسكري أي حوالي نصف عدد العسكريين الذين حاربوا افغانستان وشغلت الحرب- التي ارتدى خلالها يلتسين عباءة ايفان الرهيب -الرأي العام عن مشكلات هامة سابقة بين روسيا وأمريكا داخل مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي ، الذي اتضح فيه أن **الخلاف الروسي الامريكي ينتقل تدريجيا من اطار الخلاف بين الدولتين الكبريين الى اطار أوسع من الحرية في مواجهة القرار الامريكي.**

وانشغل المجتمع الروسي عن كل شئ بتفسير دوافع تلك الحماسة المفاجئة التي انتابت الرئيس لشن الحرب **على جمهورية الشيشان** فجأة ، ولم تكن قد لاحت مثل هذه النوايا العدوانية سوى مرة واحدة من قبل- عندما استولت الحماسة على الكسندر روتسكوي (ركان نائبا ليلتسين) عام ١٩٩١ فور اعلان الشيشان عن استقلالها فقرر انه لابد من تأديب القوقاز بحملة عسكرية أو على حد قول صديقنا **صلاح** عيسى«تجريدة» . ومنذ ذلك الحين هدأت الأمور ، ولم يناد أحد بالحرب على الجنرال جوهر دودايف الذي قاد في ٦ سبتمبر ٩١ عملية الاطاحة برموز الحكم الشيوعي المحلي في الشيشان بدعم وتأييد الكرملين ، ثم أعلن في ٢٧ أكتوبر عن انتخابه رئيسا للشيشان ، وأعقب ذلك في الأول من نوفمبر بالاعلان عن استقلال الشيشان- قاصدا بهذا انها ليست جزءا من روسيا .

وكان دودايف - وهو من مواليد ١٥ ابريل ١٩٤٤ -قد تجاوز السابعة والأربعين حينذاك ، ولم يكن في تاريخه السابق ما يوحي بأنه كفء لصدام عنيف مع روسيا ، فقد قضى ستة وعشرين عاما في سلاح الطيران السوفيتي، وشغل أعلى المناصب متدرجا من طيار عام ١٩٦٦ حتى منصب رئيس أركان ورئيس حامية عسكرية بمدينة

«تارتو» في استونيا ، هذا علاوة على أنه **كان عضوا بالحزب الشيوعي السوفيتي لأكثر من عشرين عاما ما بين ١٩٦٨ حتى ١٩٩١.**

ودونما سابق انذار قدم دودايف استقالته من عمله ، ورحل الى بلده شيشانيا وتزعم «**المؤتمر القومي العام لشعب الشيشان**» وقاد عملية الاطاحة برموز الحكم الشيوعي ، وشاع حينذاك أن دودايف رجل الكرملين ، دفعه الكرملين ليكون رئيسا للجمهورية ، وزادت تلك الاشاعات على ضوء تاريخ دودايف وبروزه السياسي المفاجئ ، وصلاته القوية بموسكو وجنرالاتها.

ومع ذلك وقع الصدام مبكرا بين دودايف والكرملين- فما إن أعلن دودايف عن استقلال الشيشان (عدد سكانها مليون نسمة) في الأول من نوفمبر ٩١ حتى اجتمع له البرلمان الروسي في الثاني من نوفمبر مباشرة ليصدر قرارا بأن الانتخابات التي رفعت دودايف رئيسا انتخابات غير شرعية ، وفي السابع من نفس الشهر -ردا على الاستقلال- أصدر يلتسين قراره بفرض حالة الطوارئ في الشيشان، وبعد يومين اثنين عزز قراره **بإرسال قوة عسكرية بالطائرات لمطار الشيشان فمنعتها من الهبوط في المطار الاف محتشدة من المواطنين فعادت القوة الى قواعدها سليمة.**

وفي ١١ أكتوبر ١٩٩٢ حشدت روسيا قوات ضخمة لها على حدود الشيشان ، فرد دودايف باعلان حالة الطوارئ والتعبئة العامة في بلاده تحسبا لهجوم روسي ، فتراجعت القوات دون حرب ، وظلت أزمة «الاستقلال من طرف واحد» معلقة تنتظر لحظة مناسبة لإعادة النظر في كيفية حلها.

وفي ٢٠ ديسمبر ١٩٩٣ أعلنت نتائج الاستفتاء في كل جمهوريات روسيا على الدستور الروسي ، إلا **أن جمهوريتين اثنتين فقط لم تشاركا في الاستفتاء وهما تتارستان التي تقع على نهر الفولجا ، والشيشان في القوقاز .**

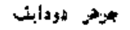
وفيما بعد وقعت تتارستان في فبراير ٩٤ المعاهدة الاتحادية التي تعترف فيها بأنها (تتارستان) جزء من روسيا ، بينما رفض دودايف توقيع تلك المعاهدة حتى الآن متشبثا بالاستقلال التام ، وبذلك **أمسى موقف الجنرال دودايف يهدد من الأساس فكرة «الفيدرالية الروسية» التي تتألف -وفقا للدستور الروسي- من تسع وثمانين طرفا أو وحدة.** ولما كان الحل العسكري صعبا لأسباب كثيرة، **لجأت موسكو الى افتعال معارضة مصنوعة صنعا بزعامة عمر أفتورخانوف** الذي يكتب عنه المراقبون الروس : «ان ميزته الوحيدة التي عرف بها هي طاعته العمياء لجنرالات الكرملين؟» ، وقام عمر بتأسيس المجلس المؤقت للمعارضة وأعلنت موسكو رسميا في ٢ أغسطس هذا العام عن تأييدها للمجلس المعارض ، وراحت تمده بالأسلحة والمعدات علّه يتمكن من حل الازمة من داخلها تفاديا للتدخل العسكري ، لكن عمر لم يستطع -مع انعدام مطلق لأى تعاطف معه- أن يحل أو يربط ، حتى دفعت موسكو لشن أكبر هجوم عسكري على مقر الرئيس دودايف في ٢٥ نوفمبر الماضي، ومع فشل الهجوم ادركت موسكو ان الرهان على عمر غير مجد، خاصة بعد ان اسرت قوات دودايف ضباطا روس كانوا يقاتلون نيابة عن عمر ، وفي الأول من ديسمبر الماضي يعترف وزير الدفاع الروسي صراحة بأن طائرات وزارة الدفاع هي التي تولت عملية قذف جروزني، بعد ان ظل ينكر ذلك طويلا . وفي ٦ ديسمبر يجتمع وزير الدفاع الروسي مع الرئيس دودايف في انجوشيا المجاورة للشيشان ليتفقا على أطلاق سراح الاسرى الروس . وفي ١١ ديسمبر بعد اطلاق سراح الاسرى تبدأ القوات الروسية زحفها الى الشيشان تحت حماية الطائرات وخلال ذلك تتعثر المفاوضات بين وفدي دودايف ووفد الحكومة الروسية في شمال اوسيتيا ، حتى يعلن يلتسين -بعد ستة أيام من القتال-عن مبادرة يدعو فيها الرئيس دودايف باسمه- للمرة الأولى- للمشاركة في المفاوضات التي سيمثل روسيا فيها رئيس الوزراء ورئيسا مجلسي البرلمان شوميكو وايفان ريبكين . وقد راهن الكرملين على شئ واحد- أن قواته الزاحفة المجلجلة ستلقي الرعب في نفس دودايف ، هذا كل رهانه .. ولم يفكر الكرملين فيما عليه ان يفعله اذا صمد دودايف ولو لأيام قليلة؟ وهكذا وجدت القوات الروسية نفسها عند مشارف جروزني العاصمة ، دون خطة لاحقة.

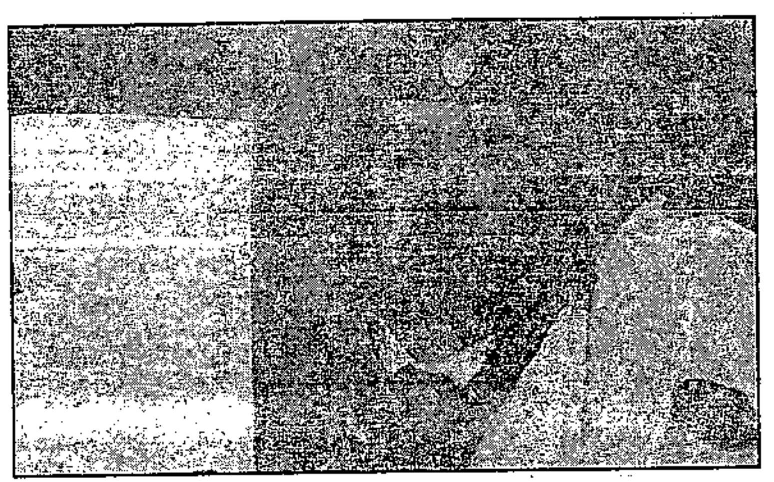
فهل كان ينبغي عليها أن تواصل التقدم لتخلع دودايف بالقوة من كرسي الحكم وتسوقه أسيرا الى موسكو ؟

أم أن عليها أن تنتظر وأن تتلقى خلال ذلك ضربات من فدائيين تستميت نساؤهم وأطفالهم في مواجهة الدبابات؟

علما بأن دودايف كان يكسب الكثيرين في صفه مع كل لحظة تمر دون أن يلقى فيها الهزيمة النهائية.

وهكذا وجد الكرملين نفسه في مأزق : النصر العسكري المحتوم بفعل التفوق العسكري الواضح دون تحقيق نصر سياسي. وخلال ذلك كان دودايف يخاطب الجماهير الشيشانية بقوله : «ان لروسيا شهية الحيتان الكبرى ، ولم يعد هناك ما ننتظره منها سوى العدوان المتكرر ولم يعد هناك فرد واحد يأمل في رحمة تأتي من قبل روسيا . والآن لم يعد أمامكم سوى أن تدحروا الغزو الروسي في كل ركن ، فأضربوهم بلا هوادة ، وتمسكوا بحرب


جوهر دودايف





الجبال المختبرة العزيقة : اضرب واهرب ، اضرب واهرب ، حتى يقتلهم الفزع والرعب من كل ناحية » وخلال ذلك تشكلت مراكز للمتطوعين فى كافة جمهوريات القوقاز بدعوة من كونفيدرالية شعوب القوقاز ، واتضح ان قوات دودايف لا تعانى من عجز فى المعدات والذخيرة ، كما اتضح ان خسائر الجيش الروسى أكبر بكثير من الأرقام المعلنة ، وأن جمهوريتى اينجوشيتيا وداغستان تؤيدان دودايف. ففى الأولى تم حصار الفرقة التاسعة عشر لمنعها من التقدم صوب الشيشان ، وفى الثانية تم حصار فرقة أخرى وأسر عدد من ضباطها ، كما تكررت حالات استسلام العسكريين الروس الذين لا يدركون هدف الحرب بوضوح ، وقدم مجموعة كبيرة من الضباط استقالة جماعية ، وبينما حاولت الحكومة اغراء الجيش بأنها سترفع الرواتب ثلاثة أضعاف . على حين وقفت كافة الاحزاب السياسية الروسية تقريبا ضد قرار الحرب ، ولم يجد يلتسين من يؤيد قراره سوى فلاديمير جيرنوفسكى السياسى الذى تحيط به وبحزبه أكبر الشكوك ، واتهم «الديمقراطيون» القوميين الروس بأن الحرب قد أعدت بهدف واحد هو اعلان حالة الطوارئ فى روسيا كلها ونسف دعائم التجربة الديمقراطية الحديثة . بينما اتهم القوميون «الديمقراطيين» بأنهم يعملون على تنسيخ وحدة الدولة الروسية . ولم تستطع القيادة الروسية أن تغطى الحملة التأديبية بأهداف واضحة ، فمرة تدعى أن سبب الحرب هو كثرة أعداد المجرمين ومزيفى العملات ومهربى المخدرات فى الشيشان (وكأن اعدادهم قليلة فى موسكو) - ومرة تدعى أن هدفها الدفاع عن الأقليات الروسية فى القوقاز ، ومرة تقول ان القصد هو اعادة الدفاع عن الأقليات الروسية فى القوقاز ، ومرة تقول ان القصد هو اعادة الشرعية لنصابها ، في الشيشان باجراء انتخابات رئاسية حرة وتشكيل حكومة ائتلافية ، ومرة تقول ان الهدف هو نزع أسلحة التشكيلات العسكرية غير الشرعية (مقصود بها جيش دودايف فقط) الى آخر ذلك.

وبطبيعة الحال فإن الجنرال دودايف لا يستطيع خلال ذلك ان يدعى أنه يعبر عن شعبه بالكامل فى ظل حكم رئاسى فردى يقوم على صلات عشائرية وعلاقات متخلفة، وفتح ابواب بلاده للنهب الامريكى والبريطانى للبترول الشيشانى. وعلاوة على ذلك فقد وفر دودايف للمعارضة الرمزية ذرائع قوية حين قام بحل البرلمان وتسريح الحكومة وتركيز السلطات بين يديه وحدد مع رائحة الفساد والرشاوى وصفقات الأسلحة والنفط السرية التى يتقاضى عنها رجال دودايف عمولات هائلة. وبالرغم من ذلك- فقد كان صوت دودايف المعارض يعبر بدرجة ما عن قضية أكبر منه، هى قضية شعوب القوقاز التى أخضعتها روسيا وبدأت تضمها اليها بالقوة فواجهتها انتفاضة الشيخ منصور الشيشانى عام ١٧٨٥ حتى ١٧٩١ ، ثم عادت روسيا بحملات أقوى الى القوقاز عام ١٨٢٨، فاندلعت ضدها حركة شعبية واسعة النطاق استمرت ثلاثين عاما من ١٨٢٤ حتى ١٨٥٩ بقيادة الإمام الثائر الشيخ شاميل الذى يحفظ له الشيشانيون قوله لمواطنيه : «اعشقوا شباب الجبال وقدسوا الحرية كأنها أمهاتكم ، وكافحوا من أجلها ، فليس لكم حياة من دونها يا أهل الجبال» وكان الاسلام قد دخل الى القوقاز عبر آسيا الوسطى فى القرن الثالث عشر فتغذى الصراع الروسى القوقازى من أبعاد مركبة ثقافية وقومية ودينية.

ومع اخضاع القوقاز ودخول السلطة السوفيتية فيما بعد ، أطاح الجيش السوفيتى عام ١٩٢١ بأول حكومة شيشانية مستقلة كان يترأسها تاباى شيرموف ثم قامت السلطات بتبديل الابجدية العربية التى كان القوقازيون يكتبون بها الى اللاتينية عام ١٩٢٧ ، ثم الروسية. وخلال الحرب العالمية الثانية أصدر ستالين قراره بترحيل(!) شعب الشيشان والانجوش فى فبراير ١٩٤٤ من أرضه وتهجيره الى الأراضى الكازاخية ، فمات فى تلك الرحلة آلالاف من الاطفال والنساء. وكان ذلك بدعوى أن القوقازيين قد ساعدوا الجيش الألمانى ، ومن ثم حل العقاب ليس على افراد محددين «تعاونوا» بل على الشعب كاملا ، وهو العقاب الذى انزله ستالين بالتتار وغيرهم من الشعوب الصغيرة : الترحيل .

ويتألف القوقاز من ست جمهوريات تربطها أواصر القرابة العرقية ، والدين ومستوى مشترك من التطور الاجتماعى والاقتصادي ويسكنه ستة ملايين نسمة ، ومع وصول دودايف للحكم عام ١٩٩١ كان من أول أهدافه المعلنة : «توحيد شعوب القوقاز فى اتحاد كونفيدرالى على أساس حقوق متساوية وتمثيل سياسى وقومى عادل» أما عن برنامجه السياسى فإنه يعلن تمسكه ببناء دولة علمانية تسترشد بالدين والشريعة، وعلى المستوى الاقتصادى يعمل على كسر احتكار الدولة للإنتاج والتجارة وفتح الابواب للاستثمارات الاجنبية والمشاريع الخاصة وتطوير القطاع الخاص واجتذاب رؤوس الأموال وبناء دعائم الاقتصاد الرأسمالى الحر على أساس الملكية الخاصة .

ونتيجة للوضع الخاص لجمهورية الشيشان من حيث انها أكبر الجمهوريات تمدادا ، فإن دودايف يعتبر نفسه مسئولا عن مصير القوقاز وزعيما مرشحا لقيادة شعوبه الجبلية ، ولم تكن صدفة ان يعلن موسى شانيبوف رئيس كونفدرالية شعوب القوقاز أن «حركة الشيشان تمثل الآن قلب القوقاز كله ، وستحدد تلك الحركة مصير القوقاز بأكمله ، فإذا انتصر الشاشانيون فقد انتصرنا جميعا» . ومع كل هذا ، فإن دودايف لم يقم بأكثر من استغلال الطاقات الشعبية والاحلام التى تتصور أن الاستقلال عن روسيا سيجعل القوقاز مزدهرا يحيا حياة شعوب الخليج العربى . أما عن قضية الانفصال عن روسيا فإن الكثيرين لا يرونها مطلبا محتملا ،ولكن من المؤكد أنه لابد من أن يسود منهج آخر للتعامل الروسى مع القوميات الصغيرة ، وفى ذلك التقى دودايف مع الكثير مما يتوق إليه شعب الشيشان وتتوق إليه شعوب القوقاز البعيدة عنا ، والتى لم تجد روسيا طريقة للتعامل معها سوى تزييت عجل الدبابات ودفعها الى هناك.

جاك ديلور
آخر الرجال المحترمين

رسالة باريس



كان لإعلان **جاك ديلور** (رئيس المجموعة الأوربية حتى نهاية ديسمبر ٩٤) عن عدم ترشيح نفسه لانتخابات الرئاسة الفرنسية المقبلة وقعا كالصاعقة فى صفوف الحزب الاشتراكى الفرنسى، الذى وجد نفسه فجأة فى خضم امواج هائلة دون ربان ، خاصة بعدما حل ترشيح الحزب لديلور اشكاليات كبيرة بين التيارات المختلفة المتصارعة داخل الحزب ، كما كان لهذا الإعلان غير المتوقع صدى آخر لدى المراقبين والمتابعين للشئون الفرنسية داخل فرنسا وخارجها.

كان إعلانا مباغتا للجميع،فلم يتوقع أحد ان يرفض أحد الرجال فى عالمنا اليوم السلطة بعد ان قدمت اليه على طبق من ذهب **فالاشتراكيون جميعا تكتلوا وأعلنوا بكافة فصائلهم وتياراتهم أنهم يؤيدونه كمرشح وحيد للحزب** ،ولم يجرؤ أحد من اليسار الاشتراكى على مخالفة هذا الاجماع باستثناء حركة المواطنين التى يترأسها **جان** بيير وزير الدفاع الاسبق والمنشق عن الحزب الاشتراكى ، بل وتنازل **ميشيل روكار** رئيس الوزراء الاشتراكى الاسبق عن ترشيح نفسه مؤيدا ترشيح ديلور بل وأيده قادة التيارات المختلفة داخل الحزب .ولم تتأخر استنتاجات الرأى التى أجمعت جميعها خلال الشهور القليلة الماضية على أن خطوط **ديلور** كبيرة جدا للتفوق على المرشح اليمينى فى الدور الثانى للانتخابات أيا كان ، حيث تفوق على **جاك شيراك** بنسبة ٥٦٪ ، بينما تفوق على **إدوارد بلادير** بنسبة ٥٤٪ وها هو ذا يعلن فى يوم السبت ١٢/١٠ فى البرنامج التليفزيونى الشهير **٧ على ٧** عن عدم ترشيح نفسه فى الانتخابات المقبلة.

ولعل من فاجئه هذا الإعلان - ونعترف بأننا منهم- قد خدع بما قدم فى وسائل الاعلام المختلفة عن الرجل الذى لم يكن يحب الحديث فى أي وقت من الأوقات عن نفسه ، وترك من عرفوه ومن لم يعرفوه يتحدثون عنه ، لم يكن يعلق إلا فى القليل ، وحتى قليله كان يفهم دائما على أنه مكر ودهاء من قبل الرجل الذى سيرشح نفسه حتما ، فهو لا ينفصل عن هذه النوعية من رجال السياسة فى الغرب والشرق ممن يتشبثون بمقاعدهم ويحاربون العالم والناس دفاعا عن السلطة حتى ولو بقوا على رأسها عقود طويلة ، وكان لسان حالنا يقول وكيف يرفض أحد خارج السلطة الوصول اليها دون تعب ، أو معاناة وفى دولة كبرى كفرنسا؟ لقد خذلنا **جميعاجاك ديلور** بل وتحدانا جميعا مؤكدا ان فى عالمنا اليوم ما زال هناك أناس محترمين ، وما زال الإنسان يملك من الحس السليم ما يجعله قادرا على اتخاذ اصعب القرارات ، مبتعدا عن الانانية والتسلط والمصلحة الخاصة.

أسباب جاك ديلور المعلنة

قال جاك ديلور انه قد قرر ألا يكون مرشحا لانتخابات رئاسة الجمهورية ، وأن هذا القرار لم يكن بالسهل ، وانه قد سأل نفسه سؤالين : كيف سأحكم؟ ومع من؟ حيث أنه لا يوجد طبيب معجزة ، وأضاف أنه لم يكن يريد أخذ قرار يؤدى إلى الدخول فى تحالفات ويكذب على الفرنسيين ، وقال **«أقولها لكم بصراحة ، إننى لا أتمنى بعد انتخابى أن أكون مجبرا على أن أتعايش مع حكومة لا تشاركنى توجهاتى»** وأضاف «وأن أنهى مناصبى الرسمية فى مقر الاليزيه (مقر رئاسة الجمهورية) **كتتويج** لحياتى العملية ، لم يكن ابدا هدفا لى ، اذ ان **هدفى أن أكون نافعا ، وسوف أكون نافعا خلال السنوات المقبلة على قدر وسائلى»** . ولم ينس ديلور التأكيد على أن كثيرا من الأسباب الشخصية أيضا قد منعته من الترشيح حيث قال انه سيبلغ قريبا **عامه السبعين ، وأنه قد عمل دون انقطاع منذ خمسين عاما**. ومن العقل فى مثل هذه


جاك ديلور

الظروف إتيان حياة ستحرزانه بين التأمل والعمل . كما لم ينس ديلور أيضا أن يقول بخصوص من يخدعون الناس بوعود دم البراقة قبل الانتخابات مثل رئيس الوزراء الحالي أدوارد بلادير الذى قال بشأنه عندما يعد بالإصلاحات دون كسور ، وأيضا بشأن شيراك الذى يعد بالاصلاحات دون تحميل الناس لفاتورتها ، وقال الاثنين يكذبان على الفرنسيين».

ولكي يقلل من آثار الصدمة على الحزب الاشتراكى أعلن «أن الحزب الاشتراكي يظل ملجأ اليسار ، فإذا أتفق مع الحزب الراديكالي ، فسيكون فى المرتبة الثانية فى الدور الأول من الانتخابات إذ منذ ١٩٦٩ كان الحزب الاشتراكى دائما منافسا فى انتخابات الرئاسة فى الدور الثانى وكانت نتائجه بين ٤٨٪ و ٥٢٪ وسيظل».

لكن ما هى الاثار الفعلية لانسحاب ديلور من السباق على مقر الاليزيه على الانتخابات الرئاسة المقبلة؟

طبيعيا ان تكون الاثار بالغة ، نتيجة ما قلناه من أن ديلور كان الوحيد من المرشحين ممن لهم شعبية خارج الحزب الاشتراكى نفسه ، بل وفى صفوف بعض احزاب الوسط المتحالفة فى اليمين، وفى شهر نوفمبر الماضى أسفر قياس للرأي عن أن ٥٦٪ من رؤساء مجالس ادارات الشركات الخاصة (أصحاب الاعمال) يؤيدون ترشيح جاك ديلور رئيسا للدولة ، والمسألة ليست غريبة فقد كان جاك ديلور على يمين الحزب الاشتراكى ، وكان المعروف أن آراء ديلور والتى أعلنها فى كتابه الاخير منذ شهرين تقريبا لا تتطابق تماما مع ما أعلنه ويعلنه الحزب الاشتراكى ، خاصة بعد التعديلات الأخيرة فى هيئته القيادية ووصول هنرى ايمانيولى رئيس الجمعية الوطنية السابق سكرتيرا عاما للحزب ، خاصة بعد مؤتمر الحزب فى الشمال والذى أقر اتجاه الحزب ناحية اليسار ، خاتما المؤتمر بإنشاد الأعضاء لنشيد الأممية ، عدم التطابق هذا مع إصرار الحزب بكامل قياداته وهيئاته على مساندة جاك ديلور كمرشح الحزب الوحيد فى الانتخابات الرئاسية لم يكن موضوعيا متسقا مع ذاته ، وقلل كثيراً من الاشتراكيين من تلك المسألة على أهميتها ، والحق أننا نجد بين السطور ما يمكن ان نستشف منه ان ديلور لم يكن يريد أن يجعل نفسه رهينة الحزب الاشتراكى الذى حاولت بعض قياداته أن يتبنى ديلور برنامج الحزب بكامله أو مع مواءمة بين

بلادير.. وجاك شيراك.. معا

برنامجه وبرنامج الحزب.

من وجهة نظرنا أن جاك ديلور ذلك الرجل الذى يعشق أن يكون حرا ، ولم يستسغ هذه الصيغة التلفيقية التى فرضت عليه ، والمعروف أنه قد أخفى قراره حتى اللحظات الأخيرة من البرنامج التليفزيونى الذى أعلن فيه هذا القرار قبل انتهائه بربع ساعة ، ولم يعرف احد بقراره سواء من أصدقائه أو من معاونيه والعاملين معه إذ فاجأهم جميعا ،ولعل الحزب الاشتراكى هو الذى سيدفع ثمن هذا القرار كاملا. فهو الذى لا يملك أى مرشح غير ديلور فى مقابل اليمين الذى لا يقل عدد مرشحيه المستعدين إلى عشرة مرشحين يتنافسون علنيا فيما بينهم ، والحق ان ديلور كان الشخصية الوحيدة التى لم يختلف عليها احد فى صفوف الحزب، بل وهى الشخصية التى أستطاع من خلالها أيمانيولي ان يوحد صفوف الحزب مرة أخرى بعد صراعات عنيفة بين التيارات المختلفة خاصة عقب الهزة التى أصابت الحزب صبيحة اخفاقه الشديد فى الانتخابات الاوروبية والتى حقق فيها أسوأ نتيجة يحتلها الحزب الاشتراكى الفرنسى منذ عشرين عاما (١٤٪). شخصية ديلور كانت اذن بعيدة عن الصراعات الداخلية بأعتبار وجوده على رأس المجموعة الأوروبية مما جعل مسألة قبول ترشيحه هى فى نفس الوقت رفض لأن يكون احد التيارات المختلفة هو الرابح الوحيد . فديلور كان عنصر توازن داخل الحزب الاشتراكي وذلك لعدم انغرازه بالمشاكل الداخلية للحزب، وهذا ما يفسر عدم الانشغال من مسألة أن ديلور لا تتطابق أفكاره كلية مع الحزب.

ويقول هنرى ايمانيولى سكرتير عام الحزب والذى طالب فى مؤتمر الحزب الأخير جاك ديلور بألا يتخلى عن واجبه فى أن يكون مرشح الحزب ، يقول بأنه مُحبط ، ويأسف لذلك، ويضيف أن الحزب الاشتراكى موجود وسيظل ، وأن الأمل يظل كاملا ، وأنه سيعمل ما فى وسعه اذ ان الاشتراكية لم تمت وستعيش، وقال «أن الحزب سيصل الي اتفاق فى نهاية يناير القادم ، وسيكون للحزب مرشح ليس مفروضا عن طريق قياس الرأى ولكن سيختاره أعضاء الحزب ، وأتعشم أن يتحدث بوضوح، وأوجه نداء الى كل النساء والرجال فى اليسار أن يكونوا مرفوعى الرأس ، إذ ليس هناك منقذ عظيم.

كما اعلن جاك لانج وزير الثقافة السابق واحد أعمدة اليسار ومن المؤيدين لفرانسوا ميتران «أشعر بضيق شديد اذ لم أكن أتوقع ، أحترم قراره، ولكن اقول الحقيقة فأنى لم أفهم كلية أسبابه وأضاف اذا ما انتخب جاك ديلور فهو قادر على خلق اغلبية للعمل وللأفكار آتية من عمق المجتمع» ، وطالب بمحاولة إقناع ديلور ، وأعلن أنه لا يفكر فى ترشيح نفسه.

رفض بيير موروا رئيس الوزراء الاسبق وزعيم الاشتراكية الدولية عن الاعلان عما اذا كان قرار ديلور الذى أسف له سيجعله يتقدم للترشيح ، ولانه ، قائلا بأن ذلك ليس موضوع اليوم طالبا بحشد وتعبئة اليسار.

وأعلن رئيس الحزب الراديكالي والمتحالف مع الحزب الاشتراكي جان فرانسوا أورى بأنه يحترم دوافع جاك ديلور والذى لم يفاجئ بقراره- كما قال - وأعلن عن أن حزبه

سيتقدم بمرشح، وقال من جانبه يرد ان يكون مرشح حزبه هو **برناردتالي** ومن جانبه أعلن تابي عن حزبه ، وقال «ان الافكار التي يدافع عنها ديلور هي أفكار غالبية الفرنسيين ، وعليه ينبغي تأمين متابعة هذه المعركة»، وأضاف أنه ينبغي رفع التحدي الذي بدأ جاك ديلور الاجابة علي اسئلة حتى وان كان صعبا».

كما رأى **روبير إي** سكرتير عام الحزب الشيوعي الفرنسي «أن أهمية اليمين في هذا البلد ليست قدرا ، وأن بديل تقدمي من اليسار يمكن ايجاده ، وهذا هو معنى تقدمي للترشيح ، ولأفعالي في الفترة المقبلة».

اذ بانسحاب جاك ديلور الذي ملك الشجاعة ليقول لا للسلطة يصبح الوضع صعبا في اليسار ، بل ويبدأ الحزب الاشتراكي مرة أخرى من نقطة الصفر بعد ان كان الحزب على بعد خطوات قليلة ومؤكدة من عتبة الاليزيه للمرة الثالثة منذ عام ١٩٨١ ، بهذا القرار على اليسار ان ينتظر مرة أخرى وربما طويلا هذه المرة في صفوف المعارضة ، وعلى من حلموا بإعادة رسم الخريطة السياسية للأحزاب الفرنسية نتيجة وصول ديلور الى الحكم -وهذا حقيقي حينما ستتجه فصائل الوسط الى جانب ديلور- عليهم أن يبتلعوا احلامهم ، ويمهدوا أنفسهم لسبعة أعوام هذه المرة سيكون فيها رئيس الدولة والحكومة على اليمين ، وهكذا ساد الارتباك كل مكان في الحزب الاشتراكي. لعل الصوت الوحيد الهادئ والذي دعا الى أخذ الوقت للتأمل هو صوت سيجولين رويال وزير البيئة في الحكومة الاشتراكية السابقة اذا اعلنت انه على الحزب الا يجعل الترشيح لرئاسة الجمهورية معركة شخصية.

لكن من هي الشخصيات التي يمكن ان ترشح من قبل الاشتراكية ؟

في استطلاعات الرأى الاخيرة هناك اسم جاك لانج الذي اعطته الاستطلاعات نسبة ٤٢٪ من الفرنسيين يودون ان يروه في دور هام في الدولة في الشهور والسنوات القادمة بينما كانت النسبة التي حصل عليها ديلور في نفس الاستطلاع ٦٢٪ . والحق ان نسبة الـ ٤٢٪ هي نسبة أقل من أقطاب اليمين اذ يسبقه في الاستطلاع **إدوار بلادير** ، **وشارل باسكوا**، وأيضا **شيمون ڤيل**. وهو في نفس الوقت يتساوى مع **فيليب سيجان**، ويتفوق على **جاك شيراك** وريمون بار الذي حصل كل منهما على نسبة ٣٥٪، ويتفوق أيضا على **جيسكار ديستان** ٢٣٪ ويتفوق في نفس الوقت على فيليب ديفيليه مؤسس حركة اليمين الجديد ٢٢٪ وهناك نقاط قوة لدى **جاك لانج** فقد كان أهم وزير ثقافة في الفترة الماضية، وبجهوده حدث دفع للحركة الثقافية والفنية داخل فرنسا ، كما انه محبوب ضمن قطاعات الشباب وعمل وزيراً للتعليم أيضا ولديه خبرة في التعامل مع مشاكل الشباب، ويعد واحد من الاعمدة التي تساعد على تشجيع الابداع الشبابي اذ كان وراء إنتشار موسيقى وأغاني الراب بفرنسا ، **وجاك لانج** استاذ جامعي فهو استاذ القوانين المقارنة، وهذه الصفة الأخيرة تعطيه أهمية عن غيره من المرشحين خاصة فيما يتعلق بتطوير القوانين ومؤسسات الدولة.

وهناك اسم آخر هو **مارتين اوبري** إبنة جاك ديلور ووزيرة العمل السابقة في الحكومة الاشتراكية الاخيرة ، وهي تأتي في استطلاعات الرأي بعد **جاك لانج** للترشيح الا انها تفضل الانتظار ، ولا تسعى مثل ابيها الي بريق السلطة ، كما انه في حالة تقدمها للترشيح يمكن ان تتحمل نتائج القرار الذي اتخذه ديلور.

والاسم الثالث هو **ليونيل جوسبان** ، والذي خلق مسافة بينه وبين الحزب في الفترة الأخيرة مما جعله منعزلا ، وهذا لا يمنع ايضا ان يختبر حظه لعل وعسى خاصة وانه يود اعادة بناء نوع من اليسار على أسس معنوية

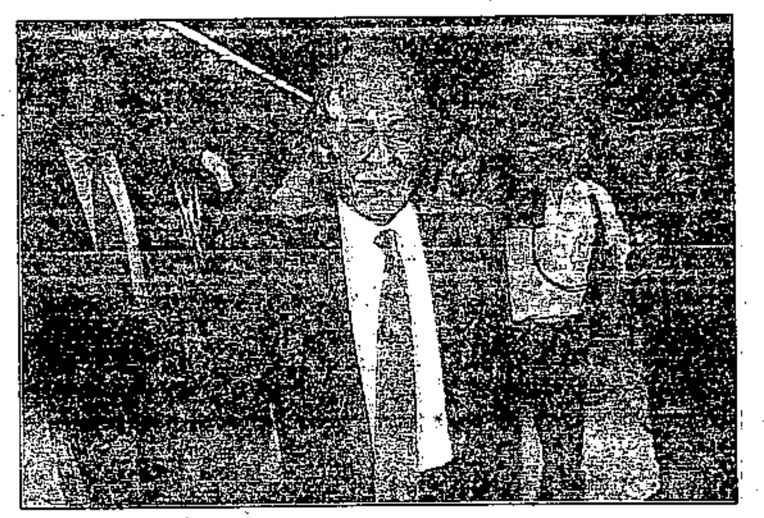
والاسم الرابع هو لوران **فابيوس** سكرتير عام الحزب الاسبق ورئيس الوزراء الاسبق الا انه لا يستطيع ان يخوض حملة انتخابية في هذه الأيام نظرا لأن قضية الدم الملوث المنظورة الآن أمام القضاء لم تنته بعد ، وهو مسئول عن أحداثها بحكم انها تمت أثناء رئاسته للوزراء.

كما يتردد أيضا اسم **ميشيل روكار** السكرتير العام السابق للحزب ورئيس الوزراء الأسبق ، وقد أيد منذ أكثر من شهر ترشيح ديلور بعد ان كان قد خرج من السباق على الرئاسة بعد هزيمة الحزب القاسية اثناء توليه سكرتارية الحزب في الانتخابات الاوروبية الماضية ، وما زال روكار بتياره الذي يسانده داخل الحزب، وبامكان مناصريه ترشيحه مرة أخرى ، لكن السؤال هل سيقبل روكار الذي استقال أخيرا من منصب العمدة في المدينة التي يسكنها معلنا انه لا يتشبث بالمناصب وانه يستطيع تركها كما فعل، هل سيقبل العودة مرة أخرى ليكون مرشح الحزب ؟ لا أعتقد .

هناك أيضا اسم **بيير موروا** ، وقد أبدى من قبل عدم اهتمامه بترشيح نفسه، الا انه في ظل الظروف الحالية ، يصبح هو الشخصية القادرة في الحزب على تجميع التيارات المختلفة حوله، لكن هل سيقبل هو ذلك؟

هناك ايضا اسم **ماري نويل لينمان** الوزيرة السابقة والتي دافعت مع اصدقائها وصديقاتها في اليسار الاشتراكي عن فكرة ترشيح مرشح واحد للحزبين الاشتراكي والشيوعي بالاضافة لأنصار البيئة لكن هل ستتجرأ على الدخول في لعبة الترشيح للرئاسة؟ إحتمال بعيد.

هذه الاسماء جميعها تعيد للحزب الاشتراكي تلك النزاعات القديمة الكامنة ، بل وتحييها من جديد بعد ان طويت صفحتها او تكاد ، لذا يجد ايمانيولي سكرتير عام الحزب نفسه في موقف لا يحسد عليه ، كيف يمكن ان يحافظ على وحدة الحزب، وان يكون للحزب في نفس الوقت مرشحه في الانتخابات



ميشيل روكار

الرئاسية المقبلة؟ سؤال أكثر من صعب، حتى حينما يقترح في نهاية يناير المقبل مرشح الحزب ، هل سيكون هذا الاقتراع كاف بأن يلتزم الجميع به ، ثلاثة أشهر وتشرف مرحلة ميتران على الانتهاء ، وسط تهديد حقيقي بتمزق الحزب ، الا اذا فكر ايمانيولي بترشيح نفسه للرئاسة ، ومن الممكن ان يحوز على ثقة الحزب الا انه سيكون صعبا جدا ان يصبح الرئيس الاشتراكي لفرنسا بعد ميتران حيث ستصبح المعركة صعبة بينه وبين اليمين الذى من الممكن ان يصل قطباه شيراك وبلادير ليتنافسا معا في الدور الثاني على الرئاسة.

وربما لم يفكر أحد في كل هذه الاسئلة التي طرحت نفسها فجأة عقب قرار أحد الرجال الذي زاد احترامه لدى الجميع ، حتى وإن وقفوا ضد أفكاره ، ولم يشاركوه إياها ، فديلور- حسبما يقول بول جيلبير من الفيجارو - مثقف ملتزم وليس من محترفي السياسة ، حيث ان شجاعته ان يقول «لا» للسلطة هي شئ نادر في عالمنا ، فقد أظهر ديلور أمانة ،وكشف عن أنه لم يكن على الإطلاق وراء الحركة التي أنشأها بعض الكوادر من شباب الحزب الاشتراكي تحت اسم **«حركة الرأي»** والتي كانت تدعو له إن ديلور قد ذكرنا بعظام الرجال من أمثال **ديجول** الذي أحترم ذاته وتخلى عن السلطة عندما قالت له الجماهير في شئ آخر لا يتعلق برئاسته .لا لقد امتنع ديلور عن ايهام الفرنسيين بأنه يمكنه تحقيق وعود بعينها ، وكان قادرا على أن يفعل وكانه لم يفعل. ولم يرد أن يقف ضد قناعاته وضميره ، وهو يعرف ان الاغلبية البرلمانية حتى وان حل الجمعية الوطنية لا يمكن ان تكون لأنصاره ، وبالتالي لا يريد ان يرى نفسه في موقع من يرتكب الغش السياسي اليومي في شتى بلدان العالم الغربي والشرقي ومع ذلك فقد أعطى ديلور أكبر هدية لليمين، وتنفست احزاب اليمين الصعداء ، فالآن وبعد ان طالب الجميع في الأغلبية البرلمانية بضرورة الاتفاق من على مرشح يميني واحد لتمكين اليمين من مواجهة ديلور، أصبح الآن هذا المطلب في اليمين لا يشكل خطورة عليه ، ومن هنا يمكن **لشيراك وبلادير** أن يتقدما معا للانتخابات القادمة دون خوف على اعتبار ان احدهما يمكنه ان يكسب الانتخابات الرئاسية القادمة كما تؤكد الشواهد.

هل لنا ان نطمع في أن يأتي ديلور آخر في بلداننا ، أم أن ديلور هو آخر الرجال المحترمين في هذا العالم؟

نص خطاب جاك ديلور

كما يعرف كثيرون، انني لم أنظم حياتي ابدا بطريقة الحصول على منصب حاولت دائما اختيار العمل ومواصلته في المكان الذى شعرت فيه بأني ساكون أكثر نفعا من أجل القيم التي ادافع عنها ، من أجل المجتمع ومن أجل بلدي. وإنه بنفس العقلية اتجهت بتأملاتي في الشهور الأخيرة. قررت الا اكون مرشحا لرئاسة الجمهورية ، لم يكن قرارا سهلا لذا سأحاول شرحه بأسهل ما يمكن ، كلما قلناه بطريقة أكثر وضوحا ، كثير من الاسباب الشخصية دفعتني لأن أقول لا. اذ سوف ابلغ السبعين عاما ، وأعمل دون انقطاع منذ خمسين عاما. وانه لمن دواعي العقل في مثل هذه الظروف الاتيان باسلوب حياة متوازنة بين التأمل والعمل، واذا كان هذا بسبب هذه العوامل الشخصية ، فلقد فكرت طويلا في المستقبل بالتزام جديد لأني أعتقد أن بلدي في حاجة الى إصلاح عميق ، خاصة لتجديد الديمقراطية ، وتشجيع مشاركة المواطنين والنضال ضد البطالة والاستبعاد ، وتوثيق الصلة الاجتماعية ، وتأمين التلاحم في بلدنا ،دون نسيان- ولكن يمكنني ان أنسى -الطابع الحيوي لفرنسا في أن تظل الملهمة لأوروبا سياسية قوية وفي نفس الوقت كرمة أنني متأكد ان الفرنسيين يودون اعادة بناء مجتمع مؤسس على التضامن مع الجميع ، وأيضا على مسئولية الجميع ، ان السؤال الذى يلح على كان منذ الآن أن أعرف في فرضية اذا ما كنت سأنتخب رئيسا للجمهورية ، ستكون لدى الإمكانية والوسائل السياسية لإنجاح هذه الإصلاحات التي لا غنى عنها . بعد ان فكرت طويلا واستشرت ، وصلت الى قناعة وهي أن غياب اغلبية لمساندة سياسة مثل تلك ، مهما كانت المعايير التي اتخذت بعد الانتخابات، لن تسمح لي أن أضع حلولي محل التطبيق ، اقول لكم صراحة لا أود بعد انتخابي أن أكون مجبرا على التعايش مع حكومة لا تشاركني توجهاتي ، إذ سيكون لدى الشعور حينئذ بأني كذبت على الفرنسيين مقترحا عليهم مشروعا من أجل فرنسا لا يمكن أن يوضع موضع التغيير مع مشاركتهم النشطة ، إنه هنا واجبي والذي يلتقي بضرورة خلق كثير من التناسق المنطقي ، وكثير من الشفافية في الحياة الديمقراطية ، وعدم اعطاء أوهام للفرنسيين ، بالفعل إحباطات الغير ديمقراطية ، ستكون أسوأ من تأسفات اليوم.

بدون شك سوف ينتقدني البعض من أجل موقف ليس معتادا في الحياة السياسية . لكن أتعشم أن يفهم الفرنسيون الذين يعرفون قناعاتي وهؤلاء الذين اظهروا إلي تشجيعهم في الفترة الأخيرة الأسباب وعلى الأخص التحليلات التي في نهاية الأمر جعلتني أن «أتخذ هذا القرار».

خرز لأهالى المستعمرات

نشرت الأسبوعية السياسية الألمانية «در شبيجل» فى عددها الصادر فى ١٢ ديسمبر مقالا خطيراً يكشف عن مدى تغلغل احتكارات الاعلام الالمانية فى شرق اوروبا .

وتحت عنوان «خرز للمستعمرات» كتبت در شبيجل فى شرق اوروبا : يسيطر الناشرون السويسرون الالمان على سوق الاعلام والنقاد يشكون من السيل القادم من الغرب» .

وقد تطورت ازمة المؤسسات الاعلامية فى بلاد أوروبا الشرقية مع نشوء وتعمق ازمة النظام السياسى فقد انهار النظام الاعلامى فى النهاية مع سقوط النظام الاجتماعى . وقد لعب التنظيم السياسى والاقتصادى للصحافة دوراً هاما فى التدهور الذى حدث والذى انتهى بالانهيار الكامل . وكان التحول السياسى بمثابة اختفاء الارض التى اقيمت عليها المؤسسات الاعلامية ، فبين يوم وليلة زال التنظيم القائم لملكية الصحف التى كانت فى حوزة الاحزاب والمنظمات النقابية والاجتماعية الاخرى ، وسقط الدعم الحكومى للاسعار (التى كانت احيانا تقل عن عشر التكلفة الفعلية) ، ومع صدور صحف جديدة ، وفتح الابواب للصحف الاجنبية (الناطقة باللغة المحلية) هبت رياح المنافسة القوية على صحف لم تملك القدرة الموضوعية والذاتية على المقاومة ومعظم الصحف التى كانت تعبر عن الاحزاب والقوى السياسية الحاكمة كانت قد انخفضت مصداقيتها وانحسر جمهور قرائها ، بحيث لم ينفعها كثيرا اجراء تغييرات سياسية وشخصية فى هيئات تحريرها . وانخفضت الطبعات الى النصف ثم الربع . والصحف التى حافظت على العشر استطاعت البقاء على قيد الحياة **نويس دويتشلاند** فى شرق المانيا .

نبيل يعقوب

رسالة المانيا

مالك واحد /الديلى ميرو/ ومعاريف وأكبر صحف المجر.

وكانت قيادة المجر سباقة كعادتها فعرضت كبرى الصحف اليومية نيبسابادشاج(حرية الشعب!) فى السوق للمشترين الاجانب قبل ان يذهب النظام السياسى وحزبه الحاكم! والصحيفة الآن فى قبضة واحد من أكبر الاحتكارات الاعلامية فى العالم (بيرتلزمان الالمانى) بالاشتراك مع جرونر ويار (المانيا).

ومما يذكر ان **روبرت ماكسويل** Robert Maxwell ، عاش كواحد من أكثر شخصيات العصر غموضا ، ومات أيضا ميتة غامضة . وهو اليهودى التشيكى الاصل، بريطانى الجنسية ، ضابط المخابرات البريطانى الذى اصبح من أهم رجال الموساد الإسرائيلى ، وامبراطور الصحافة فى بريطانيا

> **"حرية الصحافة فى بلاد وسط اوروبا تعتمد على الدويتشه مارك".**

(مالك مجموعة صحف بريطانية منها **الديلى ميرور**، وكان صاحب **معاريف** الاسرائيلية) ، واصبح فى عهد **جورباتشوف** أحد ثقاة القيادة السوفيتية ، **ماكسويل** كان من اوائل المبادرين بشراء اسهم عدد من الصحف فى المجر وبلغاريا عام ١٩٨٩.

الالمان يزيحون/ المنافسين الفرنسيين)

مقال **شبيجل** المشار اليه يفضح بالتفصيل استيلاء الاحتكارات الاعلامية الالمانية على المواقع التى كان قد سبق اليها ملك الصحافة الفرنسية **روبرت هيرسان Robert Hersant الذى يسمونه** لوبابيفور « أو ملتهم الورق واضطر صاحب **لوفيجارو وفرانس سوار** الغارق فى الديون ان يتخلى للناشرين الالمان عن اقطاعياته الاعلامية الجديدة التى كان قد اشتراها فى بلاد الشرق. وكان **هيرسان** قد عجز عن تسديد ٣٠٠ مليون مارك للبنوك يحل موعد سدادها فى نهاية العام، وفى البداية اشترت منه صحيفة المانية اسمها **باساور نويه بريسه Passauer Neue Presse** ٨ صحف بولندية مقابل ١٠٠ مليون مارك، منها صحف يومية تصدر فى عدد من المدن الواقعة فى اقاليم كانت تابعة لالمانيا الثانية جزءا من اراضى بولندا مثل **دانتسيج**.

جاهزون دائما

وأكبر الانتصارات التى حققها الزحف الالمانى حتى الآن يمكن مشاهدتها على الطبيعة فى تشيكيا والمجر وبولندا وقبل أربعة أسابيع فقط ضربت دار صحيفة راينشه بوست من دسولدورف (وتبلغ مبيعاتها نصف مليار مارك) ضربتها كما

تكتب **درشبيجل** ، فـاشـتـرت ٧٤٪ من الشركة التشيكية ، ومن ضمنها «ملادا فرونتا **دنيس** أكبر صحف تشيكيا وتبيع ٤٠٠،٠٠٠ نسخة.

وتكتب **شبيجل** كلما عرضت احدى صحف الشرق للبيع تجد احتكارات الاعلام الالمانية حاضرة وبسرعة الريح تجدها قدمت عرضها مكان الاحتكارات الشيوعية السابقة . ويستثمر المديرون الغربيون المليارات لتجهيز المطابع ودور النشر . وتعبير المجلة الاسبوعية عن قمة المأساة- المهزلة- عندما تكتب: «ان حرية الصحافة في الديمقراطيات الجديدة ترتكز الى الدويتشه مارك او الفرنك السويسري.

وقد وصل الاحتكار الاجنبي لسوق الصحافة في بولندا وتشيكيا والمجر حدا غير متصور اذ يبيع ناشرو الصحف الالمان للجمهور في بولندا ٢٠ مليون نسخة من مجموع ما يطبع وقدره ٥٠ مليون نسخة . وفي تشيكيا يملك الأجانب أكثر من نصف الجرائد ، وفي المجر يسيطرون في مجال الإعلام على ٨٠٪ من الرأسمال.

وكل مـا يشكو منه الناس في المانيا انتقلت عدواه بسرعة الى بلاد الشرق وتكتب **شبيجل** عن الريح الذي تحققه الشركات الالمانية من القذارة. والمقصود هنا طوفان الاعلانات التي تغرق صناديق بريد المواطنين بمئات الآلاف من اطنان الورق في المانيا .وحسب تقديرات احد معاهد الابحاث يبلغ **ما ستنفقه الصناعة في بلاد شرق اوروبا على الاعلان ١٨ مليار مارك سنويا**. هذا المبلغ يسيل لعاب اصحاب الاعمال الالمان الذين يملكون التكنولوجيا والخبرة ورأس المال . ويعبر عنهم احدهم قائلا: والآن بعد اختفاء الستار الحديدي ظهرت خلف ظهرنا قارة جديدة على السطح .وكل سوق الاعلان في الشرق لا زال يحبو مثل الاطفال . ثم يتحدث **هيرترايتر** لا عن تحقيق نمو او توسع لاعماله وانما عن تطور «انفجاري» في الصراع على مناجم الذهب بتنافس الالمان والسويسريون والبريطانيون والفرنسيون والامريكان . وقد حقق السويسريون والالمان حتى الآن نجاحات ملحوظة أما «أسمن القطع» في السوق فقد استولى عليها الناشر السويسري **ميشائيل رينجير(مجلات** Blick Cash، ويورجين ماركارد Popcom Maedchen,)، ودار نشر **هاينريش باور في هامبورج** (Tina) . وهي من مجلات التسلية والفضائح واخبار النجوم . ومن الطريف والمعبر عن اتجاه «التطور الثقافي» ان مجلة «بلاي بوي» كانت كلما بدأ يترنح أو يسقط نظام اشتراكي تحتفل «بتحرر شعبه بتخصيص موضوع الغلاف لواحدة من فتياته!

صحيفة المانية تشتري ٤٤ صحيفة تشيكية وبولندية

وتكتفي در شبيجل بان تضع علامة استفهام على ظاهرة ملفتة في السباق على الاسواق الجديدة. وهي الدور البارز الذي يلعبه عنصر غريب تماما عن هذا الجو: الصحيفة الاقليمية **«باساور نويه بريسه»** Passauer Neue Presse ، وتصدر هذه الصحيفة المغمورة عن دارنشر عائلية اسسها عـام ١٩٤٨ صديق لحزب **الاتحاد الاجتماعي المسيحي** CU S **هانز كامفينجر** (متوفي) ، ما لم تكتبه شبيجل وهو معروف جيدا في المانيا ، ان هذا الحزب هو الحزب الشقيق لحزب المستشار كول(الاتحاد الديمقراطي المسيحي) وشريكه في الحكم ، ويوجد فقط في مقاطعة بافاريا ، ويحكمها منذ ٤٠ سنة .هذا الحزب معروف بانه من اشد الاحزاب المحافظة يمينية ، وله اهتمام خاص بالاوضاع في تشيكيا (التي بينها وبافاريا حدود مشتركة) وسلوفاكيا وبولندا، وقد دعم في الماضي صراحة ، وهو يدعم الآن بشكل غير مباشر ، الاتحادات والجمعيات السياسية التي تطالب باستعادة منطقة «سوديتيلاند» من تشيكيا ومناطق شليزيا وغيرها من بولندا ، وقد لعب حزب الاتحاد الاجتماعي المسيحي C U S دوراً هاما في تشجيع وتمويل انقسام دولة تشيكوسلوفاكيا السابقة كما كتبت بعض الصحف الالمانية في حينه ، بفضل التوسع نحو الشرق زادت الصحيفة المذكورة مبيعاتها من ٨٨ مليون مارك عام ١٩٨٨ الى ٧٥٠ مليون حاليا.

واصبحت صحيفة باساور الجديدة فجأة عملاقا اعلاميا بامتلاكها ٤٤ صحيفة في تشيكيا وبولندا ، وتسجل در شبيجل تشككها قائلة: مكان مؤسسة محلية صغيرة تأكلت طوابير كاملة من مديريها ، نشأ من خلال عملية الشرق احتكار عريض البنية ، ويزعم الملاك انهم قد مولوا بانفسهم استثمارات تبلغ على أقل تقدير ٣٠٠ مليون مارك ، من الارباح ، ومن الدعم الذي تحصل عليه المشاريع المقامة في مناطق الحدود ، ومن قروض صندوق ادخار مدينة باساور.

ألمنة الاعلام في شرق اوروبا

اكسيل ديكمان ، وهو الشريك المسيطر في الجريدة ، قريب **كامفينجر** مؤسس الصحيفة والاسم «المفتاح» الذي يشير الى الصلة بأحد أحزاب المانيا الحاكمة ، عثر على شريكه المناسب في شخص المدير **لرانتيس كسافير**، ٣٨ سنة، والذي تصفه المجلة كما يلي : « مربي الأبقار البافاري وصاحب مصنع الاخشاب والصحفي يطير الآن بلا توقف عبر البلاد ويستثمر بنفسه عدة ملايين من الماركات في الدار الصحفية ، وانجازه الفذ تمثل في الاستيلاء الكامل على الصحافة الاقليمية في بوهيميا (احد اكبر واغنى اقاليم تشيكيا) رغم المقاومة التي بذلتها لمدى من الزمن المصلحة التشيكية لمكافحة الكارتيلات ، وهو يقوم حاليا باستكشاف الاتحاد السوفيتي السابق من خلال بولندا بوصفه «مركزاً للتوزيع».

ويتحدث مقال شبيجل عن خوف الاوروبيين الشرقيين من ان تتحقق الألمنة بعد ٥٥ سنة من بداية الحرب العالمية الثانية وذلك «بالقوة الناعمة».

أكبر صحف المانيا

تلفت النظر في كل مدن المانيا وبكثافة خاصة في مدن الشرق ملصقات ضخمة «أكبر صحف المانيا- **بيلد تسايتونج**». والذي يكلف نفسه عناء قراءة هذه الجريدة يشعر بواجب تقديم العزاء للشعب الالماني ، اذ يصعب تصور تفاهة وسطحية وديماجوجية هذا الشئ المسمى جريدة، ولكنها تصدر عن واحد من أكبر الاحتكارات الاعلامية وأكثرها تأثيرا على الرأي العام وهي دار آكسيل زيزار شبرانجر Axel Cesar Springer التي كانت اول من بادر بالزحف على ميدان الاعلام في الشرق عام ١٩٩٠ ، واستولت شركة بيلد Bild على ٧ صحف من ١٩ صحيفة اقليمية في المجر ، وجلبت العملية المثيرة احتجاجات شديدة ضد بيع البلد . وسن البرلمان في بودابست قانوناً ضد الاحتكار ، يمنع ان يشتري المستثمر اجنبي أكثر من صحيفتين.

ويعترف أحد اقطاعيي الصحافة في الشرق للمجلة بأن «المشاركة الالمانية في الصحافة تثير حساسيات ، وتكشف شبيجل ان جماعة باساور المذكورة عملت في عام ١٩٩١ على تغطية غزوها لمجال الصحافة البولندية في البداية بالاختباء **«خلف قناع»** ، وكانت مشاركتها في الصحيفة العمالية في **برويسلاو** * وفي احدى صحف مدينة **كراكاو** من خلال شركة سويسرية Inter-publication AG.

عنوان مقال شبيجل والذى استعرناه هنا جاء على لسان آدم هالبر نائب تحالف اليسار الديمقراطى (الذى خلف الحزب الشيوعى) والذى شن هجوما عنيفا على الناشرين الالمان ، يقول هالبر ان المستثمرين ينظرون إلى بلده كمستعمرة ، يمكنهم ان يبحيوا فيها خرزا للأهالى:

وتعانى بولندا مثلها مثل كل بلدان اوروبا الشرقية التى ترقمت خيرا من «الحرية» ، تعانى من سيل المجلات المصورة القادمة من الغرب ، وعندما يقول نائب بولندى «ان شبابنا يدفع نحو الهاوية» فهو يقصد بكل تأكيد الاعلام الهابط الذى يروج للعنف وللفساد الخلقى والذى يغرق اكشاك الصحف والمكتبات.

وقد اتبعت الاحتكارات الاعلامية الالمانية الضخمة فى الخارج نفس الاسلوب الذى جربته فى القضاء على الصحافة الجادة فى شرق المانيا .. بالمجلات المصورة ذات الورق المصقول والثمن المعقول ، وبعشرات المجلات المتخصصة فى الاثارة الجنسية ، جرى احتلال المساحة الاكبر فى سوق الاعلام ، وتبيع الطبعة البولندية من مجلة «تينا» التى تصدرها دار باور (الالمانية) ٢ر١ مليون نسخة ومجلة «كلاوديا» التى تصدرها دار جرونر اونديار (الالمانية) تبيع نحو ٧٥٠ر٠٠٠ نسخة، ومن المفهوم هنا ان الصحفيين المحليين يتحولون الى مترجمين ، فطالما كان الامر مجرد تسلية لا تكون هناك حاجة لصحفيين يبحثون عن هموم الناس واسبابها ... ولن تكفى كل مرتبات القساوسة الكاثوليك الغاضبين فى بولندا لجمع وافناء المجلات الهابطة ، وكان قس غاضب فى مدينة بولندية قد اشترى كل النسخ المعروضة من مجلة باور تفرى ويك ايند لافنائها كلها كما قال.

التلفزيون الخاص فقط هو الذى لم ينجح الالمان حتى الآن فى شرائه وتذكر شبيجل ان عملاق الاعلام بيرتلزمان فشل فى بولندا بعرض تقدم به لمحطة الارسال الوحيدة فى البلد.

وفى بوهيميا لا زال البافارى ليو كيرش ، «ملك التليفزيون» الذى يتعرض لنقد عنيف لسيطرته على قطاعات واسعة من الاعلام فى المانيا ، لا زال يتفاوض من اجل المشاركة ببرنامج بريميرا . ولكن هناك من يخطط لان يقفز فوق كل الحدود ليصل الي ٤٠٠ مليون اوروبى بواسطة الاقمار الصناعية ، هذا المشروع الكبير يخطط لتنفيذه «عمدة الراديو الخاص» يوزيف فون فيرنتش» ويريد ان يبدأ الارسال من قناته متعددة اللغات «الفاتى» في عام ١٩٩٧.

بعد المرسوم الاخير للرئيس الروسى يلتسين والذى يقرر فيه خصخصة جزء من اكبر مراكز التلفزيون الروسية «اوستانكينو» تتوقع صحيفة نويس دويتشلاند (١٢/٦) ان تتسارع التغيرات في مجال الاعلام في روسيا ، وتكتب ان امبراطوريات الاعلام مثل(CNN) NBC,BBC,Ted Tumer ستقفز لتسد الثغرة وتشترى عددا من محطات الارسال.

ما لم تكتبه در شبيجل

والهجوم الاعلامى الالماني علي الجبهة الشرقية سبق الهجوم الاقتصادى ومهد له، وخلق مستعمرات اعلامية في عالم اليوم، الذي يجرى تقسيمه واقتسامه دون الحاجة لحروب عالمية ، هو شرط لامتلاك المستعمرات الاقتصادية.

ومن عايش عملية التحول الهائلة التى جرت في وسط وشرق اوروبا يعرف مدى التأثير الهائل لوسائل الاعلام الاجنبية تحديدا علي عمليات تشكيل الرأى والارادة السياسية لشعوب البلدان المعنية ، ناهيك عن التأثير الطاغى على اتجاهات الناخبين.

وان كان انهيار **اشتراكيات الدولة قد جرى اساسا بفعل التناقضات العميقة الكامنة فى صلب هذه الانظمة ، بفعل التأخر الاقتصادى وغياب حرية التعبير والمشاركة الشعبية ، وبسبب افتقاد النظام السياسى للقدرة على فهم الوضع واجراء التطوير اللازم،** الا ان من السذاجة نفي الدور الذي لعبته القوى الخارجية علي كافة الاصعدة في اتجاه تعميق الازمة، وسلب هذه الانظمة عنصرا حاسما بدونه يستحيل ايجاد مخرج منها، وهذا العنصر هو الوقت. وكان هنا تحديدا دور الاعلام . لان الصواريخ وقاذفات القنابل الاعلامية كانت تنسف بغاراتها التليفزيونية التي لا تتوقف كل فكرة أو مشروع إصلاحى قبل ان تصل الفكرة إلي الجماهير. وكانت هي التي تحدد جدول اعمال اليوم سواء للمتظاهرين اوللسياسيين . ولكن خصوصا بعد انتصار الرأسمالية بدأت أكبر عملية غسيل مخ في تاريخ هذه الشعوب.

المقرر الجديد

وقد بدأ العمل المنهجى الذى يقوده المركز المهيمن لخلق الانسان الجديد بالتهليل لقيم الفردية ، وبنسف قيم التضامن بين الناس ، والذى يوصف بهزء بانه خيال طوباوى ، لا يزيد عن ان يكون قشة يتوهم الضعفاء انها قد تنقذهم ،ومن الملاحظ ان **الكنائس في شرق المانيا خصوصا تعبر عن قلقها الشديد من الجو الاجتماعى البارد بسبب ضياع روح التضامن بين الناس ، كما تسجل النقابات بانزعاج هبوط اعداد الاعضاء بشكل يهدد بقاء بعضها.** وتسهم نظريات ومقالات وافلام لا حصر لها فى ازالة الشعور بالانتماء المشترك ، وتضع الدعايات الانتماء للاقليم فى مواجهة الانتماء للشعب، وتروج لفكرة أن الرابطة الحقيقية بين الناس هى الاقليم الذي ينتمون اليه ، وسرعان ما ظهرت اسماء واعلام الاقاليم واناشيدها ، وبهتت فى ذاكرة الناس تلك الرابطة التاريخية التى خلقوا فى اطارها لغاتهم وثقافاتهم الوطنية وادلوا من خلالها باسهاماتهم فى عمارة التقدم الانسانى ودافعوا بانتمائهم لها عن ارضهم وعن حريتهم وكرامتهم ضد الغزاة والطغاة وضد النازية والفاشية . **الدعاية ضد الامة ووصفها بالموضة القديمة فى المحيط تجرى فى نفس الوقت الذى تنمو فيه الاتجاهات القومية المحافظة فى بلدان المراكز المهيمنة.**

وليس المقصود هنا نشاط مجموعات النازيين الجدد والقوميين التقليديين بل المقصود هو ما يشاهد من انتقال عام لكل المجتمع نحو اليمين.

وقد وجدت القيم الجديدة انتشارا سريعا ومدمرا وسط الناس ، النقود هى كل شئ هى مانحة الحرية والسعادة ، الذى عنده نقود انسان ناجح . من ليس عنده فاشل ، هذا كان ولا زال منطوق معظم الاعلام الجديد ، والرأسماليون الالمان الذين يستهدفون ارباح مالية وسياسية لن يصدروا ولن يترجموا صحفا من المستوى الرفيع مثل **دى تسايت أو فرانكفورتر روندشاو** ناهيك عن صحف توجه نقدا اساسيا لنظام اقتصاديات السوق، او تتعامل بجدية مع التاريخ الالمانى.

واحد اهم وظائف المنظومة الاعلامية هى إعادة كتابة التاريخ ، وتصحيح ما فى رؤوس الناس مما تبقى من دعايات شيوعية ، وسيل افلام الفيديو والتليفزيون والكتب التصحيحيةلا نهاية له.

ولنأخذ مثلا **موضوع العرب واسرائيل** لا فرق عند صحف دور شبرينجر بين حركات التحرير والحركات الارهابية. الدرس الجديد

المقرر على شعوب الشرق والذى يحمله الاعلام الجديد هو ان كل ما كانوا يعرفونه مشرد لانه ناتج عن نظرة وحيدة الجانب (**ظلمنا إسرائيل وايدنا العرب الارهابيين!!**) والعدالة هى العكس : تشويه صورة العرب، وتجميل صورة اسرائيل : الفلسطينيون ارهابيون يريدون محو اسرائيل عداء قديم قدم التاريخ .. **فقط بعد اوسلو اصبح عرفات (وليس الفلسطينيين عموما) محبا للسلام ولكنه ضعيف واصله ارهابى.**

درس ثان من المقرر الجديد هو التسوية بين النازية والشيوعية ، لانهما مثل بعضهما البعض : كلاهما مسئولان عن الحرب الثانية، كلاهما نظامان شموليان اما الرأسمالية فهى الديمقراطية ، وهى حقوق الانسان .. انها النظام الوحيد الممكن اقتصاديا ، أى انها عمليا نهاية التاريخ.

قادة اوروبا الشرقية سواء كانوا من «ابطال المعارضة» او من البيروقراطية الاشتراكية» الابقة التى اثبتت انها اشطر من غيرها من المحدثين فى تنفيذ عمليات الخصخصة ، وقطاعات واسعة من الشعب، **كلهم انتظروا ان تتدفق المليارات الغربية بعد اعلانهم التوبة عن الاشتراكية ، ورغم تسابق الساسة فى تنفيذ الشروط المطلوبة لتهيئة المجال للاستثمار وطمأنة الرأسمال الذى من صفاته سرعة الخوف كالغزال ، ورغم كل هذا ومرور خمس سنوات كاملة بدلا من وصول استلموا حبات الخرز الملونة ..** مجرد حبات خرز ملونة كما تكتب المجلة الالمانية التى تعلن عن نفسها بشعار قراء شبيجل يعرفون اكثر.

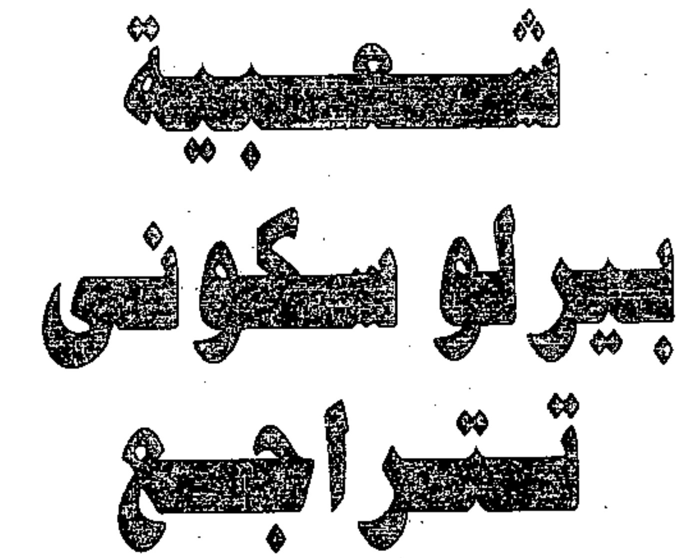
---

* اسمها فروتسلاف وقد درجت الصحف الالمانية على اطلاق اسماء المانية على المدن البولندية (ن . ى.)

الغزو المخطط عمالقة الاعلام الالمانى فى شرق اوروبا

عن در شبيجل عدد ١٩٩٤/١٢/١٢

باور BAUER	يورج ماركفارد JUERG MARQUARD
٦ مجلات فى بولندا	٤ مجلات و٧ صحف يومية واسبوعية فى بولندا
مجلتان فى المجر	١ صحيفة يومية و...
٣ مجلات فى تشيكيا	٤ مجلات فى المجر
١ مجلة فى روسيا	مطابع فى بولندا والمجر
بيرتيلزمان BERTELSMANN وجرونر ريار GRUNER+JAHR	باساور نويه بريسه PASSAUER NEUE RESSE
نوادى للكتاب فى تشيكيا والمجر وبولندا	٣٤ صحيفة
٣ صحف يومية فى المجر	٢ مجلات مصورة
١ صحيفة يومية فى سلوفاكيا	ومجلة نسائية واخرى تليفزيونية (مع بيرتلزمان) فى تشيكيا
١ صحيفة فى رومانيا ٣ مجلات فى بولندا	١٠ صحف فى بولندا
شبرينجر SPRINGER	رينجر RINGIER
١ مجلة فى كل من بولندا وتشيكيا ورومانيا ٩ صحف يومية اقليمية ٦ مجلات و ... ٢ مطبعة فى المجر	٩ صحف و١٢ مجلة فى تشيكيا ٧ مجلات فى سلوفاكيا ٣ صحف فى رومانيا ٢ صحيفة فى المجر ١ صحيفة فى كل من بولندا وبلغاريا
	* جميع الصحف فى جمهورية تشيكوسلوفاكيا الفيدرالية السابقة بالاشتراك مع لير كيرش.



مجدى نصيف

رسالة آوروبا

لم تكن استقالة النائب العام انطونيو دى بييترو يوم ٦ ديسمبر صدمة، بل ولم تكن حتى مفاجأة ، فهو وزملاؤه من القضاة ، فريق المحققين فى الفساد الذى عرف باسم «فريق الايدى النظيفة» ، أعدوا الرأى العام الايطالى لكل التطورات فى حملتهم ضد الفساد ، ولقد كانت هناك تلميحات قبلها بشهر ، عن إجراء تحقيقات مع رئيس الوزراء الاشتراكى السابق بتينو كراكسى ، ورئيس الوزراء الحالى سيلفيو بيرلوسكونى ، وقبل استقالة انطونيو دى بييترو بأسابيع كان يصرح بأنه يريد العودة الى مزرعة بريف الجنوب الايطالى ليستمتع بالهدوء بقية حياته ، وفى بوادبست العاصمة المجرية حيث كان ينعقد «مؤتمر الامن والتعاون الاوربى» صرح رئيس الوزراء الايطالى سيلفيو بيرلوسكونى عقب اعلان الاستقالة بأن هذا شأن سياسى ايطالى داخلى » ورفض أن يعلن بغير ذلك لكن زعيم احدى المجموعات البرلمانية (يمين -الوسط) دييجو ماس ، رفض السبب المعلن عن استقالة القاضى.

فلو كان انطونيو دى بييترو يريد الاحتجاج على الضغوط التى تبذل ضده وضد زملائه فى العمل الذين يقومون به، لكان من الممكن ان يطلب نقله الى مكان آخر ، أى نفس الوظيفة فى مدينة اخرى، وقد سبق ان طلب ذلك هو وفريقه فى شهر يوليه الماضى ، عندما حاولت الحكومة تحديد سلطات القضاة عند القبض على المتهمين ، لكنه هذه المرة استقال من سلك القضاء ، وليس من وظيفته المكلف بها فى التحقيق فى قضايا الفساد.

وهذا يعنى أنه يريد ان يفعل شيئا آخر ، وربما كان صحيحاً انه يريد ان يعود الى زراعته. وبذلك يكون فلاح القرن الخامس قبل الميلاد الذى ترك محراثه لينقذ جيشا رومانيا من الفناء ثم عاد بعدها الى ارضه ، لكنه اصبح بطلا ، وها هو القاضى الفلاح يفعل نفس الشئ ، انه البطل الذى بدأ حملته ضد الفساد بميلانو فسقط النظام القديم ، لكن بيرلوسكونى اسرع فالتقط النظام ليبدأ دورة جديدة.. لكن هناك اسباب اخرى وراء الاستقالة.

فى نوفمبر عام ١٩٩٣ قال «ان كل ما تحتاجه ايطاليا اليوم هو اصلاح الطبقة الحاكمة» ، وربما اعتقد وهذا ظاهر من تصريحه -ان هذا ممكن وواقعى لكن وبعد اربعة أشهر من هذا التصريح ، انتخب مواطنوه الايطاليون ، كرئيس للوزراء رجلا هو سيلفيو بيرلوسكونى ، حصل على الثروة وصعد سلم المجد والشهرة بطريقة جعلته يضرب بجذور عميقة فى«النظام القديم» وربما اثبتت الاحداث التالية لانطونيو دى بييترو ان الحياة العامة فى ايطاليا فى خطر الانزلاق الى«مستنقع الرداءة والفساد».

وقد ضايقت حكومة بيرلوسكونى فريق تحقيق «الأيدى النظيفة» بشكل كاد ان يكون مستمراً ففى شهر يولية حاولت الحكومة أن تنزع عن النائب العام ما هو ضرورى للتحقيق ، وفى شهر أكتوبر ارسلت حكومة بيرلوسكونى تفتيش للبحث عما يثبت ان النائب العام وفريقه قد اساءوا استخدام سلطاتهم ، وأخيرا أخذت المحكمة العليا من «فريق الايدى النظيفة» أهم قضية: «التحقيق فى قضية رشوة ، شارك فيها رئيس الوزراء الايطالى نفسه».

وليس من الصعب علينا ان نتصور ادراك القاضى انطونيو دى بييترو ، عند هذه النقطة ، صعوبة ، ان يقوم القضاء بتنظيف ايطاليا، وان مهمته قد استنفذت ، ولا بد من البحث عن طرق أخرى ، لقد كان هذا القاضى عاملا ثم ضابط بوليس ، ونظرته بالتالى اوسع من نظرة زملائه الذين لا يعرفون غير ساحات القضاء ، وفى شهر مايو الماضى اجتذبته فكرة رئيس الوزراء سيلفيو بيرلوسكونى ان يكون وزيرا للداخلية ، كانت فرصته لتوضيح وجهات نظره فى عدة قضايا ، لكنه تراجع عن هذه الفكرة التى كان هدف بيرلوسكونى منها «إبعاده» عن القضايا العامة ، وبعد اربعة اشهر كان كتابه فى الاسواق الايطالية يناقش بصراحة مطلقة العديد من القضايا.

وأهم ما فى استقالة القاضى انطونيو دى بييترو، أنها تقدم للجماهير الايطالية أهم شخصية سياسية ، ففى استفتاء عام اجرته صحيفة «لا ريبابليكا» الاسبوع الماضى ، جاء انه لو جرت منافسة مباشرة بين رئيس الوزراء الايطالى سيلفيو بيرلوسكونى ، والقاضى «انطونيو دى بييترو» سيحصل القاضى على ٧١٪ من الاصوات ويحصل رئيس الوزراء على ٢٩٪ ويظل السؤال الاساسى أمام القاضى هو أى حزب سياسى يختاره ليصبح رئيسا للوزراء ؟ وعلى عكس ما يتصور كثيرون خارج ايطاليا ، فالقاضى ليس يساريا ، بل علينا ان نتصور انه ضابط بوليس سابق ، ووزراء بيرلوسكونى يقولون «انه رجل اليمين».

ولعل افضل من يعرفه حق المعرفة هو زوج اخته جابرييل كيمادورو وهو رئيس فرع حزب مسيحى ديمقراطى يمينى (بييرجامو) ، وهذا الحزب الآن هو جزء من التحالف الحاكم الذى يرأسه بيرلوسكونى ، يقول زوج أخته عنه وانه بالقطع لن يصوت لليسار وطبعا لن يصوت لبيرلوسكونى ، أما تصويته لـ





بيرلوسكوني

«رابطة الشمال» فهو خارج دائرة المناقشة ، وهذا هو السبب في ان يرى-أى زوج أخته - مبرراً كافيا لان يساند دي بييترو ، الجناح اليميني للحزب المسيحي الديمقراطي . لكن ربما كان رئيسا غير حزبي لحكومة تتشكل لتحل محل حكومة بيرلوسكوني رجل الاعمال.

لكن مهما كانت الحقيقة ، فربما كانت استقالة دي بييترو هي أسوأ ما واجهه بيرلوسكوني سياسيا ، فهي تقدم معارضاً له ... من اليمين!

شعبية بيرلوسكوني تتراجع

منذ حوالي ستة أشهر كان كل شئ يبدو ورديا في عين رئيس الوزراء الايطالي الجديد سيلفيو بيرلوسكوني لدرجة أن حزبه السياسي الجديد الذي خاض به المعركة الانتخابية «فورزا ايطاليا» حصل على ٣٠٪ من أصوات الناخبين في الانتخابات الاوروبية التي جرت في شهر يونيه ، بعد ان كان قد حصل في الانتخابات العامة التي جرت في شهر مارس على ٢١٪ من أصوات الناخبين ، بعد سقوط النظام القديم ، وهي تلك النسبة التي رفعته الى قمة السلطة وجعلته يرأس الوزارة الايطالية.

ورغم تزايد المشاكل التي يواجهها التحالف ، وخاصة لحل مشاكل الاقتصاد الايطالي ، الا أن تناقص شعبية «رابطة الشمال» «والتحالف الوطني» الفاشي ، في استفتاءات الرأى العام ، منحت سيلفيو بيرلوسكوني اليد الطولى في التحالف ، حتى بعد التهم التي وجهت اليه ، دائما ما يهدد بالدعوة لانتخابات عامة جديدة ادراكا منه أن حزبه هو المستفيد الأول منها ، لكن الصورة اختلفت قليلا الآن .

ففي الجولة الأولى للانتخابات المحلية التي جرت في نهاية شهر نوفمبر في ايطاليا ، تدهورت نسبة الاصوات التي حصل عليها «فورزا ايطاليا» لتصل الى ١٠٪ من اصوات الناخبين ، بينما **انتعش اليسار مرة أخرى ، وخاصة في المناطق التي تحالف فيها مع الوسط الكاثوليكي»** أما في الجولة الثانية التي تمت في الاسبوع الاول من ديسمبر فقد كانت المواجهات الانتخابية بين مرشحي اليسار أو الوسط،

وبين مرشحي «التحالف الوطني» (الثاني -الجديد) ، ويدور الحديث الآن حول كيفية استمرار الحكومة في السلطة ، أما دوائر اليسار فتناقش استمرار المكاسب التي تحققت ، وإمكانية ايقاع الهزيمة باليمين المتطرف الفاشي ، والمتمثل في «التحالف الوطني»

أخطاء بيرلوسكوني

والسبب الأول في سقوط شعبية حكومة بيرلوسكوني ، هو «ميزانية ١٩٩٥» فخلال الحملة الانتخابية ، وعد بيرلوسكوني بأن حكومته لن تفرض ضرائب جديدة ، واذا وضعنا في الاعتبار مستوى الدين العام للحكومة الايطالية ، فقد كان الطريق الوحيد هو اجراء استقطاعات كبيرة في المصروفات ،وبعد اشهر من المداولات والخناقات بين اطراف التحالف الثلاثي الحاكم ، تقدمت الحكومة بخطة لخفض المعاشات تخفيضات كبيرة. وكان رد الفعل الجماهيري مباشرا وعنيفا غاضبا واجتاحت البلاد موجة عارمة من مظاهرات واضرابات الاحتجاج في شهر سبتمبر ، ونظمت نقابات العمال في شهر أكتوبر إضرابا عاما لمدة أربع ساعات احتجاجا علي استقطاعات المعاشات واضراب خمسة ملايين ايطالي في روما يوم ١٢ نوفمبر. واقتربت «رابطة الشمال» من نقابات العمال ومواقفها وخططت النقابات لاضراب عام شامل ، هنا اضطر سيلفيو بيرلوسكوني للانحناء لارادة الشعب الايطالي ، وأجرى مفاوضات مع النقابات العمالية ، واتفق علي تأجيل تنفيذ خطة المعاشات حتى يونيه ١٩٩٦ ، مع وعد بتقديم خطة جديدة كاملة وشاملة ».

يضاف الي ذلك التحقيق في قضايا الفساد التي تلاحقه وهي لم تحل باستقالة القاضي انطونيو دي بييترو ، وانما ازدادت حدة.

والشقيق الأصغر لبيرلوسكوني(باولو) وهو احد مديري «فيننيفست »منهم بالرشوة والفساد حول عقود بناء ، وهناك مديرون آخرون متهمون ايضا بالفساد ، ولكنها قضايا تصل مباشرة الي رئيس الوزراء ،بل ان مديري كل شركات بيرلوسكوني ، متهمون بالفساد والرشوة وغش الحسابات والضرائب ، بل ان الرشوة والفساد وصلت الي ادارة نادي «ايه سي ميلان» لكرة القدم ، ويمتلكه بيرلوسكوني ايضا ».

لذا برزت عدة أسئلة حول تعاملات بيرلوسكوني المالية كرجل اعمال منذ الستينات ، لقد كانت صفقاته كلها تلفها السرية ، وهذا معناه ان هناك الكثير من الاسرار.

لكن اول مشروع هو مشروع بناء موله بنك صغير هو (بانكا راسيني» المتهم الآن بتمويل المافيا بميلانو ، أما بعد هذا المشروع وكيف كبرت امبراطوريته فهذا سر من الاسرار.

لكن .. اذا عدنا الى الستينات ، فمن المعروف أن الشركة التى اشترت الارض التى أقام عليها قصره الفخم خارج مدينة ميلانو- «ميلانو٢» اشترته شركة سويسرية قابضة وضعت اموالها اللازمة في بانكا راسيني -مرة أخرى ! وأعطى الموافقة على البناء لجنة كان مديرها- التقني هو -سيلفانو لاريني الذي كان الموقع علي حساب بنك سويسري استخدم لتقديم حسابات ضخمة لرئيس الحزب الاشتراكي ورئيس الوزراء الايطالي السابق بتينو كراكسي ، وقد لعب كراكسي دوراً كبيراً في صعود سيلفيو بيرلوسكوني في الثمانينات ، واقل خدمة قدمها له عندما كان رئيسا للوزراء ان سهّل لشركة بيرلوسكوني الحصول على احتكار في التليفزيون الايطالي التجاري.

ومنذ عام ١٩٧٨ اصبح بارون الاعلام سيلفيو بيرلوسكوني عضوا بالمحفل الماسوني غير القانوني «بي٢» الذى شارك في عدة فضائح سياسية ومالية قوضت الديمقراطية الايطالية في الخمسة عشر عاما الماضية.

ورغم أن شيئا من هذا كله لا يثبت أن سيلفيو بيرلوسكوني قد شارك في فساد النظام القديم السابق ، إلا أن ممارساته بعد أن اصبح رئيسا للوزراء تشي بأفعاله في الماضي.

فقد قاوم سيلفيو بيرلوسكوني حتي هذه اللحظة ان يبيع ولو اجزاء من امبراطوريته ، وقاوم كل المقولات بأن هناك تناقضا بينه كرجل أعمال وبارون اعلام وبين وظيفته كرئيس للوزراء ، وهو كثيرا ما يردد انه سيبيعها ، لكنه ليس جادا بالاضافة لتعذر البيع نظرا لتضخم ديون هذه الشركات ومن المشكوك فيه ان تسمح البنوك بذلك.

لكن الاهم من ذلك كله ان ارتباطاته القوية بامبراطوريته كبير لن تمكنه من الاستقلال عنها ،فلم يكن من الممكن ان يفوز في الانتخابات لو لم تتحرك امبراطوريته الاعلامية تلك في اتجاه الناجحه ، أما تنظيم حزبه الجديد «فورزا ايطاليا» فيعتمد على شبكة دار النشر «بابليتاليا» ، أما الشخصيات الاساسية في الحزب فهم من زملائه رجال الاعمال والمديرين في امبراطوريته.

*فوزير الدفاع في حكومته سيزار بريفيتي ، وهو ايضا منظم الحزب على المستوى القومي ، فقد كان محامي فيننفست!

*والمتحدث الرسمي باسم الحكومة جوليانو فيريرا ، فهو مقدم الاحاديث التليفزيونية التافهة التى تقدمها ، فيننفست.

أما جياني لينا الذى كان ممثل الشركة في روما ، فهو الآن وزير دولة بمكتب رئيس الوزراء بيرلوسكوني.

*وكان وزير المالية جيمر تريمونتي مستشار الضرائب لـ «فيننفست».

*وفيتوريو سجاري رئيس اللجنة الثقافية البرلمانية (والمسئولة عن الاعلام ايضا) عنده عرض يومي يقدمه تليفزيون «فيننفست».

وبسبب فردية بيرلوسكوني وانعدام الديمقراطية في حزبه الجديد «فورزا ايطاليا» ، انخفض عدد اعضاء الحزب وخرج عدد كبير من الذين كانوا يأملون خيراً علي اساس انه يمثل ايطاليا الجديدة بعد سقوط النظام القديم، لكن خاب فألهم وكلما ازداد النقد لبيرلوسكوني ، ازداد عجرفه ، وكلما تم حصاره ، كلما وقع في أخطاء سياسية فعندما وصلته مذكرة التحقيق معه ، أسرع بتسجيل اذاعة تليفزيونية لمدة سبع دقائق اعلن فيها انه لن يستقيل من منصبه مهما حدث ، ما لم يهزم عند التصويت علي حكومته بالثقة في البرلمان وهو لن يسلم بدون قتال ، وقتال عنيف ايضا ، لكن يبدو ان عام ١٩٩٥ سيشهد افول نجمه.

*** انخفاض الاصوات التى يحصل عليها الثلاثي الحاكم.**

**** اليسار ينظم اسقاط اليمين- المتطرف الفاشي...**

*** التحدى الذى يواجهه بيرلوسكوني من اليمين**

الاقتصاد العالمى بين بوادر الانفراج وتعميق الأزمة

د. حكيم بن حمودة

يعيش الاقتصاد العالمى منذ بداية التسعينات فترة انتعاش وحركية اقتصادية هامة بعد الانكماش الذى عرفته البلدان الرأسمالية فى نهاية عقد الثمانينات ، فالاقتصاد الأمريكى عرف فترة نهوض للنمو الاقتصادى بداية من سنة ١٩٩١ ، أما فى أوروبا فهذا الانتعاش يعود الى سنة ١٩٩٣، وفى اليابان فإن هذا النمو بقى ضعيفا ويتوقع أغلب الدارسين ان سنة ١٩٩٥ ستكون سنة الإقلاع الاقتصادى فى هذا البلد، أما فيما يخص آفاق الاقتصاد العالمى فإن المتابعين والخبراء يؤكدون أن فترة النمو والانتعاشة التى شهدتها أغلب الاقتصاديات العالمية ستتواصل وستتأكد خلال السنوات القادمة ، وتشير الاحتمالات ان نسب النمو ستكون حوالى ٣٪ فى أمريكا وأوروبا وستفوق ٢٪ بالنسبة للاقتصاد اليابانى.

كل هذه المؤشرات تدفعنا للتساؤل حول الآفاق المستقبلية للاقتصاد العالمى وبصفة خاصة حول قدرته على تجاوز أزمته وبناء نظام عالمى جديد ؟ أى هل أن بوادر الانفراج التى بدأ يشهدها الاقتصاد العالمى ستكون نقطة انطلاق لمرحلة تاريخية جديدة للاقتصاد العالمى أم أن حدة التناقضات التى تعيشها البلدان الرأسمالية ستشكل مانعا قويا أمام كل إمكانات تجاوز الأزمة؟

لتقديم بعض عناصر إجابة عن هذه التساؤلات لابد من الرجوع الى وضعية أهم البلدان الرأسمالية لدراسة الديناميكية الاقتصادية ومن ثم فهم أسباب الصعود وإمكانات السقوط للتنمية- وفى هذا الاطار لابد قبل كل شئ من التعرض للاقتصاد الأمريكى الذى هو بمثابة قاطرة وقوة دفع كبيرة للاقتصاد العالمى.

لقد بلغت نسبة التنمية حوالى ٣٪ فى السنة الماضية بالنسبة للاقتصاد الامريكى .. ويقدر أغلب الملاحظين أن هذه النسبة ستفوق ٤٪ هذه السنة ، وترجع أسباب هذا النمو الى التغييرات التى شملت السياسة المالية وخاصة التخفيف فى نسب الفائدة الامريكية ، وقد كان لهذا الانخفاض إنعكاس إيجابي على العائد الذى شهد نموا يقدر بـ ٢٫٦٪ سنة ١٩٩٢ و ٣٫٣٪ سنة ١٩٩٣ . وقد جد نمو الاستهلاك العائلى .. الإنتاج ، فعملت المؤسسات الأمريكية على القيام باستثمارات جديدة من أجل التوسع فى طاقات الإنتاج و توفير المواد الاستهلاكية الضرورية ، وقد نتج عن هذه الاستثمارات الجديدة خلق وظائف جديدة مكنت الاقتصاد الأمريكى من التخفيف من حدة البطالة فقد بلغت الوظائف الجديدة التى خلقها الاقتصاد الامريكى حوالى ٣.٢٨٣.٠٠٠ بين فبراير ١٩٩٢ وفبراير ١٩٩٤ مقابل نسبة البطالة تنخفض من ٧٫٧٪ الى ٦٫٤٪ فى نفس الفترة ، كما مكّن هذا الانخفاض فى البطالة من تدعيم وتوسيع قاعدة الطلب مما ساهم فى دفع الديناميكية الاقتصادية - بهذا اذن ساهم التخفيض فى نسب الفائدة فى تنمية الاستهلاك العائلى مما شجع على الاستثمار ودفع عجلة النمو الاقتصادى.

إلا أن انعكاسات نمو الاستهلاك لم تقتصر على الاقتصاد الأمريكى ، والمؤسسات الأمريكية ، بل تجاوزتهما لتشمل الاقتصاد العالمى وبصفة خاصة بقية البلدان الرأسمالية ، فبالرغم من تفتيت هيمنة الاقتصاد الأمريكى على الاقتصاد العالمى منذ نهاية الستينات، فإن للوضع الأمريكى انعكاسات هامة ومؤثرة على باقى الاقتصاديات الرأسمالية.

ففى البلدان الأوروبية تشير توقعات المراقبين إلى أن معدل النمو سيفوق خلال هذه السنة حوالى ١٫٦٪ ، وتعتبر هذه النتيجة ايجابية مقارنة بالنمو السلبى الذى شهدته البلدان الأوروبية سنة ١٩٩٣، ولعبت الصناعة الدور الرئيسى فى جذب اقتصاد أوروبا وقد سجل الناتج الصناعى خلال الثلاثة أشهر الأخيرة نسبة نمو تقدر بـ ٦٫٩٪ فى ألمانيا و ٢٫٨٪ فى هولندا و ٢٪ بأسبانيا ، ولتفسير هذه الانتعاشة يركز المراقبون على نمو الطلب الداخلى فى هذه البلدان- فقد سجلت المبيعات الداخلية فى ألمانيا خلال هذه السنة تطوراً ملحوظا يقدر بـ ٤٪ إلا أنه بالرغم من هذا النمو فإن الاستهلاك الداخلى والطلب بصفة عامة فى أوروبا لم يساهم إلا بنسبة ضئيلة فى هذه الانتعاشة ، أما **النسط الأوفر فإنه يرجع إلى المبادلات التجارية الخارجية وبصفة خاصة الى نمو الصادرات الأوروبية نحو الاقتصاد الأمريكى.**

نفس هذه الملاحظات والنتائج يمكن أن نسوقها للاقتصاد اليابانى الذى سيسجل نسبة نمو أقل من الاقتصاديات الأوروبية وتقدر بـ

١٪ خلال هذه السنة ، وهذه الانتعاشة النسبية لا يمكن تفسيرها حسب المحللين بنمو الطلب الداخلي ، فالاستهلاك العائلي لم يتجاوز نسبة نمو تقدر بـ ٥٫٦٪ ، أما طلب الدولة (استهلاكي واستثمار) فقد بقي كذلك ضعيفا- وفي هذا الاطار فإن السوق الخارجية وبصفة خاصة الصادرات نحو الاقتصاد الأمريكي تبقى المجال الوحيد لترويج البضائع اليابانية.

هكذا إذن فإن الانتعاش المؤقت للاقتصاد الرأسمالي العالمي ، يرتبط عضويا بالظرف الاقتصاد الامريكي ، وهذه الوضعية تعبر عن جوهر سياسات ادارة الازمة في الاقتصاد الرأسمالي منذ بداية الثمانينات ، فبعد ان لعب العالم الثالث من خلال المديونية دور السوق لترويج بضائع العالم الرأسمالي خلال التسعينات ، فإن هذا الدور مع اندلاع أزمة الدين منذ الازمة المكسيكية في صيف ١٩٨٢ اضطلع به الاقتصاد الأمريكي.

إن ديناميكية الاقتصاد الرأسمالي تعيش دوما تناقضا رئيسيا بين ضرورة تنمية الانتاج والانتاجية لتحقيق نسبة هامة من الأرباح من ناحية ، إلا أن هذا الانتاج يتطلب تنمية الطلب من أجل تحقيقه ، وهذا الطلب يمكن ان يأتي من السوق الداخلية مما يفرض توزيعا هاما للأجور ينتج عنه حتما نزول في الأرباح ، كما يمكن لهذا الطلب ان يأتي من السوق الخارجية أي من صادرات البلدان الرأسمالية لباقي الاقتصاد العالمي ، وقد ازداد هذا التناقض حدة خلال السنوات الأخيرة إثر اعتماد التقنيات الالكترونية في العملية الانتاجية في أغلب البلدان الرأسمالية ، لقد مكنت هذه التقنيات من اختزال اليد العاملة وفي نفس الوقت من تحقيق نسب نمو كبيرة للإنتاج ومن هنا عملت سياسات إدارة الأزمة في أغلب البلدان الرأسمالية على اتباع استراتيجية قصيرة المدى تعتمد اساسا على المحافظة على نسب عالية من البطالة مما نتج عنه تراجع هام في الطلب الداخلي مع البحث على إمكانية ترويج الإنتاج في السوق الخارجية ، وإن لعب العالم الثالث كما اشرنا لذلك دور مركز ترويج هذه البضائع خلال التسعينات فإن هذا الدور رجع إلى الاقتصاد الأمريكي .. منذ وصول «ريجان» لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية.

من هنا يجرنا الحديث على مواصلة فترة الانتعاش التي يعيشها الاقتصاد العالمي الى البحث عن آفاق النمو في الاقتصاد الأمريكي بالنسبة للأشهر القادمة.

وهنا نعتقد أن مواصلة النسق الحالي للنمو في أمريكا مرتبطة بقدرة الاقتصاد على تجاوز عديد من العوائق وبتطور موقف الادارة الامريكية من بعض القضايا الاقتصادية.

والقضية الأولى والرئيسية هي موقف الادارة الامريكية من عجز الموازنة ، وهنا لابد أن نشير أن نمو الطلب مرتبط في أمريكا بنمو الطلب العمومي مما نتج عنه عجز كبير في الموازنة العامة قدر بـ ٢٦٩ بليون دولار سنة ١٩٩١ ، وقد جعلت الادارة الحالية من الحد من هذا العجز أحد أهم أهدافها الاقتصادية لتقليل المديونية العامة. وقد حققت هذه السياسة بعض النجاحات - فعجز ميزانية الدولة أصبح أقل من ٢٢٠ بليون دولار سنة ١٩٩٣ ، وتسعى إدارة كلينتون في مشروع ميزانية الدولة لسنة ١٩٩٤-١٩٩٥ إلى جعل العجز لا يتجاوز ١٧٦ مليار دولار ، لن نناقش هنا قدرة الادارة الامريكية على تحقيق هذا الرقم، الا انه من المؤكد ان هذه السياسة وهذا التعاطي مع عجز الموازنة سيكون له أسوأ الانعكاسات على الاقتصاد العالمي باعتبار الارتباط الوثيق من خلال الصادرات بين الاقتصاديات الرأسمالية والظرف الاقتصادي الأمريكي ، وهذه الاقتصاديات التي تمكنت من تجاوز هبوط اسواقها الداخلية من خلال ربطها لعملية النمو بالانتعاشة الأمريكية لن تتمكن في عودة دعم سياسة الحد من العجز في أمريكا من ايجاد اسواق اخرى قادرة على ابتلاع كل صادراتها ، ومن هنا يمكن لنا ان نفهم موقف بلدان الشمال في اجتماع البنك الدولي وصندوق النقد الأخير في مدريد ودفاعها عن ضرورة تخصيص أكبر حصة من حقوق الشعب لبلدان شرق أوروبا (١) فبلدان الشمال بما فيها أمريكا تعمل على خلق **بديل في أوروبا الشرقية للاقتصاد الامريكي كسوق لترويج البضائع الرأسمالية** تسعى لذلك .. من تمكينها من الرأسمال اللازم على حساب بلدان الجنوب.

الى جانب الطلب العمومي فإن الاقتصاد الامريكي عرف هذه الانتعاشة الاقتصادية كذلك بسبب نمو الاستهلاك العائلي ، إلا أن نمو الاستهلاك العائلي .. لم يكن نتيجة لنمو الداخل بل يرجع أساسا الى نمو المديونية تجاه البنوك ، ويعتقد اغلب الملاحظين ان مديونية العائلات الامريكية قد وصلت إلى حد ينبيء ببروز أزمة جديدة مع البنوك ، فالمديونية العائلية تشكل اليوم قرابة ١٩٪ من الدخل العائلي ، وهذه النسبة ستتطور بصورة بأكثر حدة من النمو المرتقب لنسب الفائدة مما يجعل إمكانات تطور الاستهلاك العائلي محدودة جدا.

وتطور نسب الفائدة يجرنا بالضرورة الى الرجوع الى أحد أهم أسباب هذه الانتعاشة في الاقتصاد الامريكي ونقصد بذلك السياسة المالية الامريكية ، لقد اشرنا في بداية هذا المقال ان التغييرات التي شملت هذه السياسة وبصفة خاصة التخفيض في نسب الفائدة كانت له انعكاسات ايجابية على نمو الاقتصاد الأمريكي ، إلا أن هذا التخفيض قد انتقد بشدة من طرف الاقتصاديين الليبراليين بدعوى أنه سيكون وراء ظهور نمو التضخم من جديد ، وأمام حدة هذه الهجمة فقد اتجه البنك المركزي الفدرالي نحو التصعيد تدريجيا في نسب الفائدة ، وطبعا كما كان للتخفيض في نسب الفائدة انعكاسات ايجابية على النمو ، فإن هذا التصعيد سيكون له أسوأ الانعكاسات على انتعاشة الاقتصاد الأمريكي وبالتالي على الاقتصاد العالمي.

هذه القراءة في أسباب الانتعاشة الحالية للاقتصاد العالمي تمكننا من الخروج بنتيجتين:

أولا أن الانفراج الحالي للاقتصاد العالمي هو ظرفي وآفاقه مرتبطة عضويا بالظرف الذي يعيشه الاقتصاد الامريكي.

وقد أشرنا ان إعادة أنتاج هذا الظرف مرتبطة بقدرة الاقتصاد العالمي والبلدان الرأسمالية بصفة خاصة على توفير الرساميل الضرورية لتمكين الاقتصاد الامريكي من الدفع وبالتالي من بناء السوق الداخلية الأمريكية.

أما النتيجة الثانية فتخفي جوهر ما يسميه **د. سمير أمين** بسياسات ادارة الازمة ، هذه السياسات لا تعمل على مواجهة الازمة العامة للاقتصاد الرأسمالي بسياسات اقتصادية بديلة وجذرية بل تسعى على مدى قصير الى بناء اسواق ظرفية لتحقيق فائض الانتاج الرأسمالي. فبعد ان لعبت بلدان العالم الثالث هذا الدور في التسعينات والاقتصاد الامريكي في الثمانينات فإن بلدان الشمال تعمل جاهدة على خلق الظروف الملائمة لتتمكن بلدان شرق أوروبا من لعب هذا الدور ، هذه السياسات بادارتها الظهر للأسباب الحقيقية للازمة الاقتصادية تزيد من عمقها ومن حدتها على حساب شعوب العالم.

---

(١) انظر مقالنا في العدد السابق لليسار ودول العالم الثالث في مدريد: صمود أو صرخة الموت»

فكر

في الذكرى ٧٧ لثورة أكتوبر الاشتراكية

في عام ١٩٨٧ وفي احتفالات العيد السبعين لثورة أكتوبر الاشتراكية تحدث «ميخائيل جورباتشوف» السكرتير الأول للحزب الشيوعي- حزب لينين- عن ثورة أكتوبر قائلا.. «تاريخنا واحد ولا رجعة فيه ... ومهما كانت المشاعر التي يثيرها ، فهو تاريخنا وهو عزيز علينا.. لقد قطعنا طريقا صعبا مليئا بالتناقضات والتعقيدات.. ولكنه طريق جليل وبطولي .. فلا أفدح الأخطاء ولا التراجعات عن مبادئ الاشتراكية استطاعت جرف شعبنا وبلادنا عن ذلك الطريق الذي سلكناه عندما مارسنا اختيارها عام ١٩١٧... إن فكرة عملية التغيير تستند الى تاريخنا السبعيني.. الى الأساس المتين للصرح الاجتماعي الجديد مجسدا المثل في البلاد السوفيتية، وتوحد بين التعاقب والتجديد، بين التجربة التاريخية للبلشفية والواقع الراهن للاشتراكية.

في أكتوبر عام ١٩١٧ ابتعدنا عن العالم القديم تبلناه الى الأبد .. وها نحن نسير نحو العالم الجديد، عالم الشيوعية، ولن نحيد عن هذا الطريق أبدا..»

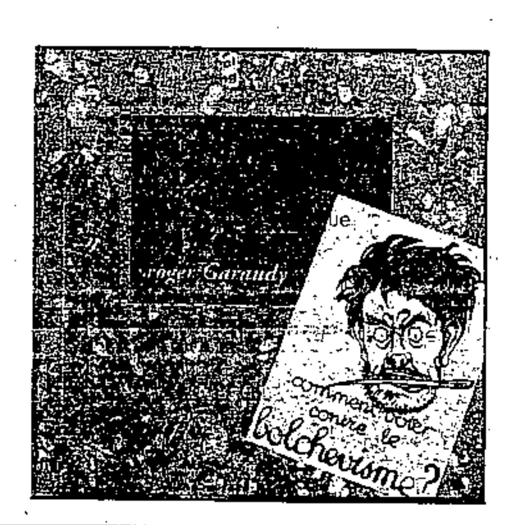
بعد أقل من أربعة اعوام أدار «جورباتشوف» ومن بعد يلتسن» ظهره- للاتحاد السوفيتي وثورة أكتوبر وللاشتراكية، تفكك الاتحاد السوفيتي وتخلى عن الاشتراكية ، وتحول الى رأسمالية وحشية وشنت أعنف حملة في التاريخ ضد ثورة أكتوبر والشيوعية.

ومنذ أيام مرت ذكرى ثورة أكتوبر الاشتراكية (٧ نوفمبر) ولم يتذكرها أحد إلا عشرات الألوف من الشيوعيين الروس خرجوا الى شوارع موسكو والمدن السوفيتية يرفعون صورة لينين واعلام الاتحاد السوفيتي ويلعنون يلتسين «عميل أمريكا».

وفي ذكرى ثورة أكتوبر التي الهمت الشعوب المتطلعة الى حريتها والى العدالة في كل انحاء المعمورة، تقدم «اليسار» هذا الكتاب الهام الذي كتبه المفكر الفرنسي» روجيه جارودي» وستنشر« اليسار» نص الكتاب مسلسلا ليساعدنا على فهم ما جرى وعلى التفكير في المستقبل بهدوء و موضوعية.



تذكر . . موجز لتاريخ الاتحاد السوفيتي



تأليف: روجيه جارودي

ترجمة: نور أمين

صدرت الطبعة الفرنسية الأولى من هذا الكتاب بعنوان :

Soviens- Toi,Bre've histoire
DE L'urion Sovietique
ROGER Garaudy

عن دار نشر:

Temps des Cerises

في مايو عام ١٩٩٤.



في روسيا ، وخلال ثلاث سنوات، جعل الإحلال الرأسمالي من الاتحاد السوفيتي السابق عالما ثالثا جديدا..

لقد أدى التدخل الاجنبي في كل المجالات- من الاقتصاد الى الثقافة- إلى مولد «مافيا» من المضاربين بالأموال في الداخل، تنمو ثرواتها من يوم الى آخر مثلما ينمو نبات عش الغراب السام. أما الجماهير **فتعيش في حالة من الفقر تمتد الى الشحاذة والجوع،** تلك الحالة التي ظهرت في الاتحاد السوفيتي عقب مجاعات عام ١٩٢٠ الناتجة عن التدخلات العسكرية وعن سياسة «السلك الشائك» الغربية. وعلى مستوى الثقافة، أو على الأصح ضد الثقافة، **تحول هذا البلد الى امبراطورية للمخدرات والفساد** على منوال الولايات المتحدة.

كما أدت سياسة **يلتسين** في طرح ممتلكات الدولة للبيع العام- والتي إمتدت الى بيع السلاح - بهدف الحصول على عملات نقدية أيا كانت الوسيلة، أدت الى تكاثر أكثر التقنيات العسكرية تعقيدا في الخارج، بما فيها التقنيات النووية.

ليست تلك إلا بعض أعراض شديدة الوضوح للتحلل المادي والمعنوي لمجتمع يزيد عدد سكانه عن ٢٠٠ مليون نسمة ، فقد جعل **يلتسين** من «المستشار» جيفري ساشس Geffry Sachs - والذى وضعته الإدارة الأمريكية في موسكو لفرض **«الليبرالية الإقتصادية»** عن طريق «العلاج بالصدمة»- فردا تنفيذيا على درجة من الطبيعة تماثل تلك التي وصل اليها «المتآمرون» Collabos في أوروبا وقت الاحتلال الهتلري.

يرد الجنرال جروموف Gromov نائب وزير الدفاع عند سؤاله عما لا يمكن التسامح فيه قائلا: «انها الخيانة».

ويمكننا أن نسوق مثالين صارخين لهذه الخيانة التي يتحدث جروموف عنها:

فقد تمت مراجعة مشروع ميزانية عام ١٩٩٣ الذي قدمه نائب الوزير الى البرلمان طبقا لمتطلبات صندوق النقد الدولي، أي كما يحدث في بلاد العالم الثالث، ومن المعروف أن سياسة الصندوق تتضمن، الى جانب الخصخصة وإطلاق الإسعار **ضغطا لميزانيات التعليم والصحة والإسكان والتأمين الاجتماعي** ، كما نتج عنه انفجارات اجتماعية وقومية في الجزائر مثلا عام ١٩٨٨، وفي كاراكاس عام ١٩٨٩، وفي يوغوسلافيا عام ١٩٩٠ (وذلك بفضل جيفري ساشس وجورج سورو George Soros (المضارب الدولى بالأموال الذى نسف الجنيه الاسترليني). ويعد **يلتسين** نفسه لقبول حالة التبع هذه.

ومن هنا يظهر المثال الثاني لـ «الخيانة» :

نقد كتب **البروفيسير جيفري هوسكنج** Geoffrey Hosking الأستاذ بجامعة لندن، في «لندن تايمز» London Times قائلا انه يتعين على الغربيين أن يتركوا يلتسين «يؤدب الشرق» فهو «الوحيد الذى قام بصياغة اقتراحات في هذا الاتجاه، بل انه طالب «المنظمات الدولية» (٢) في ٢٨ فبراير عام ١٩٩٣ بمنحه سلطات خاصة «للحفاظ على النظام».

من الواضح أن خدمات **يلتسين** التي يعرضها هي جديرة بحماة «النظام الدولي الجديد» ، «نظام **ريجان وبوش أو كلينتون**».

لقد وضع **يلتسين** نفسه تحت رحمة الولايات المتحدة منذ الانقلاب الذى قاده في **٢١ سبتمبر عام ١٩٩٣** وحل على إثره البرلمان خارقا بذلك الدستور، وحتى الحصار العسكري وقصف البرلمان **ليلة الرابع من أكتوبر** على يد قوات جعل منها يلتسين حرسا خاصا به منفضلا الإنفاق بسخاء على رواتبهم في ظل الفساد المالي المنتشر، وتضغط الولايات المتحدة اليوم بشدة على **يلتسين** للاسراع بعودة الرأسمالية وذلك من خلال التهديد بخفض «مساعدتها» المالية اللازمة لتفادى إفلاس الاقتصاد الروسي إفلاسا تاما، ذلك الإفلاس الذى قادت اليه سياسة «العلاج بالصدمة» عن طريق الخصخصة وإطلاق الأسعار والبطالة ، وكلها من سمات **النظام الرأسمالي المتنكر تحت شعار «الليبرالية».**

على الرغم من الرقابة الهائلة وخصخصة وسائل تعبير المعارضين ليلتسين، فقد وجد هذا الأخير نفسه بعد الانتخابات في مواجهة برلمان يكن له عداء أعظم مما كان يكنه له البرلمان السابق الذى حله وردعه بطريقة غير شرعية.

ويوما فيوما، يزداد اعتماد **يلتسين** على هذا الجزء من الجيش الذى قبل الهجوم على البرلمان وفقا لأوامره، وذلك ليواجه الرفض المتزايد لبقية الجيش للتبعية للولايات المتحدة وما تعنيه من ذل وإهانة.

أدى ذلك كله الى صعود الحركات القومية الى السلطة والى **انتشار الفوضى دون أمل إلا في انقلابات جديدة،** ومجاعات جديدة، أو أنظمة عسكرية ديكتاتورية جديدة.

إن عرض ما كان يعتبر **ثاني قوة عظمى** في العالم للبيع، إلى جانب الدعارة السياسية التي جعلت من الاتحاد السوفيتي منفذا لإرادتي الولايات المتحدة وصندوق النقد الدولي، ليسا إلا إثنين من إنجازات **«عودة الرأسمالية»** التي تشبه **«عودة الملكية»** في فرنسا عام ١٨١٥.

لقد ارتكبت الثورة الفرنسية جرائم مثل الإرهاب اليعقوبى والفساد الترومبيدوري(١) الى جانب ديكتاتورية نابليون إلا أن الملكية العائدة لم تكتف فحسب بهدم نموذجي نابليون وروبسبيير بل هدمت أيضا نماذج روسو وفولتير وديدرو، وأرادت أن تمحو من ذاكرة الفرنسيين «عصر التنوير» وكل المظاهر الإيجابية للثورة، تماما مثلما لا يكتفي أحد اليوم بهدم نماذج الانحطاط الستاليني فيمتد إلى هدم نموذج ماركس ومؤسسي الاشتراكية.

وهكذا اصطنع الجميع نسيان الانحلال القديم للرأسمالية وطغيان قياصرة روسيا التي كانوا يسمونها «سجن الشعوب» بسبب الاضطهاد الذى كان يمارس فيها ضد الأقليات العرقية وضد حركة الحرية بأكملها.

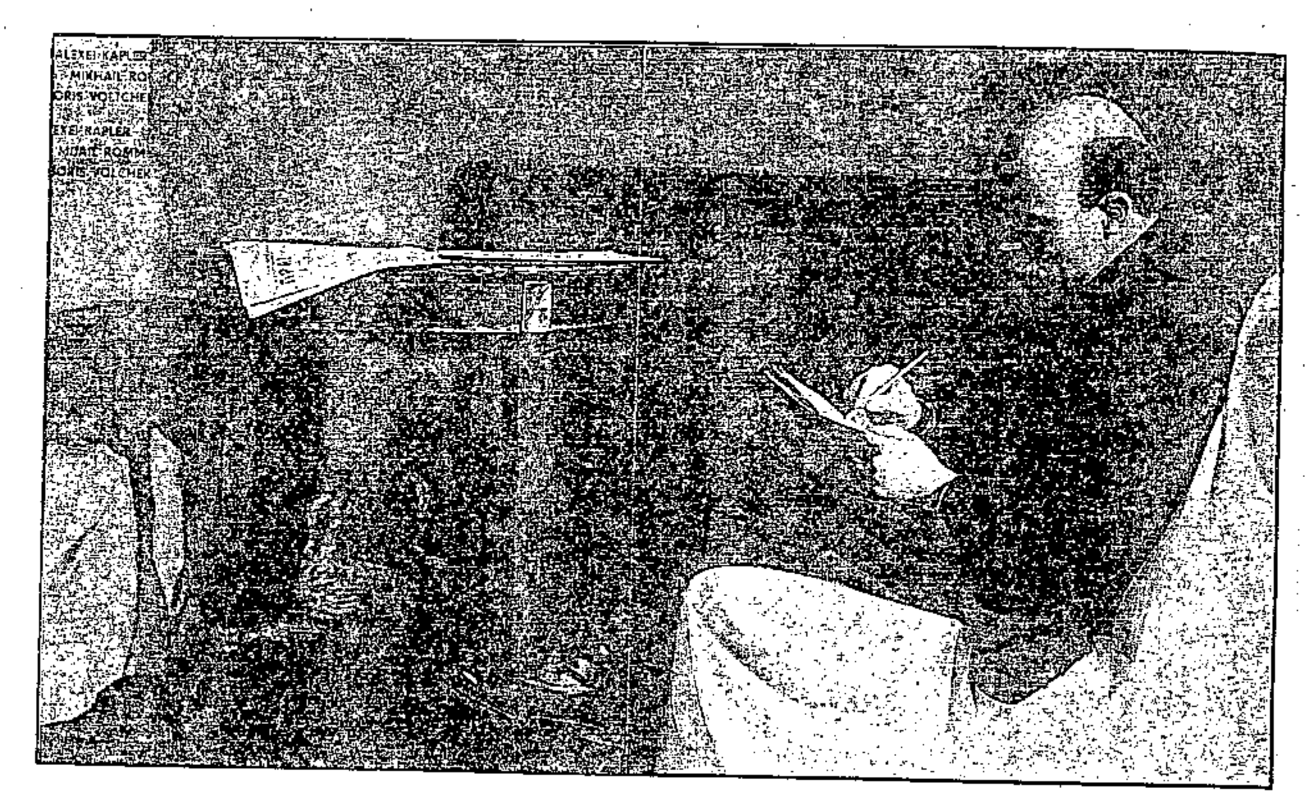
إن الشرط اللازم للردة التاريخية هو نزع ذاكرة الشعب عنه، لذلك فسوف نحاول في الصفحات التالية أن نستدعي ذاكرة هذا القرن.

الفصل الأول
روسيا القيصرية عشية ثورة أكتوبر

لنتذكر أولا ما كانت عليه روسيا عشية ثورة أكتوبر .كانت بلدا يشمل تعدادها السكاني ١٧٥ مليون نسمة، وكانت تمثل سمات المجتمع المتخلف ذي البنية شبه الاستعمارية، وذلك رغم إقامة بعض المؤسسات شديدة العصرية.

وبما أن ٨٠٪ من عدد السكان العاملين كانوا فلاحين فقد كانت المنتجات الغذائية تمثل ٥٨٪ مما تصدره روسيا في حين مثل استيراد المنتجات الصناعية ٣٣٪ من مجمل ما تستورده.

وظل الوضع في الريف وضعا شبه



لينين.. عام ١٩١٨

إقطاعي حيث كانت نصف الأراضي الزراعية(أي ٧٠ مليون هكتار) مملوكة لـ ٣٠٠٠٠ مالك إقطاعي، أما بقية الأراضي فكان الفلاحون يتقاسمونها فيما بينهم.

في مجال الصناعة، عرفت الرأسمالية إزدهارا سريعا (رغم أن تصدير الأدوات المصنعة لم يكن يمثل سوى ٥.٨ ٪ من مجمل التصدير، أي أقل من عشر مرات مما كانت تمثله المنتجات الزراعية المصدرة) ، إلا أنها كانت تعتمد اعتمادا أساسيا على الخارج، فقد أدى عدم كفاية رؤوس الأموال بالحكومة القيصرية إلى تفضيل تمويل الشركات الصناعية عن طريق رؤوس الأموال والاعتمادات الاجنبية، للدرجة التي جذبت أقطاب الشركات الصناعية والبنكية الغربية بسبب قلة أجور الأيدي العاملة.

بل إن الدولة نفسها إستدانت من هذه الشركات بفضل القروض الخارجية وأصبحت- هي أيضا- شديدة الاعتماد على القوى الأجنبية، ورغم تيار الشعور الوطني الذي أخذ ينمو في أوساط الاعمال فيما بين عامي ١٨٩٠ و١٩١٤، فإن الاستثمارات الأجنبية الكبرى أخذت تتجه بشكل طبيعي نحو أكبر الشركات حتى تركزت التجارة في أيد أجنبية أصبح المصرف المتولي لبيع الصلب يتحكم في ٨٠٪ من صناعته، في حين تولت مجموعة واحدة من الشركات استخراج البترول القوقازي كله.

كما تركزت الطبقة العاملة أيضا، حيث عمل أكثر من نصف العمال الروس في شركات تشمل كل منها أكثر من ٥٠٠ عامل (في حين لم يتجاوز عدد العمال من هذه النوعية في فرنسا، وفي العصر نفسه، ١٢٪ من مجموع العمالة).

وتعتبر هذه **الطبقة العاملة صغيرة العدد** (فهي تمثل ٤٪ فقط من عدد السكان العاملين) وفي الوقت نفسه تعتبر مسيسة بسبب تركيزها في تجمعات محددة أدت الى زيادة الإضرابات قوية التأثير منذ عام ١٩١٤.

أما طبقة الفلاحين فكانت أغلبيتها الساحقة مطحونة بفعل استغلال كبار ملاك الأراضي لها ، ولم تكن الحكومة تفعل أي شئ فيما يختص بتعليم هذه الطبقة، فإحصاء عام ١٨٩٧ يكشف عن أن ٣٣٪ من البنين و ١٤٪ من **البنات فقط يذهبون الى مدرسة القرية**، مما يعني أن ثلاثة أرباع أطفال الفلاحين لا يذهبون الى المدرسة الابتدائية، ورغم أن محو الأمية قد تقدم أثناء العقود الأخيرة من النظام القديم بفضل جهود **زمستفوس** Zomstvos.

وسط كل شئ بدءا من المال ووصولا الى الثقافة ،أخذت «الهيآت» المنفصلة غير المنتظمة- بل و «الريفية» بحق- تتضاعف، حتى وصل عددها الى حوالي ٢٠٠٠٠ واقعة بين عامي ١٩٠٥ و ١٩١٠، والى أكثر من ١٣٠٠٠ واقعة بين عامي ١٩١١و ١٩١٤.

ويضاف إلى هذا الغليان الإنساني في روسيا كلها ثورات الشعوب الأخرى، حيث كان النظام القيصري يطبق حكما استعماريا - من جبال الاورال الى المحيط الهادي- يجعل من امبراطوريته «سجنا للشعوب».

أخذت الحركات القومية تولد في **أوكرانيا وآسيا الوسطى وتركمانستان**، ففي **أوكرانيا** كانت حركة الـ «رادا» القومية تطالب بالاستقلال الذاتي، وفي «**آسيا** الوسطى» كان مجلس قومي وحزب «اسلامي» قد تكونا ، وكذلك في كازاخستان. أما في جورجيا **وأرمينيا وأذربيجان** فقد ارتفعت «الأعلام القومية».

أضافت الكنيسة الأرثوذكسية التي أصبحت في هذا الوقت مثل الكنيسة الفرنسية أداة النظام القديم- أي إحدى مؤسسات الدولة- الى هذا القهر الشامل: **والاضطهاد الديني، وبخاصة اضطهاد الشعوب الاسلامية في آسيا** الوسطى.وأدت الحرب فيما بعد إلى انضاج هذه التناقضات كلها.

في هذا الجيش الهائل الذي يضم عشرة ملايين جندي ينتمي ٩٠٪ منهم الى أصول

ريفية، لم تكن أهداف الحرب تبدو متعلقة بأى «دفاع قومى» للشعوب الروسية عن نفسها، بل بدت الحرب ذات أغراض إمبريالية لعبور العالم العثمانى أو للاستجابة لضغوط انجلترا وفرنسا القوية على اقتصاد وساسة روسيا القيصرية.

كذلك، وبعد أوهام أيام الحرب الأولى (مثال القول «سوف نقتحم برلين» والذى كان يقال فى فرنسا أيضا فى هذا العصر) كشفت «آلة الحرب الزاحفة- بما فيها من آلاف الجنود بلا هدف واضح- عن عدم كفاءتها. فقد أخذت الهزائم تتراكم بسبب عدم تنظيم الجيش ونقص تجهيزاته وتموناته، مما أدى إلى تقريض معنويات القوات المحاربة، وحينما وصل الجيش الألمانى الى خليج ريجا مهددا العاصمة **بيترو جراد**، كان انهيار الجيش الروسى يحدث فى سرعة متزايدة، حتى وصل الأمر الى التآخى بين الكتيبة والاخرى رفض النزول الى المعركة بل والهروب من الجندية..

فى التاسع والعشرين من أكتوبر عام ١٩١٧، قرر وزير الحرب (الفاضل!) الجنرال **ڤيركوڤسكى Verkovski** الذى سحب الثقة منه **كيرنسكى Kerensky** يوم ٢٤ أكتوبر من العام نفسه- أن يقول الحقيقة المناقضة للأكاذيب الرسمية وذلك فى تقرير كتبه عن الموقف العسكرى والقاه، أمام لجنتى الدفاع القومى والعلاقات الخارجية. وبعد أن ذكر ڤيركوڤسكى بالقحط الذى يعيشه الجيش، محروما من المأكل والملبس، أضاف قائلا :إن الجنود أصبحوا لا يفهمون السبب الذى يواجهون من أجله العذاب والموت، فى هذا الوقت، فر ٢ مليون جندى من الجيش معلنين ضمنيا والتصويت من أجل السلام».

وسط هذه الظروف أصبحت الدعاية البلشفية غير قابلة للمقاومة، خاصة أن «الضباط إذا كانوا تلقوا أوامر بعدم تنفيذ سياسة الجيش وأطاعوها، لكانوا قد ذبحوا فى النور» واختتم **ڤيركوڤسكى** حديثه قائلا: «تجبرنى المعطيات الموضوعية على الاعتراف الواضح والصريح بأننا لم نعد نستطيع خوض الحرب».

الفصل الثانى
ثورة أكتوبر ١٩١٧

كانت كل محاولة للقمع العسكرى تشير الى مرحلة جديدة فى الثورة.

يوم ١٨ فبراير عام ١٩١٧، أضرب عمال مصانع بوتيلوف Poutilov فى بيتروجراد عن العمل، وفى الخامس والعشرين من الشهر نفسه تحول الأمر الى إضراب عام، فى السادس و العشرين، أمر القيصر باطلاق النار على المتظاهرين، وفى اليوم التالى رفضت القوات الرادعة للمتظاهرين- حتى طلبة المدرسة الحربية إطلاق النار وانضمت الى الشعب. فى هذا الوقت كون البرلمان- أى المجلس الذى يمثل الإمبراطورية- حكومة مؤقتة لـ«إعادة النظام» الى البلاد، ولمحاولة إنقاذ الملكية بمطالبة القيصر بالتنازل عن العرش لصالح أخيه«ميشيل» . إلا أن رفض هذا الأخير تولى العرش قد أوقع روسيا فى مأزق إزدواج السلطة بين الحكومة المؤقتة التابعة من المجلس الممثل للإمبراطورية ومجالس العمال والجنود (السوفيت) التى تكونت أثناء الإضرابات ومحاولات القمع التى أجهضت.

فى ١٠ مارس عام ١٩١٧، وعقب حدوث إضرابات جديدة فى **بيتروجراد**»، أطلق الحاكم العسكرى النار على الجماهير لكن فرق الحرس العسكرى فى المدينة أخذت تتمرد الواحدة تلو الأخرى، أما القوات التى تم استدعاؤها من الجبهة للقضاء على حركة التمرد هذه، فقد منعها عمال السكة الحديدية من الوصول إلى العاصمة

أخذ سوفيت المدينة ينظمون الدفاع عن حركتهم على الرغم من استمرار الحصار على المدينة من - قبل الحكومة المؤقتة التى رأسها **الأمير لڤوف Lovov** ومن بعده **كيرنسكى الاشتراكى**.

تم القبض على القيصر وعائلته عند استدعائه للسفر الى انجلترا يوم ١٦ مارس.

فى الثالث من إبريل عام ١٩١٧، وصل **لينين الى بيتروجراد** بعد قضاء وقت طويل فى منفاه بسويسرا، فى هذا اليوم أطلق أول أوامره قائلا باعطاء «**كل السلطة للسوفيت!**» ورغم أن حزب **لينين البلشفى كان يمثل أقلية شديدة وسط السوفيت، إلا أن مظاهرة من ٥٠٠ ألف شخص خرجت على إثر هذه الكلمة فى الرابع من يوليو**.

رد كيرنسكى على ذلك باطلاق النار من جديد على الجماهير، حيث أصاب ٤٠٠ فرد بين قتيل وجريح، وأنصب القمع على البلاشفة حتى أمرت الحكومة بالقبض على **لينين** ليعود مرة أخرى الى حيز الظلام.

وهنا أخذ اعداء البلشفية- وقد شجعهم الانتصار على لينين- يعدون لديكتاتورية عسكرية أخرى باللجوء الى القائد الأعلى للجيوش، الجنرال كورنيلوف Kornilov، الذى ما لبث أن اتفق مع **كيرنسكى** ووجه قوات الجبهة نحو بيتروجراد فى الخامس والعشرين من أغسطس تحت قيادة الجنرال **كريموف Krymov. إلا أن البلاشفة تولوا الدفاع عن المدينة حيث انضم ٢٥ ألفا من العمال الى «الحرس الأحمر»** وفى مواجهتهم كان جنود الجيش يرفضون إطاعة ضباطهم.

فى ٣٠ أغسطس، **انتحر الجنرال كريموف Krymov، وفى اليوم نفسه تم عزل كورنيلوف Kornilov وتقديمه للمحاكمة.**

فى ٣١ أغسطس، وللمرة الأولى، صوّت سوفييت بيتروجراد من أجل البلشفية، ومنذ هذه اللحظة أصبحت الحركة الثورية غير قابلة للإخماد.

أصدر **كيرنسكى** أوامر عليا بحل لجان العمال للمقاومة ونزع اسلحتهم، وفى ١٨ أكتوبر، لم يعد الحرس العسكرى فى بيتروجراد يعترف بالحكومة المؤقتة :«**لن نطيع بعد ذلك إلا الأوامر الصادرة من سوفيت بيتروجراد بواسطة المجلس العسكرى الثورى**».

فى ٢٥ أكتوبر، ووفقا للخطة التى وضعها **لينين** فى السر، استولى «**الحرس الأحمر» على محطات السكة الحديدية** ومكاتب البريد والتلغراف، وعلى السنترال الكهربائى والمطابع الكبرى وبنك الدولة وذلك دون إطلاق رصاصة واحدة.

غادر كيرنسكى المدينة تحت حماية السفارة الامريكية لكى يحاول أن يأتى بقوات الجيش من الجبهة حتى تقضى على ثورة بيتروجراد.

أما **لينين** فقد خرج من الظلام فى الساعة الثالثة بعد الظهر، وظهر فى قصر سمولنى Smolny حيث اتخذه السوفيت مقرا لهم برئاسة **تروتسكى Trotsky**، وبدأ بتحية الانقلاب السلمى والمنتصر الذى حققه العمال وحرس بيتروجراد، ثم ألقى ثلاث كلمات تأسست عليها الثورة الاشتراكية:

«**سوف تقدم الحكومة فورا الى كل البلاد المحاربة مقترحات بهدف تحقيق السلام الديمقراطى والعادل، وسوف تلغى الملكية الكبرى للعقارات وتعيد الأراضى الى الفلاحين، كما سوف تقر الحكومة بتحكم العمال فى الإنتاج وتقسيم المنتجات المصنعة، وستتولى السيطرة على كل البنوك التى ستصبح هكذا حكرا على الدولة**».



في الساعة التاسعة مساءً، ألقى الجنرال **تشيريمينوف Tchereminov أوامر تحريك قوات الجيش نحو بيتروجراد** منفذاً بذلك أولى مقتضيات استيلاء المجلس الثوري على السلطة.

في الساعة الثانية بعد منتصف الليل، تم الهجوم على قصر الشتاء، حيث تجمع وزراء الحكومة المؤقتة وتم الاستيلاء عليه والقبض على الوزراء. في هذه اللحظة تجمع بعض النهابين لسرقة محتويات القصر، لكن قادة الهجوم هددوا بإطلاق الرصاص فوراً على أي شخص تسول له نفسه أن يسرق ما أصبح من تلك اللحظة فصاعداً ملكاً للشعب».

وتزلزل البلاشفة السلطات كلها، ليس بسبب انقلاب في الدولة قامت به أقلية متمردة، ولا بسبب مؤامرة كما أرادت الدعاية الغربية للجميع أن يصدق (مؤامرة ألمانية، ومؤامرة يهودية.. الخ) فقد كتب مدير جريدة «الزمن» Temps في فرنسا قائلاً: «أن هذه القبضة من المستنيرين التي يقودها بؤساء.. ليست مؤهلة للتحدث باسم روسيا، ثم اختتم مقاله في حسم قائلاً: «وإن تصفية البلشفية لن تستغرق أكثر من بضعة أيام، بل ربما بضعة ساعات (الزمن، ١٢ نوفمبر ١٩١٧).

مع ذلك، فقد كان الأمر يتعلق بنوع من البعث الشامل قام على برنامج بلشفي صاغه **لينين** في نقاط ثلاثة، ألا وهو: إقامة السلام وإعطاء الأراضي إلى الفلاحين والسلطة إلى العمال، إستجابة للآمال العميقة لشعب بأكمله..

١- «**السلام**» العادل والديمقراطي الذي طالب به لينين يعد سلاماً حاسماً أي أنه لا يستتبع أية قوة من قبل القوميات الأجنبية كما أنه يجب أن يكون فورياً..

ومن سوء النية القول بأن لينين «خان» المعاهدة مع فرنسا بتقويضه الجيش الروسي، فهذا الجيش الهائل الذي كان يضم عشرة ملايين رجل، كان قد خسر أصلاً ٢ مليون من رجاله بالموت و ٤ مليون بالإصابة، بل إن ٢ مليون أخرين من الجنود كانوا قد فروا من هذا الجيش بعد فشل هجوم ٢٨ يونيو ١٩١٧ على **الدنيبر Dniepr** ضد المجريين-النمساويين، وبعد زحف الألمان على بحر البلطيق وصولاً الى خليج ريجا.

ومن قادة الجيش القيصري (الرئيسين) الجنرال **دراجوميروف Drogomirov** الذي كتب في مايو ١٩١٧ في تقرير له قائلاً: «تسيطر الرغبة في السلام على الجيش للدرجة التي تجعل أي أحد يبشر بالسلام الحاسم ويتحكم الشعوب في مصائرها يكسب بسهولة ثقة الجيش.. لقد وصل الطموح إلى السلام إلى الدرجة التي تجعل الجنود الجدد يرفضون استلام الأسلحة قائلين: لا نعرف ماذا نفعل بها فليست لدينا نية العراك»

لم يفرض **لينين** إذن بالمرة قدرة الجيش على الوثوب والوصول الى ألمانيا، بل سجل الأمنية العميقة لهذه الملايين من الجنود-وأغلبيتهم من الفلاحين- الذين كف جيشهم عن وجوده العملي، كما أوضح لهم ما يمكن أن تكون عليه أهداف السلام الحاسم دون أي أغراض استعمارية.

بما إنه لم تستجب أية قوة غربية لهذه الدعوة الى سلام حقيقي، وبما أن الجيش الروسي كان قد إنتهى من معاركه، فقد وقع لينين في ٣ مارس عام ١٩١٨ معاهدة سلام مع ألمانيا في **برست- ليتوفسك** Brest

Litovsk، ومع أن شروط هذه المعاهدة كانت قاسية إلا أن لينين قبل كل التنازلات المطلوبة عن الأراضي لأنه كان متتنعا أن شعوب أوروبا سوف تثور ضد الحرب وتتبع النموذج الروسي، وفي الحقيقة، أن العدوى الثورية قد اجتاحت الامبراطورية الألمانية عام ١٩١٨ وفرضت السلام، وفي ٤ نوفمبر تجمع بحارة كييل Kiel وكونوا سوفيت من العمال والجنود، حتى اشتعلت الثورة في ميونخ في السابع من الشهر نفسه، وفي صباح اليوم التالي استولى مجلس نواب الشعب على السلطة في برلين، ثم انعقد مؤتمر لمجالس العمال والجنود الألمان يوم ١٠ نوفمبر في ريجا قبل ان تضطر المانيا كلها إلى الاستسلام يوم ١١ نوفمبر، وفي ١٣ نوفمبر طالب المجلس التنفيذي الروسي بإلغاء معاهدة برست- ليتوفسك.

٢- إعطاء الأراضي للفلاحين: أثناء صيف عام ١٩١٧ ، عمت أحداث التمرد الريفية البلاد وتغير طابعها ، بعد أن استمرت عدة سنوات داخل الامبراطورية. وانتشرت هذه الاحداث لأنه لم يخرج عن نطاق حركة التمرد العامة سوى ٨٪ من الأراضي الروسية، أما طابعها فقد تغير لأنها لم تعد أحداثا وليدة اللحظة وقاصرة على قطع الطرق والتدمير(مثل حرق التصور والمحاصيل واغتيال كبار ملاك الاراضي.. الخ) بل تحولت شيئا فشيئا ، مع تكوين مجالس الفلاحين، الى فعل منظم وبناء تجسد في احتلال واستغلال أراضي الدولة التي تمت السيطرة عليها الى جانب زراعة الاراضي المصفية من ذلك للراحة السنوية وزراعة الاراضي غير المستغلة بالقدر الكافي، هكذا لم يفعل الأمر الصادر بخصوص تمليك الأراضي للفلاحين سوى انه أعطى شكلا رسميا لما كان قد حدث بالفعل، ووجد الممارسة الريفية الموجودة من الأصل.

ورغم الانتقادات العنيفة التي وجهها شركاء لينين أنفسهم إليه، إلا أنه لم يسع **الى فرض البرنامج الزراعي البلشفي، بل على العكس ، قبل مطالب الفلاحين الفقراء، ووافق على البرنامج الذي أعترض عليه من قبل** خصومه الاشتراكيون من الـ S. R. (الاشتراكيون الثوريون) بهدف حماية الفلاحين من الوصول الى الاعتراف بالبرنامج الشيوعي للجمعيات التعاونية الزراعية إلا اذا كان ذلك تأسيساً على تجربتهم الخاصة وبعد فترة طويلة من التجربة والخطأ.

٣- التحكم العمالي: منذ مذابح لونا Lenoعام ١٩١٢ التي كان لها أثر عظيم على روسيا كلها، وهذه الفكرة الأساسية آخذة في الرسوخ في المراكز الصناعية كلها.

في ٤ أبريل عام ١٩١٢، وعقب إضراب مناجم الذهب في لونا leno بسبب طول فترة العمل اليومي(التي حددها القانون عام ١٨٩٧ بإحدى عشرة ساعة ونصف) ومجموع الظروف المعيشية لعمال المناجم، تلقت قوات الجيش الأمر بإطلاق النار على المتظاهرين.. وكان لهذه المذبحة دلالة شديدة العمق بسبب إنتماء تلك المناجم الى احدى كبرى الشركات الاحتكارية، ألا وهي **«جمعية صناعة الذهب بلونا»**.

والتي كانت الشركة الانجليزية Lena Goldfieldsأو **«حقول ذهب لونا»** تمتلك أكثر من ٧٠٪ من أسهمها. وبما أن شخصيات رفيعة الشأن- ومنهم الإمبراطورة **ماري فيدوروفنا أرملة الكسندر الثالث**- كانت تمتلك أسهما في هذا المشروع فقد انطلقت النيران فورا لتردي ٢٧٠ قتيلا و ٢٥٠ جريحا. وقامت مظاهرات ثورية قوية **من بيتروجراد الى موسكو** حتى تمرد عمال روسيا كلهم على هذا الوضع بالاضراب العام في اليوم الأول من شهر مايو.

منذ هذا الوقت، أخذ الكفاح العمالي مكانة وصورة نضالية متزايدتين، كذلك أخذت ضرورة **تحكم العمال في الصناعة** تفرض وجودها حتى حدوث الإضراب الحاسم الذي قام به عمال التعدين التابعين لمصانع **بوتيلوف** Poutilov في **بيتروجراد** في ١٨ فبراير عام ١٩١٧، ذلك الإضراب الذي نتج عنه إضراب عام في الخامس والعشرين من الشهر نفسه.

الأمر إذن لا يتعلق بالمرة بمؤامرة ما أو بانقلاب برئ للاستيلاء على الحكم فما حدث هو ثورة **شعب كامل لينتج الأفق من أجل نظام إنساني جديد،** وقد أشار أناتول فرانس Anatole France وبول لانجفان Poul Langevin ورومان رولون Romain Rolland في فرنسا الى الدلالة التاريخية العالمية لهذه الثورة، وفي إنجلترا ، كتب برتراندراسيل في كتيب مناهض للبلشفية **يقول: إن الثورة الروسية واحدة من أعظم الأحداث التاريخية في تاريخ العالم.** ومن الطبيعي **مقارنتها بالثورة الفرنسية إلا أن لها أهمية للبشرية أكبر في الحقيقة».**

وفي الحقيقة، وعلى الرغم من التغيرات التي طرأت فيما بعد لإعادة فحص الدلالة الأصلية لهذه الثورة، فإنها تعد في حد ذاتها ثورة جذرية وجدية بالمقارنة بكل الثورات الأخرى.

فإعلان الاستقلال الأمريكي طالب بمساواة شاملة بين البشر في حين احتفظ بعبودية السود لمدة قرن بعد ذلك. وكذلك طالب إعلان حقوق الفرد والمواطن الصادر عن الثورة الفرنسية بالمساواة نفسها في الوقت نفسه الذي كان هذا الاعلان فيه بمثابة مقدمة لدستور يسن حق التصويت وفقا لثروة الفرد، قاصرا بذلك هذا الحق على ربع الفرنسيين فقط. هكذا كفل الإعلان الأول امتيازات البيض وكفل الثاني امتيازات الملاك، **أما ثورة أكتوبر فقد ألغت لأول مرة الامتيازات كلها سواء كانت خاصة بملكية الأرض أو بأرباب العمل أو بالحكام الذين يقومون بغارات للنهب والسلب.**

من هنا ندرك سبب الغضب والكراهية التي أخذ أصحاب الامتيازات يكنونها لهذه الثورة ، فقد كانت اسطورة الرعب الثوري تطاردهم منذ الأيام الأولى لحركات التمرد العمالية، وبالتالي أصبح- أي تغيير في النظام القائم- أو أي ثورة عليه- يمثل بالنسبة لهم شكلا من أشكال قطع الطريق «للاستيلاء» على ثرواتهم وتقسيمها.

لذلك كانت الشعارات المناهضة للثورة الجديدة جاهزة قبل قيامها بحوالي قرن كامل، فعلى سبيل المثال قال الوزير الفرنسي ماري Marie عن الحواجز التي أقامها العمال في باريس عام ١٨٤٨ عقب تمردهم ضد إغلاق «الورش الوطنية» التي كانت توفر العمل والطعام **إنها الهمجية وقد تجرأت أن ترفع رأسها أمام الحضارة» أما الجنرال كافينياك** Cavaigmac فقد حكم بالموت على هذه الثورة على اليأس والتي كانت تسعى نحو أمل بعيد.

لقد تحدث «البابا» Pie التاسع عن الثورة الفرنسية على أنها **«طاعون أحمر»** ، كما صرح دوق مورني Morny وهو الأخ غير الشقيق لنابليون الثالث القادم قائلا: **اذا رأيتم رجلا اشتراكيا عن قرب لا تترددوا أن تفضلوا عليه أي تورقازي**

سهما كان، لينا تنتهى حدود وطنيتى».

ويعد كومونة باريس La Commune صاغ تان Taine تعريفا آليا لأية ثورة قائلا «سوف نرى أناسا أنقاظا رثد تحولوا الى الجنون يعملون بشكل ضخم ولمدة طويلة تحت قيادة أغبياء، صاروا مجانين».

فى الحقيقة «أن هذا «الخوف الكبير» لم يدم إلا خمسة أيام فى عام ١٨٤٨، وثلاثة شهور مع الكومونة عام ١٨٧١ أما فى روسيا فلقد دام سبعين عاما.

فى عام ١٩١٧، لخص سيرج دى شاشان Serge de Chassin، المراسل الخاص لجريدتى «صدى باريس» و «ترضيح» الهجوم على الثورة فى مقالته «نهاية العالم الروسى».

«أصبح المسجون الذى ما زال يعانى أثر السجن سيد روسيا الاشتراكية».. «يحكم روسيا رعاع الضواحى وسفلة القوم فى المدن الكبرى .. إنه عنصر الطبقات السفلى» «أصبحت روسيا على رأس أوباش العالم، صارت آلهة الريش العالمية».

هكذا اجتمعت المخاوف والكراهية كلها، سواء تلك الموجهة ضد الاشتراكية أو ضد «الهمجية الشرقية»، كما لو كانت تشير الى تنبؤات قديمة، مثل نبوءة إرنست رينان Ernest Renan الشهيرة التى أعلن فيها عن الساعة التى سوف يقود فيها العبد وراءه قطيع آسيا الوسطى من خلفاء جنكيز خان وتامرلان، مثل تنين نهاية العالم الذى يكتسح ذيله الجزء الثالث من النجوم».

كما كتب ماركيز كوستين Custine رائد هذا النوع من الاسقاطات النمطية للتعبير عن الخوف، عام ١٨٣٩، فى كتابة «روسيا عام ١٨٣٩»، صيغة اتهام ثورة أكتوبر عام ١٩١٧، قائلا «إذا نجح الشعب الروسى فى إقامة ثورة حقيقية فإن المذابح سوف تتحول الى شئ عادى يشبه فى تطوره تقدم الكتائب العسكرية الى الأمام، سوف نرى القرى وهى تتحول الى خنادق وسوف تخرج جماعات القتل المسلح والمنظم من الأكواخ وتتقدم فى صفوف، إن الروس يعدون أنفسهم لهذه الغارة منذ عهد سمولنسك Smolensk وحتى عهد إيركوتسك Irkoutsk كما لو كانوا يتقدمون فى تناخر على أنقاض قصر الشتاء..».

ويصلح هذا السيناريو المجهز مسبقا، والذى لم يمكن تجاوزه لمدة أكثر من قرن من الزمن، ليكون بمثابة نموذج يقود «المعلومات» المتعلقة بالثورة الروسية، تماما كما صلح لهذه المهمة مع ثورات عام ١٨٤٨ فى فرنسا ومع كومونة باريس.

ومن .. ملصقات الدعاية التى تلخص أساليب التأثير على الرأى كلها، الملصق الخاص بـ «الرجل ذو السكين بين أسنانه»، والذى أصبح بورتريها آليا للشخص الشورى فى كل الأزمنة، إلا أنه لعب دورا تاريخيا فى حملات عام ١٩١٩ ضد روسيا، وبفضل العزف على هذه التيمة فى صحافة هذا العصر تمت «فبركة» فى نوفمبر عام ١٩١٩- انتخابات الغرفة التى لا يمكن العثور عليها، غرفة «الأفق الأزرق»، تلك الغرفة التى جلبت لفرنسا ردة اجتماعية أعادتها إلى مرحلة ما قبل المكاسب الإنسانية التى حدثت فى بداية القرن.

الفصل الثالث

الغزو الأجنبى والحرب الأهلية

من أجل القضاء على نهوض جماهير الشعب الروسى فى أسرع وقت ممكن، لم تستطع القوى الغربية أن تعتمد على القوى الداخلية الرافضة للثورة فقط، تماما كما لم تستطع أوروبا قبل ذلك بمائة وثلاثين عاما أن تعتمد على مهاجرى كوبلنتس أو على الاحزاب الملكية لمحاربة الثورة الفرنسية. فلم تستطع هذه القوى أن تقضى على الثورة إلا عن طريق الغزو الأجنبى لإعادة الرأسمالية، وتفريق الشعب بإشعال جذوة الفوارق القومية وفرض نظامها.

وفى غياب خيانة داخلية قوية أخذ التدخل الاجنبى شكلا عسكريا، وفى مارس ١٩١٨ رست القوات الانجليزية فى الشمال، فى ميناء مورمانسك واستولت هكذا على أرخانجلسك.

فى ٤ أبريل، استولت القوات الانجليزية والفرنسية والامريكية واليابانية على ڤلاديڤوستوك.

ثم وصل التدخل الاجنبى إلى قلب روسيا نفسها، وذلك باستغلال فرصة تمرد ٤٠ ألفا من المسجونين التشيكوسلافيين فى سيبريا وبعض الآلاف من القوقازيين فى دون، حتى وصلت قوات التحالف الى روسيا البيضاء، فى الوقت الذى كانت القوات الألمانية فيه (التى كانت تتعاون منذ ابريل عام ١٩١٨ مع أحد القياصرة القدامى وهو هيتمان سكوروبادسكى للإستيلاء على السلطة فى أوكرانيا) تتقدم حتى وصلت الى جزر القرم والى بلاد البلطيق، متجاوزة قواد القوات المتحالفة (الذين كانوا فى حرب مع ألمانيا أصلا) بأى رد فعل ازاء تقدم القوات الألمانية التى سمحت لهم - هكذا - بحصار روسيا الثورية من خلال جبهة تمتد من بحر البلطيق الى القوقاز، كما مكنتهم من احتلال ثلاثة أرباع الأراضى الروسية إلى جانب حرمان المناطق الرئيسية المنتجة للمواد الأولية فيها من الوقود والقمح.

وأخذ حصار اقتصادى قاس يخنق البلد بالمجاعة والاوبئة وخاصة التيفود- بهدف خلق إحداث تمرد ومشاغبة.

وقد أعطى ونستون تشرشل إلى نفسه قدرا أكبر من قدرها حينما كتب فيما بعد فى كتابه «أزمة العالم» The World Crisis (لندن عام ١٩٢٩، ص. ٢٥٠) قائلا أنه نظم «حملة صليبية جديدة من ١٤ دولة ضد جمهورية السوفيت، ويشير رقم ١٤ من جديد ذكرى الجيوش الأربعة عشر التى جمعتها أوروبا عام ١٧٩٢ بأوامر من دوق برونسفيج للقضاء على باريس والثورة الفرنسية وفى فرنسا، أعلن كليمونسو Clemenceau أنه يجب ممارسة سياسة السلك الشائك فى مواجهة روسيا الحمراء، أما تشرشل الذى كان يكن عداء أكبر لها فقد أضاف قائلا: «لنقم حصارا صحيا على موسكو ثم تنقض عليها».

وكانت القوة الرئيسية فى حملة الدول الأربع عشرة الصليبية تكمن فى جيش دنيكين الذى لم تكن الولايات المتحدة وانجلترا توردان إليه أية أسلحة، فى حين حدد تشرشل امداداته للحملة كما يلى «لقد وفرت له بريطانيا العظمى الامدادات الرئيسية، أى على الأقل ٢٥٠ ألفا من البنادق و ٢٠٠ من المدافع و ٣٠ من المركبات القتالية الى جانب عدد كبير من السلاح والمعدات التى تم إرسالها الى نوفوروسيك عن طريق الداردانيل والبحر الاسود.

وقد ساعد بعض مئات الضباط والمتطوعين من الجيش البريطانى فى تنظيم جيش دنيكين بوصفهم مستشارين ومدربين ورؤساء مخازن أسلحة بل وطيارين أيضا.

ودون الدخول فى تفاصيل الانقلابات للكفاح ضد الغزو الأجنبى، هذا الغزو الذى أطلق عليه إسم «الحرب الأهلية» بسبب استخدام قدامى جنرالات الجيش القيصرى السابق فيه (مثل دنيكين ويودنيتش وكولتشاك ورانجيل)، فإنه يكفى أن

تعرف أنه فى مواجهة جيوش تمتلك وسائل فنية (وردها لها الغرب) شديدة التقدم وضباطا محترفين كانت جماهير الشعب من الريفيين والعمال الذين رفضوا القتال قبل ذلك ببضعة شهور من أجل نسمة جديدة للعالم نتيجة علاقة جديدة بين القوى (مثل تقسيم غنائم الامبراطورية العثمانية والتى أعدت لها إنجلترا وفرنسا منذ عام ١٩١٧ من خلال «معاهدات سايكس- بيكو») تعبئ كل قواها ضد العالم أجمع فى مواجهة قوات الغزو الأجنبى وعناصر الثورة المضادة المتحدثة باسم هذه القوات.

ومنذ خريف ١٩١٨ بدأت مقاومتهم فى فك الحصار العسكرى.

أخذت الأخطار تتزايد حتى نشأ مركز إرهابى فى الداخل وسط الحصار العسكرى واحتلال ثلاثة إرباع البلد، وذلك بدفعه من **سافينكوف** الذي كان يشرع الاغتيال كوسيلة من الوسائل السياسية- فى ٣٠ أغسطس، جرح **لينين** فى هجوم عليه بغرض قتله على يد **فانى كابلان**، كما أغتيل رئيس شرطة بيتروجراد، لذلك **قرر البلاشفة أن يواجهوا الإرهاب الأبيض بالإرهاب الأحمر مثلما حدث فى فرنسا عام ١٧٩٣.**

وراح التوتر يزداد فى كل المجالات لمقاومة العدوان الخارجى. وخلال ثلاث سنوات، ساد فى المجال الاقتصادى ما أطلق عليه- دون حق -«**شيوعية الحرب**». **ويعترض بوخارين ولينين** على هذا التعبير لأن **الإجراءات التى تم اتخاذها فى هذا الوقت لم تكن نابعة من المذهب الشيوعى بل كانت من متطلبات** الكفاح ضد الغزو، تماما مثل قوانين فينتوز «**لسان- جوست**» فى عام ١٧٩٣ والتى لم يكن لها أى طابع اشتراكى حيث كانت تسخر كل طاقات الثورضد التحالف الأوربى لأعدائها.

وحتى تتم تغذية قوات الثورة وكسوتها وتسليحها ونقلها من مكان الى آخر كان يتعين- على سبيل المثال- تأميم المصانع، خاصة مصانع الأسلحة، بهدف إعاقة عمليات التخريب الداخلى، وهكذا ضمنت القوات حصتها من الحبوب والعلف والبهائم، كما تمت السيطرة على المواصلات وتم التحكم فى التجارة بشكل صارم لمنع المضار على نقص السلع.

بفضل هذا التوتر غير العادى فى كل القوى، وبفضل مبادرات القاعدة الشعبية (مثل ساعات العمل الإضافية المجانية التى تبرعت بها المصانع ومثل تسليم الفلاحين تراحم طواعية، لوعيهم بأن الثورة المضادة سوف تعيد الظلم والعبودية السابقين). استطاع الجيش الأحمر أن يشن هجوما مضادا فى كل الجبهات، فتحررت **أوكرانيا** من «**الميعمانيين**» الدمويين أمثال **سكوروبادسكى** الذى تآمر مع الألمان، وبيتليورا المتكاتف مع الإنجليز والفرنسيين.

تدفقت موجة جديدة من الغزو بوصول ١٣٠ ألفا من جنود التحالف الى **أوديسا وسيباستوبول** لتأمين أوكرانيا بـ «حماية أثناء مدة الحرب ضد البلشفية» مع وعد بتكوين جيش من ٣٠٠ ألف رجل تحت قيادة **بيتليورا والجنرال دنيكين**.

وجرت العملية العسكرية نفسها فى الشمال، حيث كتب الجنرال القيصرى **يودنيتش** قائلا: «يجب احتلال الموانى والمدن الرئيسية فى أقاليم البلطيق من قبل قوات التحالف بهدف إعادة الشرعية والنظام، وبهدف السماح للقوات الروسية بأن تنظم نفسها لمقاومة البلشفة».

فى الشرق الأقصى وسيبريا، وفى ١٨ نوفمبر ١٩١٨، استولى الأميرال القيصرى **كرلتشاك**- بمساعدة التحالف- على السلطة مطالبا بتنصيبه وصيا أعلى على عرش روسيا. ووضعت الحكومة الامريكية تحت استخدامه ٢٠٠ **ألف بندقية الى جانب مترلوزات ومدافع، وبالمثل فعلت إنجلترا وفرنسا لصحا له بتكوين جيش من ٢٥٠ ألف رجل، تتم حماية مؤخرته على يد ٢٠٠ ألف جندى من قوات التحالف.**

أما فى الجنوب، وعلى الرغم من ذلك، فقد حرر الجيش الأحمر أوكرانيا من بقايا عصابات **بيتليورا** فى الأول من يناير عام ١٩١٩، وذلك بفضل عصيان البحارة الفرنسيين فى البحر الأسود، الذين رفضوا فى أبريل ١٩١٩ بقيادة البحار الفرنسى **أندرية مارتى** القتال ضد الوحدات السوفيتية وأجبروا الأسطول الفرنسى على الرجوع إلى قاعدته فى **بيزارت**.

فى بداية عام ١٩١٩ حررت القوات السوفيتية فى جبهة الشرق الأورال ودخلت تركستان، إلا أنه كان عليها أن تواجه موجة جديدة من الهجمات أرغمتها على القتال فى ست جبهات فى وقت واحد. وبدأ القتال فى جبهة الأورال وسيبريا والشرق الأقصى حيث سادت ديكتاتورية كرلتشاك العسكرية والتى اتجهت فى مارس ١٩١٩ - بالعدوان نحو نهر **الفولجا** فى حين كان يودنيتش يتقدم نحو **بيتروجراد** مع القوات الأمريكية والبريطانية والفرنسية التى رست فى الشمال.

وفيما بين نهاية أبريل سنة ١٩١٩ وبداية يونيو سنة ١٩١٩ كان جيش **كولتشاك** قد انتهى بالكامل.

وفى النصف الثانى من عام ١٩١٩، الذى وقع فيه **دنيكين** امرا بالاعتداء، على موسكو فى ٣ يوليو وفى ١٢ ديسمبر وتعقب بقية جيش دينكين الذى ارتد جزء كبير منه الى أوديسا والقرم، وارتد الجزء الآخر الى القوقاز. كما تحررت **نوفوروسيك** فى ٢٧ مارس. وهكذا انتهى وجود جيش دنيكين، أما مابقى منه فقد فر إلى الخارج.

أما فى الشمال، فقد تراجع جيش **يودنيتش** ثم تم القضاء عليه، وهرب **يودنيتش** الى القسطنطينية فى شهر إبريل.

وفى الجبهة الشرقية، استقال **كرلتشاك** من القيادة بعد أن هزم هزيمة مريرة فى **أومسك**، وقد تمت محاكمته وادانته بالخيانة العظمى قبل أن يتم إعدامه فى ٧ فبراير سنة ١٩٢٠. كما حدث انتصاران آخران على الغزو الأجنبى: أولهما على **الباورن والجهل** فى الجنوب حيث قضت القوات السوفيتية على جيشه وعاد مابقى منها الى القسطنطينية فى نوفمبر سنة ١٩٢٠. وثانيهما فى بولونيا حيث انتهى الأمر بتحول السلطة الديكتاتورية العسكرية الى يد المارشال **بيلدسوسكى** فى مارس سنة ١٩٢١. وأثناء عام ١٩٢١ اعترف الغربيون»- بعد فشل تدخلاتهم- بروسيا السوفيتية، بسبب وجودها الفعلى أولا ثم بسبب حقها فى ذلك الاعتراف، وذلك كالآتى:

- انجلترا فى مارس سنة ١٩٢١ عن طريق معاهدة تجارية مع روسيا السوفيتية
- ألمانيا فى مايو
- النرويج فى سبتمبر
- النمسا وإيطاليا فى ديسمبر

فى «التاريخ العالمى» فى البلياد pleiade (الجزء الثالث، ص ٩٢١) نجد: «**مع نهاية عام ١٩٢١، انتهت الحرب الأهلية التى غذاها التدخل الأجنبى قبل كل شئ**».

---

(١) Hermidorien: نسبة إلى مجموعة من النواب الذين اتحدوا لوضع نهاية لديكتاتورية «روبسبيير»، مثل «تاليان» و«بيجرندر» (المترجمة)

النموذج السوفيتي والاشتراكية (٣)

الحزب الشيوعي السوفيتي والثقافة الاشتراكية

د. خليل حسن خليل

اذا كانت الديمقراطية بمعناها الحقيقى، أى بمعناها السياسى والاقتصادى ، لا تتوافر الا فى مجتمع اشتراكى ، ترجه فيه الجماهير المؤسسات السياسية، وتسيطر فيه على وسائل الانتاج والتبادل والتوزيع ، كما اشرنا فى المقالة السابقة، فان **الحزب الشيوعى السوفيتى** ، تسبب عن طريق الجهاه البيروقراطى فى عزل نفسه عن الجماهير ، وفى اغتراب تلك الجماهير عن نظام الحكم ، وعن وسائل الانتاج والمنتجات . وبذلك تفكك النظام أمام أعين الجماهير ، وهى لا تحرك ساكنا ، وكأن النظام ليس نظامها ، لم تبذل كدحها ودماؤها فى اقامته ، وكأنها لم تناضل على مدى سبعين عاما ، ليصبح الاتحاد السوفيتى نظيراً للولايات المتحدة فى زعامة العالم.

هذا الانعزال الذى فرضه الحزب على نفسه ، وهذا الاغتراب الذى فرضه على الجماهير ، عاق الحزب عن أن يقوم بتثقيف الجماهير ثقافة اشتراكية حقيقية ، بل عجز عن تثقيف نفسه ، إلا فى الحدود التى فرضتها البيروقراطية ، والجمود الفكرى عليه.

تثقيف الكوادر الحزبية:

نفيما يتعلق بالحزب، فقد حدد نفسه بمراجع معينة لم يتخطاها ، وهى **ماركس وانجلز ولينين وستالين** ، ولا بأس فى هذا ، فهى مراجع أساسية للفكر الاشتراكى ، لا غناء عنها. ولكن التمسك بحرفية النصوص ، تمسكا يبلغ حد الحمق ، ويتنافى مع العلم ، الذى هو عصب اساسى من أعصاب النظام . ثم الإصرار على تفسير واحد لتلك النصوص ، هو التفسير الذى اخذ به الحزب ، وبصفة خاصة منذ «ستالين» يعتبر تضييقا للنظرة الاشتراكية الرحبة وابتعادا عن النظرة العلمية ، التى تخضع للتطور ، وتجاهلا للقيم الرأسمالية التى ما زالت تتحكم فى جانب كبير من بنى الانسان ، هذه القيم التى لم تختف فى الاقتصادات الاشتراكية ذاتها.

وينطبق التفسير الضيق ، الذى أخذ به النموذج السوفيتى على بعض المبادئ الاساسية ، التى تعتبر دعامات للفكر الاشتراكى ، منها التفسير المادى للتاريخ «المادية التاريخية» والمادية الجدلية وفكرة البروليتاريا ، وفكرة الملكية العامة والخاصة لوسائل الانتاج ، وغيرها.. ففكرة «البروليتاريا» ، مثلا توضح التفسير الحرفى الضيق الذى ساد الفكر السوفيتى ، وهو «الطبقة العاملة الصناعية» ، وقد يكون لمستخدمى هذا المصطلح الأوائل : **ماركس وانجلز ولينين** حجة واضحة فى تطبيقه على العمل الصناعى ، فهم كتاب وزعماء أوروبيون ،يرون فى عمال الصناعة ، فريقا قويا منظما ، ومتجمعا فى قطاع ديناميكى ، ويعتبرون تاريخيا ، أكثرتطورا من الفلاحين . لهذا فقد خوطبوا اساسا ، كقوة فاعلة فى النضال ضد الرأسمالية ، التى اتضحت علاقات الانتاج والاستغلال فيها ، وتطورت قوى الانتاج فبنى عليها ماركس بناء النظرى ، واستخدمهالينين كطليعة للثورة.



ماركس

أما الاصرار عليها فى مراحل لاحقة ، أو فى ظروف مختلفة ، فأمر ليس علميا ، فالعلم يتشكل مع التطور ويسهم فيه . والتاريخ يقول لنا بأن الاصطلاح **يمكن ان يتسع لغويا وواقعيا ، ليشمل الطبقة العاملة كلها بما فيها العاملين فى قطاعات الخدمات، ويشمل كذلك الفلاحين ، بل يمكن طبقا لمتطلبات الثورة ،أن يشمل البرجوازية الصغيرة ، الذين تتماثل دخولهم مع العمال ، بل احيانا تقل عنهم** . ولهم مصلحة فى تغيير النظام الرأسمالى ، فالرأسمالية المتوسطة والكبيرة تضيق الخناق عليهم ، وتفتك بهم ، عن طريق المنافسة القاتلة والاحتكارات.

وعلى ذلك كان منطقيا ، أن تقوم ثورات كبرى ، ما زالت قائمة ، لم تفكك ، كما حدث للسوفيت ، كثورة الصين ، وفيتنام ، وكوريا . قامت تلك الثورات بواسطة الفلاحين وغيرهم من القوى الثورية الاخرى . وذلك بسبب بسيط أن هذه البلاد ، ساد فيها الانتاج الزراعى ، ولم تمض فى الصناعة الى أمد بعيد.

هذا مثل واحد من أمثلة كثيرة ، ومبادئ أرساها النظام السوفيتى ، (سنعرض لها فيما بعد)، تمسك بها السوفيت ، وأصروا على تفسيرهم لها ، رغم انها قد لا تكون خادمة للفكر الاشتراكى ولا للنظام نفسه وتطوره.

وهكذا اقتصرت ثقافة الكوادر الحزبية على خط واحد ، هو الخط السوفيتى ، ووقع الحزب فى اطار ضيق محدود ، قد يكون خاطئا ، وقد يسهم فى انشاء كوادر محدودة الافق الاشتراكى. تردد ، دون احساس عميق، فكرا لم

يتضمن ثقافة حرة متطورة .. يسهم في تطويرها الكوادر أنفسهم عن طريق المناقشة والمناظرة الطليقة، التي تشكل العقول ، وتشكل معها وجدانات المتحاورين ، بحيث يستطيع الكادر ان يعبر عقليا ووجدانيا عن الفكرة الاشتراكية ، ويمكنه ان ينقلها نقلا فعالا للجماهير.

تثقيف الجماهير:

اما من حيث تثقيف الجماهير بالثقافة الاشتراكية ، فهناك عقبات حقيقية حالت دون تلك العملية ، وأدى الأمر إلى أن الجماهير كانت غير مبالية ، حينما كان النظام يتهدم لبنة وراء لبنة.

فالكوادر الاشتراكية ثقفت ثقافة محدودة، وأحسن ما يمكن ان يقوموا به هو نقل ما تعلموا الى الناس ، والناس يسمعون كلاما لاروح فيه، فانصرفوا لاسيما ان الجماهير ليسوا شركاء، في الحكم ولا في توجيه الانتاج ، وتوزيع المنتجات ، كما سبق القول، فبيروقراطية الحزب حرمتهم من الإحساس بأن لهم مصلحة في النظام.

ولقد اشرنا ، عندما تعرضنا لمزايا النظام الاشتراكي السوفيتي ، ان النظام اتاح الوان الثقافة ، ومنتجاتها للشعب ،إما مجانا ، واما نظير اثمان زهيدة ، فالكتب رخيصة جدا وكذلك مؤسسات الثقافة والترفيه ، كالاوبرا ،والمسرح والباليه ، ودور الموسيقى والفلكلور وغيرها.

لكن التثقيف الحقيقي، الذي يخلق جمهورا يدافع عن نظام سياسي اقتصادي يتعشقه ، ويفخر بالانتساب اليه ، ويضحي له لتحقيق المثل العليا ، التي ناضلت الاجيال طويلا لتحقيقها ، فيتنعم الانسان بمجتمع تتوافر فيه رفاهته المادية والثقافية ، ويلغى فيه استغلال الانسان للانسان وتتحقق فيه الديمقراطية والمساواة والحرية ،ويشرف الانسان فيه على انتاجه وعلى توزيع منتجاته توزيعا عادلا، حسب العمل الذي يبذل فيه كل فرد .. الى غير ذلك.. هذا التثقيف الاشتراكي الحقيقي لم يتم ، وما كان له ان يتم ، بعد الطريقة التي زعد بها الكادر ، وبعد الانعزال البيروقراطي للحزب، واغتراب الجماهير عن الحكم والانتاج.

ولا يمكن للثقافة ان تنتج ثمراتها إلابوجود روح من الثقة والود بين الممارس للتثقيف ، وبين المتلقي للثقافة ، فهذا الاخير ، ينفعل حقا بما يلقى اليه ، ويستوعبه ، ويعيه حينما يعتقدأن من ينقل له الثقافة يمثل مصالحه الحقيقية، وأن هناك رابطة



لينين

عضوية بينهما. بهذا يمكن ان تتولد الثقة بينهما ، ويؤتي التثقيف اكله ، ويخلق مواطنا يشعر بأن النظام نظامه ويدافع عنه بكل عزم ، ولا يقف متفرجا ، والنظام يتصدع ، وهذا قد حدث- ونكرر مرة أخرى- بسبب عيب فادح ، هو الانفصام بين الحزب والجماهير ، وما ترتب عليه من اغترابها عن النظام نفسه.

في الستينات ،كان هناك تواصل بين مصر وبين البلدان الاشتراكية في شرق أوروبا ، وفي مقدمتها تشيكوسلوفاكيا ، وقمنا برحلة علمية الى هذا البلد ، والتقينا ببعض الناس ، خارج الدوائر الرسمية ومن بين هؤلاء شاب مهندس حديث التخرج ، سألناه عن النظام ، فباح لنا بشكواه لا حريات متاحة لنا، دكتاتورية الحزب، لا رأي آخر. وأهم من ذلك السلع «اللوكس» المحلات هنا مقسمة الى

ستالين



نوعين : المحلات العامة وهي تبيع السلع الوطنية ، وهي طبقا لوجهة نظره منخفضة النوعية ، ولا توجد بالمحلات العامة ، السلع اللوكس المستوردة التي تبيعها محلات أخرى تبيع هذه السلع بالعملات الاجنبية : وهي غير متاحة للمواطنين ، حيث سعر العملات الاجنبية ، بالغ الارتفاع.

المهم ان لهجة المهندس التشيكي الشاب ، زادت حدة عندما كان يتكلم عن هذه السلع الترفيه.

ولما قلت له اننا نشتري السلع من محلاتكم العامة. ونعتبر هذا كسبا كبيرا، بل أن كثيراً منها ترفي بالنسبة لنا في بلادنا ، قال: لكن بلدي كانت بلدا صناعيا قبل الحرب العالمية الثانية ، قلت له: أهم من ذلك ما ذكرته عن الحرية ، وهذه نقطة لا اختلف معك فيها . ولكنك تعلم ان الاشتراكية قامت بعد نضال كبير بواسطة الشعوب ضد مستغليها ، وشرحت له كيف **تحتكر القلة «الاقطاعية» والرأسمالية ، ملكية الأرض ورأس المال، وكيف تستنزف كدح العمال والفلاحين** ،، وتنهب فائض قيمة عملهم . وكيف يرفرف الفقر والبؤس والجهالة والمهانة على الملايين العاملة ،وهي الأكثرية في كل وطن ، وكيف ان الاشتراكية هي محاولة لاسترداد كرامة الانسان الفقير ، وتوزيع الناتج بالعدل حسب العمل الذي يبذله الفرد في عملية الانتاج ، بهذا يقضي على استغلال الانسان للانسان : فالمستغلون قلة تملكت الارض، ثم رأس المال في غفلة من الزمان واستخدمتها لقهر الانسان ، وتجويعه واستعباده.

وكان رد المهندس الذي يشكو لي نظام الاشتراكية ان الحزب وقادته لا يعلمون الجماهير ذلك انهم لا يقولون لنا شيئا من هذا القبيل ، ولا يضربون لنا امثلة من بلاد العالم.

وعقبت عليه ، بان هذا امر عجيب ، فالمهمة الاولى للحزب ، هي تثقيف الناس تثقيفا مطردا وبيان ما تسببه الرأسمالية من بأساء للشعوب ، وما تحاوله الاشتراكية من الغاء تلك البأساء.

هذا المثل المبسط ، يذكرنا بغياب عنصر اساسي لربط الجماهير بنظامها السياسي الاجتماعي وهو تثقيف الجماهير ، كي تدافع عن نظامها ، الذي حررها من البؤس والبطالة والاستغلال وضرب المثل الحقيقي المصاحب للتثقيف ، بأن البلد أصبحت ملكا للجماهير ، وذلك بسيطرتها الديمقراطية على الحكم والانتاج.

فؤاد كامل
أن ترسم مشاعر كرسى!

د. رفعت السعيد

ومرة أخرى سنلتقى مع أسماء محدده.. الاستاذ يوسف العفيفى مدرس الرسم فى مدرسة السعيدية الثانوية ، والذى تخرج على يديه أكثر من رسام مبدع (رمسيس يونان- كامل التلمساني وغيرهما).

مرة أخرى نلتقى بيوسف العفيفى فها هو واحد من تلاميذه يكتشف موهبته ويصقلها ويتطور بها ليقدم لنا فنانا موهوبا.

ثم نلتقى ايضا بجماعة «الفن والحرية» والتى كانت ملتقى للفنانين الثائرين والمتمردين على المجتمع وعلى القوالب الفنية الجامدة.

لكننا نعود الى الطالب صغير السن الذى تتلقفه يدى مدرس الرسم يوسف العفيفى، فيتلقن على يديه فنون الرسم وعشقه ، ليواصل طريقة الاكاديمى فيحصل على دبلوم المدرسة العليا للفنون الجميلة، ودبلوم المعهد العالى للتربية الفنية، ويعين مدرساً للرسم فى مدرسة ثانوية.

وعلى طريق الاخ الأكبر انور كامل ينطلق فؤاد.. ليمزج عشق الرسم بعشق الوطن ، وصخب اللون بصخب الحياة، ويصنع من ذلك كله سخطا متفجراً سواء على قماش اللوحات او على ساحة المجتمع.

وينتمى فؤاد الى «جماعة الفن والحرية» ليكون أصغر اعضائها (ولد فى ٢٨ أبريل ١٩١٩).

ويتقن فؤاد كامل فن البورتريه ، ليؤكد اتقانه لتشريح الجسد الانسانى ، ثم ينطلق من معالم التشريح إلى التلاعب بها فى مساحات سيريالية ذات زخرفات صاخبة التشكيل وصاخبة اللون معا.

وذات يوم سأله ناقد فنى كبير عن تفسير لهذه الخربشات التى تتزاحم بها لوحاته والتى تتزاحم هى أيضا بالألوان المتقاطعة ، فيرد فؤاد كامل ببساطة «أننى أحاول أن أعبر عن مشاعر الكرسى عندما نجلس عليه» ويعلق جون باستيا فى مقال بجريدة البروجريه اجيبسيان (١٦-٣-١٩٤١) على هذه العبارة قائلا: «نحن واثقون بأن الكرسى لو استطاع ان يعبر عن مشاعره لاحتج على محاولات وتفسيرات السيد فؤاد كامل».

كان هذا فى معرضه الأول (المعرض الاول للفن والحرية) اما فى المعرض الثانى للفن المستقل فانه يتحدث عن نفسه قائلا أنه يكون «شاعرا عندما لا يكون لديه ما يشترى به ألوانه.

صامت دائما

للمرأة كلحن موسيقى، أثر فعال فى خلق أجزاء صدرى، يوم صاحت أعماقى :«يا أختى الشجرة ويا أخى الحجر» غمرنى فى الوقت نفسه قانون الوجود الواحد فى كل شئ؛ وشعرت بالتناسق العجيب الذى يربط ويخضع كل كائن فى نظام دقيق ومعجز .. بت لا أتلق عندما لا افرق كثيرا بين شعر حصان وشعر امرأة، أو بين متمد وجسم بشرى، إن بين الموت والحياة الدائمة معركة هائلة تنتج أكبر تشويه رهيب أواجهه فى صدرى . إن فى أغوار كل شئ روحاً تدب فيه حتى الجماد (كتالوج المعرض الثانى للفن المستقل).

اما كامل التلمسانى فيتحدث عن رسوم صديقه وزميله فؤاد كامل قائلا: «لجج من ظلمات . عالم ، يبقى يوما بعد يوم متجرداً من الشمس ، وسيظل كذلك حتى نهاية الحياة.. لجج من ظلمات ، فالرجال مصابون بالعمى لأن عيونهم تظهر كل درجات الرؤية والتلوين، ولا تصل إلى الغوص فى أعماق الحب الإنسانى.

كل فرد يمتلك عيونا ، واسعة أحيانا ، وأحيانا ضيقة. عيون سوداء بلا إبصار، زرقاء بلا إبصار ، خضراء بلا إبصار .. انه إخراج ممتلئ بالعاطفة المشبوبة يعلن بها فؤاد كامل انه يحب الانسانية المطلقة .. وحده فؤاد كامل قادر على أن يمنحها غناء . هو الذى إصطدم بهذا العالم ، وعانى كل أهوال الألم الذى جعل صمته جسداً من كل عضو صامت فى عائلة الأوجاع »(كامل التلمسانى (مقال بالفرنسية مجلة دون كيشوت ١٨-١-١٩٤٠).

لكن هذه التهويمات السيريالية لا تمضى بلا عقوبة. فقد تعرض فؤاد كامل وكل جماعة الفن والحرية بل وكل الرسامين السيرياليين لهجمات حادة وعنيفة ، وتنشر مجلة الرسالة :«ان الجماعة التى تتسمى باسم الفن والحرية لا تفهم الحرية الا على أنها فوضى لا ضابط لها ولا قانون ، كما ان مسايرة الفن الاوروبى فى تخبطاته الأخيرة ليست حرية بحال من الاحوال ، بل هى عبودية عمياء ، وهذا هو ما تفعله جماعة الفن والحرية» ثم وفى إشارة الى بيان الجماعة ذى العنوان التهكمى «يحيا الفن المنحط »(نشر البيان إحتجاجا على إحراق هتلر لبعض اللوحات بحجة انها فن منحط) تواصل مجلة الرسالة «اننى أؤكد بكل قواى أن هذه الرسوم هى بالفعل فن منحط »(مقال لنصرى عطا الله سوس . فن منحط برغم ذلك . العدد ٣١٦).

ويرد أنور كامل على هذا الهجوم مبرراً الاختلاف فى وجهات النظر قائلا: «والمجتمع المصرى بحالته الراهنة مجتمع مريض مختل ،

فقد الاتزان لا فى مقاييسه الخلقية فحسب بل فى أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية أيضا».

ثم يقول «وجماعة الفن والحرية فئة من الشباب راعها ما رأت من انحلال عناصر القوة فى مصر فكرست جهودها لدراسة مسببات هذا الانحلال ، ولايجاد الحلول التى ترى انها قد تعود بالخير على الجموع . فهى ليست متأثرة بحركة أجنبية، وانما هى حركة مصرية أكثر ما يمكن أن يقال فيها أنها ستكون مهداً لنضوج الافكار الجديدة التى ستهيئ أسباب التطور لهذه البلاد» (انور كامل -جماعة الفن والحرية-مقال . مجلة الرسالة . العدد ٣٢١).

*****

الى هنا ونلاحظ أننا إزاء فنان صاحب فنيا لكنه صامت سياسياً . فهو ليس كغيره من متمردى جماعة الفن والحرية الذين كانوا يعلنون وبأعلى صوت «الفن معمل بارود» .. هو يقول عن نفسه فى كتالوج المعرض الثانى للفن المستقل انه: «صامت دائما» . ويقول عنه كامل التلمسانى انه «جعل صمته جسداً من كل عضو صامت فى عائلة الاوجاع».

وفيما نعلم فان هذا الصامت قد نطق مرة واحدة فتفجر بما دفع المجموع إلى التصادم صداماً عنيفاً مع الأمن.. وكان ذلك فى واحد من اللقاءات الجماهيرية التى نظمت ضمن الحملة الانتخابية لفتحى الرملى (عندما رشح نفسه كأول مرشح اشتراكى فى انتخابات مجلس النواب عام ١٩٤٤ فى حى السيدة زينب»

ويحدثنا عن هذا اللقاء د. لويس عوض فيقول: فى هذا الاجتماع وجدت أنور كامل ورمسيس يونان وجورج حنين ، وبولا العلايلى وعشرات من أقطاب اليسار المصرى . تعاقب الخطباء وكان أكثرهم معتدلا فى كلامه حتى وقف فؤاد كامل ، وألقى كلمة عنيفة يندد فيها بالاخطبوط الرأسمالى ، ويطالب بتقطيع أرجل الاخطبوط ويقول كلاما كثيرا مما يعاقب عليه القانون ، وتكهرب الجو. لا أذكر كيف تدخل البعض لفض الاجتماع خشية أن يتدهور الموقف، ولكن المجتمعون قرروا الخروج فى مظاهرة فى شوارع القاهرة . وهكذا خرجنا نحو الساعة العاشرة مساء ولم يكن عددنا يزيد على مائتى شخص أكثرهم من الكتاب والفنانين ، وسرنا فى مظاهرة تهتف: «الأرض للفلاحين والمصانع للعمال- الخبز والحرية للجميع- تحيا وحدة المثقفين والعمال» (د. لويس عوض- ذكريات بعيدة- ص١٢٤).

ويكمل د. مجدى وهبه الحديث قائلا: «ووضع البوليس نهاية للحادث فصادر منشوراتنا وضربنا فى مزاح ثقيل بالمطارق».

نحن إذن امام كادر جماهيرى يعرف كيف يتفجر بالغضب الثورى فيكون أكثر غضبا وأكثر ثورية من الآخرين ، ويعرف كيف يقود المظاهرات الصاخبة صخبا يقتاد الجميع الى حالة مزاح ثقيل يضربون فيه ضربا مبرحا من جانب رجال الأمن.

فلماذا أثر الصمت بعد ذلك؟

هل لأن كلماته كانت أكثر عنفا مما يحتمله الاصدقاء فآثر الصمت خشية عاقبة المزاح البوليسي الثقيل عليهم وعليه؟

أم لأنه آثر الصمت السياسى واكتفى بالشغب الفنى؟ ام لأنه اعتقد فى تناسق الوجود ورأى الحياة المتسقة حتى فى كرسى أو شجرة او قطعة من حجر ، نعاش متوازناً مع العالم دونما حاجة إلى صراع سياسى يقلق ألوانه المتناغمة؟

المهم أننا بقدر استمتاعنا بانتاج فنى غزير فقد إفتقدنا فؤاد كامل السياسى.

ولعل هذا هو ما أتاح له وجوداً فنيا أكثر من زملائه الآخرين من ابناء جيله ومن أبناء مدرسته السياسية فى جماعة الفن والحرية.

والمهم ان فؤاد كامل عاش حياته الفنية بعمقها واتساعها ففى عام ١٩٣٧ انضم إلى جماعة «الشرقيين الجدد»، وفى عام ١٩٤٧ انضم الى جماعة «جانح الرال» .. ثم شارك فى عشرات المعارض الهامة :ففى عام ١٩٤٧ شارك فى معرض السيريالية الدولى فى باريس ، وفى عام ١٩٤٨ شارك فى معرض الفنانين العرب الذى اقامته جامعة برديو بالولايات المتحدة الامريكية .. وهناك حصل على الجائزة الاولى وربما كان هذا التفوق الفنى الواضح دافعا له -بالاضافة الى تكهرب الجو السياسى- الى أن ينسحب نهائيا من ميدان العمل السياسى وان يتمترس نهائيا فى ميدان الفن . وفى عام ١٩٦٠ - وفى ظل رعاية شاملة للفن يقدمها وزير الثقافة ثروت عكاشة- حصل على منحة التفرغ.

وفى عام ١٩٦٨ حصل على الجائزة الأولى فى التصوير من بينالى الاسكندرية ويكتفى فؤاد كامل بذلك ..

ويرحل.





"حرب الفراولة" لخيري بشارة

أزمة السينما و الوطن : لماذا توقف المثقفون عن الحلم ؟!

أحمد يوسف

شئ ما في فيلم «حرب الفراولة» لخيري بشارة يجعلك تشعر انك امام عمل فني بسيط يسيطر عليه الافتعال والاصطناع ، أو انك نادرا ما تستطيع ان تصدق ما تراه على الشاشة من أطياف واضواء وظلال ،على الرغم من ان الفيلم يبدو على السطح قريبا من حياة البسطاء.

وقد تستطيع بعد بعض من التأمل ان ترى ان هناك في الفيلم على مستوى **الشكل جهدا فنيا لا يمكن انكاره** ، ومع ذلك فإن التشوش في المضمون يجعل الفيلم كله كأنه بلاهدف حقيقي ، حتى انه يصبح مثل قفزات بهلوانية في الهواء ، قد تنبهر بها قليلا لكن سرعان ما تنساها الا أن الفيلم يضيف تجربة اخرى -وان لم تكن جديدة- في محاولات خيري بشارة الأخيرة للبحث عن طريق لنفسه وللسينما المصرية في آن واحد.

نتذكر اليوم بنوع من الحنين ان الفنان خيري بشارة كان مع أبناء جيله يسيرون في أفلامهم الروائية ، الأولى بخطى بطيئة ولكنها كانت ثابتة وواثقة. إلا انهم كانوا ينظرون الى هدفهم في الأفق يرونه ما يزال بعيدا ،ولم يكن هذا الهدف المشروع الا الحلم الجميل الذي يستولي على وجدان كل فنان حقيقي ، بأن يصنع اعمالا فنية تحقق النجاح الجمالي والجماهيري معاً ، لكنهم فجأة- ومع التغيرات السياسية لخريطة الوطن العربي ، والعالم كله ، في مشاهد درامية قد تثير الضحك بقدر ما تبعث على البكاء - تسلل إلى وجدانهم -مثل الكثير من المثقفين المصريين- القلق العميق والشك العاصف في كثير من المعتقدات السياسية والفنية المتعارف عليها ، فكأن الارض الصلبة التي كانوا يسيرون عليها قد أصبحت أرضا رخوة تغوص فيها الاقدام ، أو لعلها بدت كأنها قد أشرفت على حافة تطل على المجهول فلم يجد بعضهم مناصا من أن يقفز في دون كيشوتية في الهواء ، لعله ان يعود بعد قفزته الي ارض جديدة، وهو ما يتصور الفنان خيري بشارة انه قد استقر فوقها منذ فيلمه «كابوريا» (١٩٩٠) ، الذي حقق نجاحاً جماهيريا هائلا ، الا ان افلامه التالية التي حاولت أن تحاكي تلك « الوصفه» الجديدة الناجحة في«كابوريا» لم تستطع ان تحقق نفس القدر من النجاح ، وأن ظل خيري بشارة يكرر التقفزات ذاتها المرة بعد المرة ، فكأنه لا يكاد يبرح مكانه ابداً ، أو لعله لا يريد.

إن اردت ان تبحث عن مزيد من التحديد لتلك الحالة التي أصابت افلام **خيري بشارة ، فان عليك ان تغوص الى اعماق ازمة الوطن ، وازمة شريحة كبيرة من المثقفين علي نحو خاص** ، فيما تراه حولك من ظواهر تثير الاسى والشفقة ، وربما الغضب والخوف ايضا من مستقبل لانكاد نستطيع له تنبؤا او استشرافا إلا على نحو غامض ، لأننا بالأحرى لم نستطع بعد ان نضع أيدينا على تشخيص حقيقي نتفق عليه لأزمة الحاضر ، فكيف يمكن لنا ان نتفق على وسائل علاجه؟ ! لقد كان المثقفون المصريون الجادون-حتى وقت قريب- هم الوقود الذي لا ينفد لمقاومة سلبيات الواقع ، لأنهم كانوا يحلمون دائما بواقع آخر ممكن ، أكثر عدلا وجمالا ، وها هي شريحة كبيرة منهم تتنازل عن الاحلام ، وترى في الواقع القائم- ايا كانت مرارته- الواقع الممكن الوحيد، وتدعو إلى«الواقعية» في التعامل مع المعطيات الجديدة -وإن شئت الدقة فهي الاستسلام لهذه المعطيات- وترى في ذلك تطورا نحو النضج .. وياله من نضج يشبه حالة الامتداد للطفولة العاجزة عن التأثير في الواقع والتفاعل معه على نحو خلاق ، أم لعله نضج الشيخوخة التي لم يعد امامها ، الا ان تقبل العجز عن الفعل ، أو حتى الحلم؟!.

تناقضات جوهرية

قد يبدو ذلك للوهلة الأولى متناقضا مع الإهداء الذي يتصدر فيلم**«حرب الفروالة»** ، يسوق فيه **خيري بشارة** العديد من الاسماء ، التي تعبر -كما يقول- عن «الجيل الجديد القادم لتحطيم سينما تقليدية ومتحفظة» (ولتصرف النظر عن دقة كلمة «متحفظة» في هذا السياق) ، فهذا الإهداء يعبر عن أمل حقيقي في المستقبل ، وتمرد على سلبيات الحاضر ، لكن سرعان ما يخيب الظن في ان الفيلم «حرب الفراولة» كعمل فني له ابعاده الجمالية والفكرية سوف يساهم على الأقل في ان يشير لهذا الجيل الجديد ولو إشارة خافتة نحو هذا المستقبل ، فهل تراه هو ذاته تجسيدا لتلك السينما التقليدية-والمتحفظة- التي يدعو لتحطيمها ؟

جوهر التناقض في مثل هذا الاهداء -بل في الفيلم كله- انه يعبر عن تمرد عميق داخل وجدان الفنان **خيري بشارة** على حاضر السينما المصرية ، الا ان هذا التمرد ينتهي الي قبول شروط هذا الحاضر ، بكل سلبياته وقواعد اللعبة فيه ، وان اكتسى هذا القبول والامتثال بغلاف من التفلسف واصطناع العمق ، مما يعيدك على الفور الى تلك النزعة «الواقعية» التي تدعو اليها شريحة كبيرة من المثقفين ، وهي الواقعية التي تنادي في أغلفة نظرية براقة بالتعايش مع معطيات الواقع ، بينما تخفي في أعماقها نزعة عملية تسعى الى انتهاز الفرص للطفو فوق امواج

التيار السائد ، لكن الامر ينتهي الى فقدان -واع أو غير واع -لدور المثقفين ورسالتهم ، في الدفاع عن هذا الوطن وابنائه ضد كل اشكال الذل والهوان ، حتى لو اقتضى ذلك ان تصارع الامواج وتقف ضد التيار.

مرة أخرى سوف يبدو ذلك متناقضا مع ما يبدو على السطح من فيلم«حرب **القراولة» الذى تراه للوهلة الأولى وكأنه يدافع عن عالم الفقراء ، الدين يحلمون بشروط انسانية بسيطة فى هذه الحياة الصعبة** ، فكيف لنا ان نقول انه يتخلى عنهم؟ لكن عن اي فقراء يتحدث فيلم «**حرب القراولة**» ، وهو الذي يعود من جديد الى حيلة فيلم«كابوريا» **الذي يختزل العالم الى طبقة شديدة الثراء لدرجة السفه والابتذال** ، **وبعض الهامشيين الذين لا يمكن ان تراهم علي انهم «طبقة» الفقراء بأية حال**، وهم الذين يعملون «بلطجية» أو قطاع طرق أو لصوصا أو «ناضورجية» لتجار المخدرات ، ويقبلون ان يعيشوا كحشرات طفيلية على عالم الاغنياء؟

ان هذا التناقض بين عالمين شديدى التنافر هو الذى اصبح يغرى خيرى بشارة ، ويدعوه لاستغلاله المرة بعد المرة لتصوير «الصدام» بين ما يسميه طبقتين ، وقد ينتهى الصراع كما فى «**كابوريا**» أو «**امريكا شيكا بيكا**» (١٩٩٣) الى نوع من الانسحاب او التراجع عن الاحلام ، او قد ينجح تمرد المطحونين بشكل لا يخلو من الانفعال كما فى«**ايس كريم فى جليم**» (١٩٩٢) ، أو **قد يفضى الصراع الى معركة دموية كتلك** التى شهدتها «حرب القراولة» ، لكنه يصبح دائما بين ايدى خيرى **بشارة محاولة** لصنع توابله السينمائية الخاصة التى يريد بها ان يحقق شكلا فنيا يقترب على نحو ما من **«الكوميديا الموسيقية» التى اثارت انبهاره منذ فيلم شريف عرفه «سمع هس»** (الذى انتج عام ١٩٨٩) ولم يعرض عرضا عاما الا خلال ١٩٩١) ، كما يتحول هذا الشكل الى وسيلة ليجيب بها **خيرى بشارة** عن الاسئلة التى تؤرقه ، وهذا الطموح هو ما يمنحه نوعا من التميز ، وان كانت المشكلة الحقيقية ليست هى اذا ما كانت الاجابات التى يقدمها فى افلامه -على مستوى الشكل والمضمون -**هى الاجابات** الصحيحة،وانما اذا ما كان يطرح الاسئلة الصحيحة ، وهو ما يعيدنا من جديد الى



ازمة المثقفين ، الذين يقدمون «روشتات علاج الواقع»، دون ان يحاولوا ان يبذلوا جهدا حقيقيا فى«تشخيص» امراضه!.

الصراع الزائف

يرى فيلم «**حرب القراولة**» -الذى تقول عناوينه انه فكرة«خيرى بشارة» ، بينما القصة والسيناريو والحوار **لمدحت العدل**- ان «تشخيص» ازمة الواقع هى البحث عن السعادة ، يسعى اليها الاغنياء والفقراء دائما فيما لا يملكونه ، لذلك يحاول الثرى ثابت وجدى (**سامى العدل**) ان ينفض عن حياته الملل والسأم بأن يغرى الصعلوك حمامة السوهاجى(**محمود حميدة**) بأن يأخذ الصعلوك الي تجارب جديدة ، لم يعرفها الثرى من قبل ، لعله يذوق بذلك طعم السعادة، مقابل بعض المال الذى يرى حمامة انه السعادة الوحيدة المأمولة ، لكن اللقاء بين الرجلين ينتهى الي ان الثرى يقتنص لنفسه زوجة الرجل الفقير ، فردوس التى يدللها حمامة باسم قرارلة(يسرا) ، وهكذا يكتشف الصعلوك انه فقد سعادته البسيطة التى كان يملكها ، كما فقد ذاته عندما ارتضى ان يكون وسيلة لتحقيق السعادة الوهمية التى يبحث عنها الثرى ،وينتهى الى قتلة فى حفل الزفاف الدامى.

وربما تقفزت الى ذاكرتك على الفور اسماء افلام مصرية قديمة مثل« **لو كنت غنى**» (١٩٤٢) أو «**سفير جهنم**) (١٩٤٥) لكن الاقرب الى الذهن هو افلام امريكية معاصرة «**شهر عسل فى لاس فيجاس**» و «**عرض بذئ**» ، فهذه الافلام - وغيرها -تحمل الفكرة المحورية ذاتها التى تنسبها عناوين «**حرب القراولة**» الى خيرى بشارة ، وان كنا نتصور ان ما يعنيه حقا بالفكر ، هو ما اسماه فى«**ايس كريم فى جليم**» باسم «التوليفة الغنائية والدرامية» ، فتلك التوليفة هى ما تشغل حيزا كبيرا من اهتمامه كما يبدو من افلامه الاخيرة ، وربما كان هذا

الاهتمام بالشكل هو ما يجعل تلك الافلام تفقد- فيلما بعد فيلم- بريقها الأول- ويكفى ان تقارن بين وهج «كابوريا» وانطفاء «حرب القراولة» ، لكى تدرك ان «التوليفة» **التى بدأت شكلا من اشكال التمرد اصبحت تتسم خلال سنوات قلائل بالتقليدية.**

ويكفى أيضا ان تقارن من ناحية أخرى بين« حرب **القراولة**» وفيلم **داود عبد السيد «البحث عن سيد مرزوق»** ، فكلاهما يتحدث عن هذا الصدام بين عالمين ، يحمل البريق الزائف أحدهما إلى أن يسعى نحو الاخر حتى يكتشف الحقيقة المريرة انه فقد عالمه القديم دون ان يجد بديلا ، لكن «**البحث عن سيد مرزوق**»-الذى يمضى مثل«**حرب القراولة**» باسلوب الفقرات المتتابعة بدلا من الدراما المتصاعدة -يبحث فى اعماق هذا الصراع عن الاسئلة الحقيقية ، بينما يكتفى «حرب القراولة» بترديد الاجابات الجاهزة التى لا تشفى غليلا ، لأنها تحول القضية الى صراع شديد السطحية والزيف ، كما تتحول الفقرات الى «نمر هزيلة» تثير السخرية والآسى ، على «فبركة» الفيلم على هذا النحو، وهو الامر الذى قد يتحمل السيناريو بعضا من مسئوليته ، اذ افتقد- **«امريكا شيكا بيكا»** ، لنفس المؤلف- ادراك أهمية التفاصيل الرقيقة الدقيقة فى رسم الشخصيات ،والتفاعل بينها والتطور الذى يعيد تشكيلها مع تطور الاحداث ، بل ان«النمر» التى تراها على الشاشة- كما سوف يتبين لك لاحقا - يمكنك ان تستبدل ايها بالاخر ، او ان تحذف منها ما شئت ، دون ان يؤثر ذلك على التطور الدرامى ، لأنه ليس هناك فى الحقيقة أى تطور درامى !! لكن المسئولية الاكبر فى التسطيح والافتعال اللذين اتسم بهما الفيلم تعود الى «توليفة خيرى بشارة» التى لا ننكر طموحها ، لكننا

ايضـا لا نستطيع ان نتجـاهل «تلفيـقـهـا» وانتقائيتها المتعجلة.

نمطية الشخصيات والاحداث

ولك ان تتصور ان الشخصيات جميعها- الرئيسية والثانوية- تقدم نفسها دائما في «مونولوجات» طويلة، يحشرها الفيلم حشرا كأنها نوع من المعلومات في أي مكان كلما اتفق له ذلك، لتعرف ان الثرى ثابت وجدى الذى ينحدر من اصول متواضعة يبحث لنفسه عن جذور .. فيشترى قصرا لارستقراطي قديم، ويظل محتفظاً بمقتنيات القصر ليشعر بانتمائه لهذه الطبقة. الارستقراطية التى تحللت ولم يبق منها الا شخصيات مثل الفتاة لولا (سحر رامى) التى تعيش حياتها دون قيود، وتحاول ان تضفى السعادة على حياة ثابت وجدى- رمز الاثرياء الجدد- لكنه يرفض الخروج من قوقعته التى يلازمها منذ غرق ابنه الوحيد، وتراه يتشدق خلال الفيلم بعبارات متفلسفة عن العبث والنيرفانا، بما لا يمكن ان تصدق لحظة واحدة انه يصدر عنه. (وربما زادت وطأة هذا الحساس ذلك الافتعال الشديد فى اداء سامى العدل، منتج الفيلم)

من ناحية أخرى، فان حمامة (الذى بذل **محمود حميدة** جهدا فائقا لاضفاء الحيوية على شخصيته) يعيش يوما بيوم وينتقل بين مهنة و أخرى، ويدافع عن نفسه وحقه باستخدام مطوته التى لا تفارقه، ويجد متعته فى الذهاب بصحبة صديقاته الى دار السينما الشعبية، ويحفظ عن ظهر قلب مونولوجات «الاستاذ اسماعيل ياسين»، حتى انه يمتعنا باداء مونولوج «قل لى يا صاحب السعادة» كاملا، كما سوف يمتعنا فيما بعد بأغنية عبد الغنى السيد «وله ياوله»، مع رقص يسرا، بالاضافة الى اغنيات ورقصات اخرى فى اجزاء مختلفة من الفيلم، فتلك هى حياة الفقراء السعيدة كما يراها خيرى بشارة، والتى سوف يلوثها الثرى عندما يسرق منهم سعادتهم، أما عن فراولة فهى أرملة سابقة، نادرا ما تخلع ثياب الحداد، تكسب عيشها من بيع الزهور فى الشوارع، الا ان الفيلم يصورها دائما -فى نمطية ساذجة- وهى فى ملابسها السوداء (مع بنطلون بيجامة) ممسكة بباقة الزهور اينما ذهبت، الى دار السينما مع حمامة او عندما ترافقه الى قصر ثابت وجدى.

ان هذا التنميط يمتد الى أم حمامة (أمينة رزق)، بائعة الفجل سليطة اللسان، والتى لا تنفأ تعرب- فى كل المواقف حتى أكثرها حساسية وتوتراً- عن اعتراضها على زواج ابنها من ارملة. كذلك الصعلوك رزة (محمد لطفى) الذى لا يفيق من غيبوبة المخدرات، وقد يعتدى على حمامة أحيانا، لكنه يصبح فجأة «ابن بلد» شهماً يدافع عن «ابن حتته»، وان ظل فى الحالتين يتحدث فى هذيان الغائب عن الوعى.

وعبر «النمر» المتلاحقة سوف تقابل شخصيات مسطحة أخرى، خلال رحلة بحث الثرى عن السعادة، التى يطلب من الصعلوك حمامة ان يحققها له، مرة بأن يشترك الجميع -الثرى وصديقته لولا، وحمامة وأمه العجوز وفراولة- فى سرقة بنك، لأن الثرى يجد لذة أحيانا فى أن «يخرج بره دايرة التعليمات المحظورات» فيتفتق ذهن صناع الفيلم عن تنكر الجميع فى ثياب الرهبان، مما يخلق بعض النكات الغليظة، وبعد ان تتم السرقة يصارحهم الثرى بأنه يمتلك البنك!! مرة أخرى يقرر ثابت وجدى ان يتنكر هو وحمامة فى ثياب النساء ليجرب الاحساس بان يكون «الجنس الاخر» فيقبض عليهما كعاهرتين، ليتقابلا فى الحجز العاهرة جنات (ثناء يونس) التى تستطرد دون مناسبة فى مونولوج طويل عن اضطرارها لبيع جسدها: «على كل لون يا رجالة»، أهون عليا ابيع نفسى ولا أبيعش ولادى، يا ترى لما ها يكبروا هايعرفوا انا عملت كده ليه، واللاها يضربونى بالجزم هما كمان؟» ويتعلق احد المحامين الصغار (**علاء ولى الدين**) بحمامة المتنكر فى ثياب امرأة، ويتغزل فيه: «فيكى غموض وعينين حزينة، وفى نفس الوقت شقاوة، انا اول مرة افقد اتزانى. من أول نظرة وقعت فى هواكى»، مما يدفع حمامة للاعلان عن انه رجل، فماذا تنتظر من الشاب ان يقول؟ فلتسمع الحوار الذى وضعه السيناريو على لسانه، ولتحاول ان تسأل نفسك عن علاقته بالحدث: «شكلى دايما بيبوظ كل حاجة، مفيش اي علاقة بتكتمل مع الجنس الآخر معايا» !! فالعلاقة الوحيدة هى الاستغلال الفج لبدانة الممثل علاء ولى الدين.

وهكذا تستمر «النمر» شديدة السذاجة، فيطلب ثابت من فراولة ان تتنكر بدورها فى ثياب رجل، ويقنعها بأن تحاول ان توقع فى حبائلها امرأة عجز ثابت عن اصطيادها، أو يطلب من حمامة ان يذهبا الى الصحراء على شاطئ البحر حيث يتحدث عن رغبته في التخلص من اغراءات المادة، ويغرق سيارته الفارهة فى البحر فى أكثر مشاهد الفيلم اثارة للسخرية، حين استخدم خيرى بشارة الخدع التليفزيونية باسلوب ساذج، وهو يتصور ان ذلك سوف يثير اعجاب المتفرجين! وأخيرا فان الثرى يطلب من حمامة أن يرشح نفسه فى الانتخابات، لأن السعادة قد تكون هى السلطة، فيعيد لك الفيلم مشهد الانتخابات التقليدى وما تتوقعه من ردود حمامة المراوغة المختلفة فى سوقية- على طريقة- «المعلم رضا» على أسئلة الناس فى السياسة والاقتصاد، المهم ان يفضى كل ذلك الى انتزاع الثرى لفراولة، مما يدفع حمامة الى قتله فى



لقطة النهاية.

طريق الخروج من الأزمة

ان هذا التلفيق في احداث الفيلم يمتد الى شكله الفنى ، والاسلوب البصرى الذي اختاره خيرى بشارة فى محاولته لاضفاء بريق زائف على ذلك العالم الفنى شديد السذاجة والسطحية والافتعال ، فلا تدري لماذا استخدم اسلوب «الفلاش باك» فى مشهد واحد يحكى فيه حمامة عن احدى مغامراته حين اصطحب امرأة فى السينما ، مما عرضه لبعض المضايقات ، فصمم على ضرب كل الحاضرين على أنفيتهم انتقاما!! كما لا تدرى لماذا استعان بالفانتازيا فى مشهد واحد أخر يؤدى فيه حمامة مونولوج اسماعيل يس ، فترى على الشاشة مونتاجا متلاحقا يتبادل فيه الثرى والفقير وضعهما وثيابهما ، دون ان ينبئك ابدا من اي وجهة نظر تم تصوير هذه اللقطات ؛ وعبثا تحاول ان تجد معنى او سببا لاستخدام لقطات من العاب الفيديو يحشرها فى سياق بعض الاحداث ، دون أن تدرى من اين تأتى ، الا ان يكون تقليدا ممسوخا ، فى غير موضعه ، لبعض اساليب جودار فى التغريب ،(ولتقارن بين ذلك وبين الاستخدام الواقعى لمحمد خان للحيلة الفنية ذاتها فى «سوبر ماركت»)، أو استخدام لقطات تسجيلية ليست لها اي علاقة بأحداث الفيلم ، الا ان تكون وسيلة لدفع الملل عن تنفيذ بعض الاغنيات والرقصات ، وهى التوابل -كما يتصورها خيرى بشارة الضرورية لكى تحقق لتوليفة الفيلم النجاح.

لكن«التوليفة» هذه المرة حققت فشلا ، يزعم صناع الفيلم انه يعود لعرض «حرب الفراولة» فى مهرجان القاهرة السينمائى فى العام الماضى وخروجه بدون جائزة، مما اوحى للجمهور انه فيلم ضعيف لا يستحق المشاهدة ، لكن مصير «ديسكو ديسكو» الذى حصد أهم الجوائز فى مهرجان السينما الروائية ، بينما لم يستمر فى العرض الجماهيرى الا اياما معدودة ، يؤكد بطلان هذا الزعم وغرابته ، وان كان صناع «حرب الفراولة» صادقين مع انفسهم حقا ، فان عليهم ان يبحثوا عن الاسباب الحقيقية لهذا الفشل ، التى نراها جزءا من ازمة اعمق واشمل ، هى ازمة المثقف الذى تخلى عن دوره القديم واكتفى بأن يمضى مع التيار السائد ، حتى لو بدا وكأنه يعلن التمرد عليه ، بأن يغلسف الاخفاق والاستسلام لشروط الواقع القائم.



دون ان يبحث عن واقع ممكن جديد.

وكثيرا ما يردد خيرى بشارة ان افلامه قد تبدو اليوم غير مفهومة ، وانه سوف يتم تقديرها حق قدرها بعد سنوات (ولقد اصبح ذلك المبرر تقليديا نسمعه اليوم كثيرا فى ميادين الثقافة والسياسة) ، وربما كان هذا صحيحا من وجهة نظره، لكن الا يبدو الامر وكأنه يحتاج الي بعض المراجعة ، واذا كان -وهو الذى يتنبأ بالمستقبل- يرى الواقع الحاضر بما يحتمه عليه دوره كمثقف يحاول ان يكشف عن جوهر هذا الواقع ، وربما يكون خيرى بشارة قد تخلى عن بعض من نظراته الجمالية والسياسية السابقة ، لكن الاهم هو انه ما يزال ينظر الى العالم من خلال تصوراته عنه ، فالاثرياء الذين نراهم على الشاشة فى افلامه ينتمون الى عالم فيلليني «والحياة اللذيذة» أكثر من انتمائهم للواقع المصرى ، وفقراؤه بدورهم ليسوا الا مسوخا مشوهة ، لا تستحق ابدا ان تخرج من الجحور والشقوق التى تعيش فيها ، فهم ينضحون بالسوقية والابتذال ، ويتعرفون على بعضهم البعض بروائحهم القذرة الكريهة (!) ، لكنهم يرفضون ايضا تغيير هذه الروائح لأنها تعبر عن اصالتهم(!!) وهم يغنون ويرقصون ويتعاركون ويتبادلون البصقات فى استمتاع ، لكن الفيلم يحاول ان يثير فينا بعض التعاطف المفتعل معهم، من خلال مونولوجات متباكية على طريقة «كلنا اراجوزات لازم نوطى عشان ناخد على قفانا ونضرب تعظيم سلام للباشا كمان..» أو «كلنا خايبين ، نفضل نضحك على الفاضية والمليانة وفى الاخر نعيط».

ليس غريبا اذن ان ترى وسط شريحة كبيرة من المثقفين -ورؤيتهم للواقع لا تختلف كثيرا عن رؤية صناع فيلم«حرب الفراولة» -تلك الازمة الحقيقية التى تضرب بجذورها اليوم فى تبريراتهم التى يسوقونها لانفسهم للاستسلام والاذعان.

ولقد أصبحوا مجرد أدوات لقوى لا تريد لهذا الوطن أن يعبر ازمته ، فجعلت المثقفين جزءا من هذه الأزمة ، واذا كانت هناك بداية حقيقية للخروج منها فهى أن يعود المثقفون والفنانون للاحساس بخطورة رسالتهم ، وان يتخلوا عن قبول كل النظريات المصطنعة التى تبرر الواقع ولا ترى فيه امكانيات التغيير ، لكن الاهم هو أن يتخلوا أيضا عن تصوراتهم الجاهزة عن هذا الواقع ليقتربوا ويتعرفوا عليه ، فكما ان التاريخ لن ينتهى كما يتصور من صدقوا أصحاب التنظير للنظام العالمى الجديد المزعوم، فان داخل هذا الشعب طاقة هائلة على ان يكسب كل الحروب ، لكن من المؤكد انها ليست ابدا بالطريقة التى خسر بها خيرى بشارة «حرب الفراولة».

فى مهرجان نانت لدول القارات الثلاثة

التوزان السينمائى يختل لصالح آسيا..

والمكسيك تفوز بذهبية المهرجان

ماجدة موريس

رسالة نانت

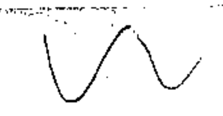
هل هناك سينما منفصلة عن الأرضاع السياسية فى مجتمعاتها؟
الاجابة بالنفى.

فالسينما مثل السياسة ... تتغير فيها موازين القوى وتتبدل لتصبح تعبيرا عن مجمل الوضع العام وحالة الازدهار أو الهبوط ، ليس على مستوى الدول فقط ولكن على مستوى القارات،وهو ما يتأكد منذ سنوات فى **مهرجان نانت السينمائى الدولى** لدول القارات الثلاث(أفريقيا- آسيا- وأمريكا الجنوبية).

فالمهرجان مهرجان اوروبى لسينما القارات التى تمثل ثقافات مختلفة، ومن أهدافه أن يقدم عرضا متوازنا لهذه الثقافات ، لكن ليس كل ما يتمناه المهرجان يتحقق حتى وهو يقدم هذه الخدمة والمساحة المفتوحة للسينما التى عادة ما تكون مجهولة من قبل جيرانها في نفس القارة، فنحن هنا في مصر لا نعرف إلا القليل عن السينما الافريقية، وهم كذلك فى آسيا الخ.. ومن هنا تأتى أهمية هذا المهرجان وقضيته معا .. فضيوفه لا يعرفون بعضهم البعض إلا قليلا ، بالاضافة الي انهم فى عالم غير مستقر ، وهكذا يصبح المهرجان وكأنه



الراس
سنفرليا



ميزان للاهتمام بالسينما في القارات الثلاث التي تضم دول العالم الثالث تقريباً.

وأول الظواهر تقدم قارة آسيا، وبروز بلاد لم يكن لها ذكر على ساحة السينما لسنوات قليلة مضت وليكون المهرجان أبلغ تعبير عن «النهوض» الاسيوى و «القعود» الافريقى - اذا استثنينا مصر وشمال افريقيا (**تونس والجزائر والمغرب**)، ولكن حتى هذه الدول الشهيرة بأنها تصنع السينما فى افريقيا أصبحت حالتها صعبة بالمقارنة بالنمور الآسيوية السينمائية **تايوان وهونج كونج وكوريا الجنوبية وفيتنام** بالاضافة للصين واليابان وحتى اندونيسيا بدأت تتواجد مع استمرار التواجد السينمائى الهندى **والإيرانى** القديم.

ويضاف الى ذلك ابواب جديدة تفتح من خلال المنظور الاسيوى لسينمائيين مبدعين كانوا حتى سنوات قليلة ضمن جمهوريات الاتحاد السوفيتى العملاق، والآن أصبحوا ينتمون إلى جمهوريات جديدة، آسيوية، **مثل كازاكستان، آذربيجان، طاجيكستان ومنغوليا**.

ومن هنا أصبح صعبا إقامة توازن بين كل هؤلاء وبين السينمائيين الافريقيين الذين لم ينتموا طوال عام ١٩٩٤ إلا ثلاثة افلام، عرض أثنان منهم(المهاجر) ليوسف شاهين، و(صمت القصور) لمفيدة تلاتلى فى مهرجانات عديدة ثم ذهبا الى نانت بالطبع بعيدا عن المسابقة بالاضافة لفيلم من **ساحل العاج** بعنوان(**واريكو**)وفيلم من **غينيا بيساو** بعنوان (**اكزيم** XiME) وهذا هو كل حصاد السينما الافريقية فى عام كامل، ثلاثة افلام، ففيلم ساحل العاج ينتمى للعام الماضى. ومن هنا **لم يكن غريبا ان تخلو المسابقة** الرسمية للمهرجان من فيلم افريقى وان تضم ١١ فيلما ٩ منها آسيوية واثنين من أمريكا الجنوبية، وأن يقدر المهرجان هذا فيختار فيلم (المهاجر) ضمن عروضه الرسمية، خارج المسابقة، فى حفل الختام. أما بقية الأفلام الرسمية السبعة -خارج المسابقة من ضمنها فيلمان من تايوان وفيلم لكل من أندونيسا **وايران واليابان** وفيلم من **البرازيل** حتى تكتمل القارات الثلاث فى (الاختيارالرسمى).. بينما تم وضع الفيلمين الافريقيين (**واريكو**) و(**اكزيم**) ضمن البرنامج الاعلامى الذى ضم عشرة أفلام سبعة منها اسيوية، بينها اربعة عربية هى(**بيروت يا بيروت**) **لمارون بغدادى** و(**حتى اشعار آخر**) **لرشيد مشهراوى** من **فلسطين** و(**صهيل الجهات**) **لماهر كدو** و(**كومبارس**) **لنبيل المالح** من **سوريا**، وهذه الافلام الثلاثة الأخيرة انتاج العام الماضى واصحابها لم يقدموا افلاماً جديدة هذا العام بل أن السينما السورية كلها انتجت فيلما واحدا عرضه مهرجان القاهرة فى دورته الأخيرة وهو (آه يا بحر) للمخرج محمد شاهين..

سينما من منغوليا والفلبين

استمر المهرجان فى هذه الدورة- التى اقيمت فى الفترة من ٢٢- ٣٠ نوفمبر، وهى دورته السادسة عشرة فى الكشف عن السينما المجهولة، وفى تكريم السينمائيين من العالم الثالث. فقدم برنامج استرجاعى (**ريتروسبكتيف**) عن **السينما المنغولية** ضم افلاما هامة تكشف عن التطور الاجتماعى والصراع بين الجديد والقديم فى هذه الدولة التى لا نكاد نعرف عنها شيئا، وأيضا قدم المهرجان برنامجاً خاصاً للسينما **الفلبينية**الحديثة (١٩٧٧ -١٩٩٤) تضمن رؤية أخرى للصراع الاجتماعى فى نهايات القرن العشرين فى هذه الدولة الاسيوية التى لا تعرف عنها الا مفردات قليلة بالاضافة لقصة **اميلدا ماركوس وكورازون اكينو**

العالم أصبح مسخره..

وفى منظور التكريم، اختار المهرجان مرحلة سينمائية كاملة عاشتها السينما المحلية **البرازيلية** منذ منتصف الاربعينات الى نهاية الخمسينات وسميت هناك بمرحلة «**الشانشادا**».. وتعود جذورها الى الاحتفالات الكرنفالية الشعبية البرازيلية الشهيرة، بما تتضمنه من رقص السامبا المحلية واشكال التعبير الارستقراطية **المختلفة**، والتى تطورت على يد **عديد من** السينمائيين ووجدت منفذاً لها **من خلال فن** السينما، وتحولت إلى أعمال درامية تتضمن الكثير من الكوميديا والمواقف الساخرة والرقص والغناء، خاصة على يد المع مخرجيها ،واتسون **ماسيدو** الذى قدم له المهرجان ٣ أفلام منها فيلمه (**العالم أصبح مسخره**) الذي اخرجه عام ١٩٤٨ ضمن ١٥ فيلما تمثل هذه المرحلة أختتمت بفيلم المخرج الشهير **كارلوس مانجا** (رجل السبوتيك) الذى صنع ليسخر من القوى العظمى فى اواخر الخمسينات امريكا والاتحاد السوفيتى. وبالاضافة لمانجا وماسيد وضم البرنامج افلاماً لافضل مخرجى هذه المرحلة مثل **جوزيه كارلوس بيريل وادولفوسيلى وجوزيف بوجوسلاماتانكو**.

والبرنامج الاخير، وهو تكريمى ايضا، كان للمنتج التونسى الاشهر الآن **أحمد عقبه** الذى أنتج على مدى السنوات **العشر** الماضية عدداً من أهم الافلام العربية مثل **ثلاثية نورى بوزيد (ريح السد)**و(**صفائح من ذهب**) و(**بزنس**)**وللفريد برجدير فيلمه (الحلفاوين) ولمنصف ذويبى(يا سلطان المدينة)**.بالاضافة لفيلم عن حرب الخليج عام ١٩٩٢ شارك فى اخراجه مخرجون عرب والفيلم الاخير (صمت القصور) لمفيدة تلاتلى.

الجزيرة المضيئة

بين أفلام المسابقة تميزت الافلام القادمة من امريكا الجنوبية -وهما فيلمان من **المكسيك وشيلى** بمستوى فنى عال لم

جرتتان .. المكسيك



بخاديها فيد الا فيلم من كوريا الجنوبية (الجزيرة المضيئة) للمخرج «بارك كوانج سو» الذى يعرف جيدا كيف يسيطر على ادواته وعلى ممثليه ، ويقدم الفيلم دراما ملحمية عن فترة سبقت الحرب الكورية التى انتهت بالتقسيم الى كوريتين . ومكان الاحداث فى جزيرة صغيرة قليلة السكان يعرفون بعضا ويتكاتفون فى تدبير امور المعيشة ويحلون ازماتهم معا ، الجزيرة اسمها كويسونج والاحداث تبدأ فى الفيلم منذ اللحظة التى يعود فيها اليها العجوز «مون -ديك- با» وقد شعر بأنه موشك على النهاية ، وبالفعل يموت وسط اهله فى احتفالية تحققت فيها امنيته الاخيرة ، وهى اطلاق رفاته بعد حرق الجثة فى هواء الجزيرة ، ولكن الامر لا ينتهى بسهولة ، فرفاقه القدامى يتذكرون فى الأيام الخوالى ، وخاصة كيم ثول الشاعر المولود مثله فى الجزيرة والذى تتدفق ذكرياته لتلتحم بذاكرة ابن المتوفى الشاب مون -شاركو ، فيتذكر طفولته ووفاة أخته وأصابة أمه بمس عقلى بعدها وفشل علاجها ثم عودتها لتمضى ايامها هائمة. وتصل إلى الجزيرة فى ذلك الحين فرق الشيوعيين لتعلن عن الحكم الجديد وتتغير الحياة فى الجزيرة فقد جاء «الرفاق» بتقسيمات للبشر لم تكن معروفة من قبل ويحمل الفيلم فى جزئه هذا ادانة للشيوعيين بشكل اقل فنية وأكثر مباشرة ويحمل اسلوبه منذ البداية ولكنها ادانة الشكل والتنظيم العسكرى للحياة المدنية يرفضه كل البشر فى عمومهم لأنه قائم على فكرة «أهل الثقة» ومبدأ الاختيار بلا اي منطق سوى «الشكل» والهيمنة .. وكلها أمور يرفضها كل البشر الاسوياء بالطبع.

تامير يدفع الثمن

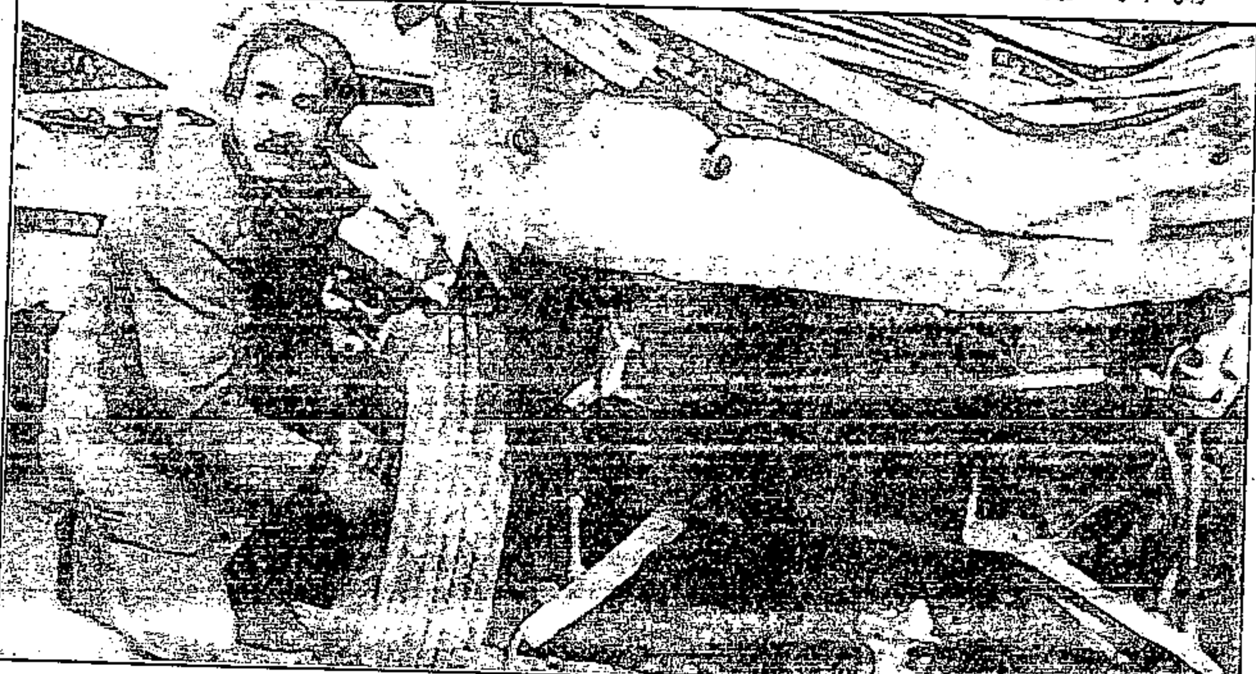
ويطرح الفيلم المنغولى (الداس) قصة الشاب تامير الذي يترك الحياة المتقشفة مع جده فى صحراء منغوليا الى العاصمة ، حيث يتم اختياره ضمن الفريق القوى للملاكمة. لكن تامير يسقط فى اختبار الجنس الاخر ويقع في شباك فتاة لعوب امريكية الاسلوب والملبس ، يتضح له فيما بعد انها سارالجوا إبنه مدربه الذى لا يعلم بالعلاقة ، والذى يلاحظ فى الوقت نفسه تدهور مستوى هذا الشاب الجبلى القوى الذى كان أمله فى بطولة العالم القادمة ، ويقدم الفيلم ضمن هذه القصة الجو الاجتماعى والمناخ الذى يتكرر فى كثير من دول العالم الثالث الآن حيث تسعى نسبة غير قليلة من الشباب للحياة على الطريقة الغربية،وحيث تجنى طبقة«البكرات» واصحاب النفوذ والمناصب العليا مكاسب وعمولات هائلة تضعها فوق الجميع ، ويدفع الثمن فى النهاية الشاب الذى لا يحميه احد فيحمل وحده جريمة قتل قام بها اخرون من ابناء تلك الطبقة ويدخل السجن ، ويصبح دمه معلقا في رقبة المجتمع والفتاة والاب الذى علم ولم يستطيع ان يقول الحقيقة خوفا من مواجهة الطوفان والغرق!

انه فيلم يكشف منغوليا التسعينات التى اختلفت كثيرا عن منغوليا العشرينات والثلاثينات كما قدمها البرنامج الاسترجاعى الذى ذكرناه فى البداية.

البحث عن سفاح قديم

يأتى فيلم شيلى (أمنسيا) ليقدم دراما عميقة عن الحرب التى لا تنتهى اثارها داخل النفس البشرية ولو اعتقد البعض غير ذلك ، ففى لحظة ما تخيل الى راميرز الكاتب وهو عائد مع زوجته الى المنزل انه رأى رجلا يعرفه ، ويقفز من الاتوبيس وراءه ويتابعه حتى يختفى ، ولكن راميرز لا يهدأ فقد كان شبح الرجل- واسمه زينيكا يطارده لمدة ربع قرن كامل منذ كانا يعملان معا فى احد معسكرات الاعتقال ، وكان هو يقضى مرحلة تجنيده بينما كان الاخر ضابطا ، لقب سفاح المعسكر لشدة قسوته .. وتعود الذاكرة براميرز -فى فلاش باك طويل- الى سلوك زينيكا وتصل الى مشهد يأمر فيه راميرز باطلاق النار عشوائيا على بعض المعتقلين لكنه يرفض ، وعندئذ ينفذ زينيكا القتل ، ويعاقبه ويكتشف راميرز بعدها ان احد الموتى لم يمت فيتركه حيا ، ويظل يتذكر تلك

رجل عهدان... ايران



المرحلة حتى يقابل ذلك الميت الحي فيقرر البحث عن السفاح الذى كان مختبئا وفى نهاية الفيلم يجتمع السفاح والمجند القديم الذى يفاجئه بالرجل الثالث قائلا ان لديه امانة قديمة تجاهه ويدرك السفاح ان ضحيته وسيقتله .. لكن راموز يقترح عليه ان يتركه حرا طليقا فهو لن يرى النوم بعدها وسوف يعيش بقية ايامه ينتظر انتقام بقية الضحايا . والفيلم من اخراج جونزالو جوستنيانو.

وفى الفيلم الايرانى (رجل من عبدان) للمخرج كيانوس ياياري رؤية لغموض الحياة فى ايران من خلال قصة لاجئ حرب من ميناء عبدان يعيش فى طهران بعد ان باع كل ما يملك ولم يعد يملك الا سيارته يؤجرها هو وابنه ، لكنها تسرق ذات يوم ، وبعد بحث طويل عنها فى كل اماكن طهران وخراباتها يقابل رجلا يتوسط له فى مقابلة سارق سيارته .. ويكون على الرجل ان يحاول استردادها ، وان يدفع تعويضا للسارق.



الجزيرة المدهشة

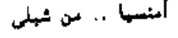
جريمتان لمواطن واحد

ويعبر الفيلم المكسيكى (جريمتان لرجل واحد) عن وجهة نظر مخرجه ومؤلفه روبرتو شنيدر فى الصراع الاجتماعى الآن فى المكسيك ، والذى تنحدر فيه الطبقة الثرية الى ادنى المستويات بسبب الجشع ومحاولة امتلاك المال والقوة ، بينما تدفع الطبقة الوسطي الثمن مكررا ، وهى رؤية عبر عنها فيلم مكسيكى آخر للمخرج ارتورو ريشتين مأخوذ عن رواية لنجيب محفوظ (بداية ونهاية)، وقد عرض في نانت فى العام الماضى ، وحصل على ثلاثة جوائز بالاضافة لحصوله على الجائزة الكبرى لمهرجان سان سباستيان السينمائى الدولى عن نفس العام.

فيلم (جريمتان) يمتاز بالمقدمة الحرفية العالية من مخرجه الشاب وبالمقدرة على استخدام الضوء والظل فى لقطات درامية أشبه باللوحات الفنية المعبرة عن الواقع والرمز معا. وعناصر المأساة فيه برغم واقعيتها تبدو كما لو كانت قدرية فالانفلات من قبضة الفقر والظروف الاجتماعية المحيطة وتآمر الاغنياء هى عناصر اساسية فى هذه الدراما ، تماثل تماما دراما (بداية ونهاية) المكسيكية.

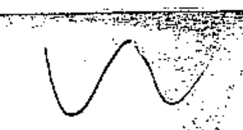
بطل الفيلم مهندس ديكور شاب يتهم بجريمة قتل لم يرتكبها فى المؤسسة التى يعمل بها ويعانى الاضطهاد من رؤسائه لأنه غير ممتثل لهم، وعندما يهرب من العاصمة لاجئا الى عمه الذى لم يره منذ سنوات طويلة، يكتشف منذ اللحظة الاولى ان عمه العجوز شبه معتقل ومحاصر من زوجته وصديقتها وأبنائه ، والجميع يسعى للخلاص منه ليرثه. ودخوله فى هذا الاطار يفسد «الجو» فتتوالى الجرائم حوله لازاحته ثم ازاحتهما معا بأشكال عديدة مبتكرة الي ان يقتل العم بالفعل ويكون الاتهام من نصيبه للمرة الثانية ، لكن من اتهمه يسعى بعد ذلك لاطلاق سراحه بعد اكتشافهم ان العم ترك كل ثروته له.

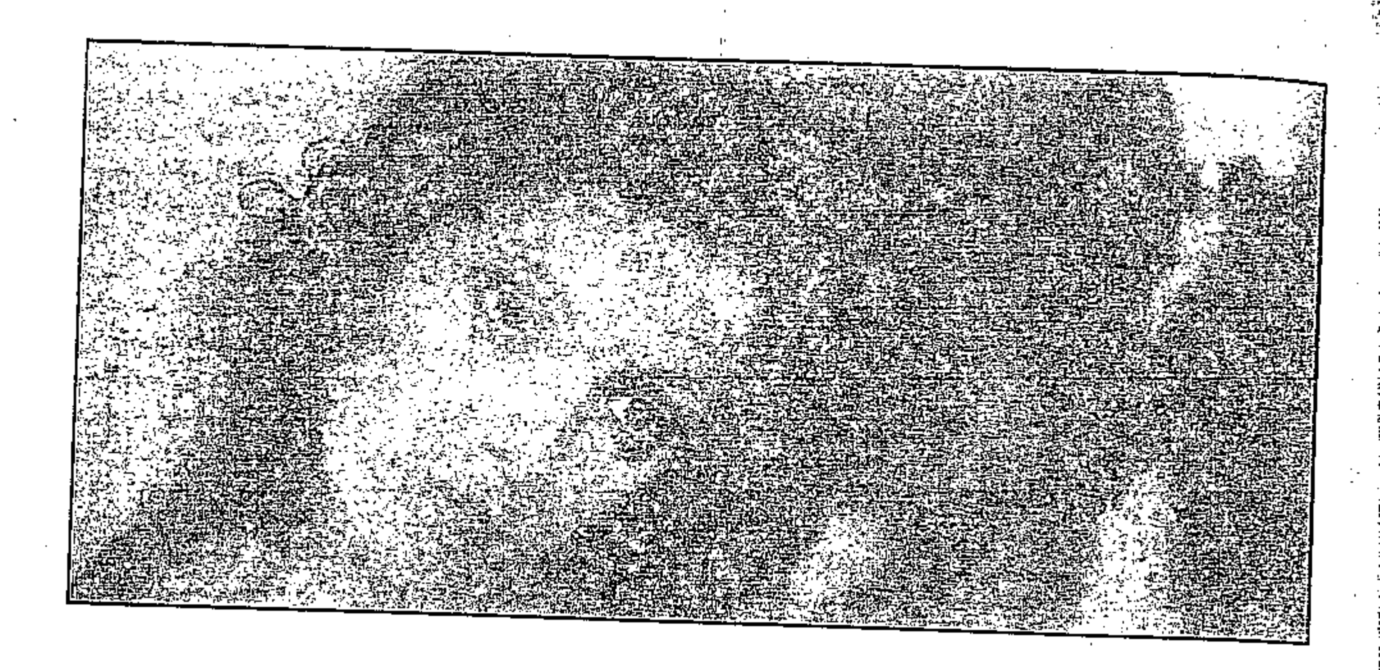
الفيلم عن رواية للكاتب المكسيكى جورج ابرجوانجوتيا .وقد حصل على الجائزة الاولى فى المسابقة الرسمية هذا العام.



أمنسيا .. من شيلي







باب الواد.. حومه
فيلم عن الأزمة الجزائرية

مجاهد العمري

أن تصور فى شوارع الجزائر اليوم فيلما عن التطرف والمتطرفين ، وان يكون التصوير فى الشارع بعيدا عن الاستديوهات وديكوراتها ، وان يكون الشارع فى حى «باب الواد» معقل جبهة الانقاذ فى قلب العاصمة ، لا شك انه فى حد ذاته مغامرة تضيف لفيلم **مرزاق علواش الجديد (باب الواد .. حومه)** أهمية خاصة ، وتفسر الى حد بعيد النجاح الذى يلاقيه الفيلم فى صالات العرض الفرنسية - من جانب العرب والفرنسيين على حد سواء -وهو نجاح نادر ان يلاقيه فيلم عربى لدى عرضه جماهيرياً.

باب الواد .. حومه هو فيلم مرزاق علواش الخامس ، قدم من قبله اربعة افلام روائية اشهرها **(عمر قتلتو الرجولة)** عام ١٩٧٦. والفيلم حائز على جائزة النقاد الدولية فى كان ١٩٩٤ ، وعلى جائزة احسن فيلم فى بينالى السينما العربية عن العالم العربى منذ عدة أشهر ، وما بين **(شجاعة التناول)** على حد تعبير جريدة لوموند ، و**«تبرير مسئولية المثقفين -الذين يمثلهم المخرج -عن الازمة)** فى رأى ناقد من اصل عربى بجريدة **ليبراسيون**، يقدم مرزاق علواش شهادته عن أيام الجزائر الحالية.

(باب الواد.. حومه) حى شعبى ، تستغرق اللقطات الاولى ازقته وحواريه، واسطح منازله يملأها صياح الاطفال وحبال الغسيل ، ومن بعيد يطل البحر بصخوره المربعة مضيئا للحى المنغلق على فقره وآلامه واحلامه ، امتدادا الى خارج الحدود حيث احلام الهجرة التى تداعب خيال الجميع حتى افراد (المجموعة) المتطرفة وقائدها سعيد.

يختار **مرزاق علواش الشكل الدائرى لفيلمه** ، فهو يبدأ من **«يامنة» الفتاة الجميلة** تكتب خطابا **لبوعلام الغائب** . **ينتهى الفيلم** ايضا بنفس المشهد وهى تنهى خطابها . **ومن** خلال فلاش باك طويل يسرد بنا علواش

لحكاية برعلام ررحيله.

«رحلت بوعـلام وتركـتنا تركت باب الواد الحياة كما هى . وان كانت تسهر على ايقاع منع التجول ، الخوف اصبح جزءا من اليوم العادى نصحو معه ، نعايشه حتى تنام فى المساء ، فقط .. لو لم تكن قد فعلت ما فعلت..»

بكلمات يامنة هذه يروى الفيلم ما فعله بوعلام وكيف يمكن ان يكتسب فعل بسيط فى ظرف خـــاص دلالات تخـــرج عن ارادة (الفاعل) وتحول مجرى حياته لتفرض عليه حياة أخرى لم يختـرها، وهى بلا شك اقصى درجات الارهاب ، فبوعلام عامل مخبز بسيط ، يضطره عمله السهر طوال الليل والنوم طوال النهـار ، ولكنه لا يسـتطيع النوم فى هدوء وعـلامـات الارهاق والتـعب تملأ وجـهـه حتى جعلت منه على حد قول صـديقه (السمين جدا) : وكـأنك الميت الحى» تتـابع الكاميرا بوعلام وهو قلق يحاول النوم يمنعه صـوت عال ، يحاصـره انه مكبر الصوت التابع للجامع والمثبت على سطح المنزل فى مواجهة حجرته مبـاشـرة ، وفى ثورة من الغـضب ، يتجه بوعلام الى مكبر الصوت وينزعه بغضب شـديد ليرمـيـه فى البـحـر ، ومن هنا تبـدأ متاعبه (عبثية الحدث تعيد الى الذهن عادل امام فى الارهاب والكباب).

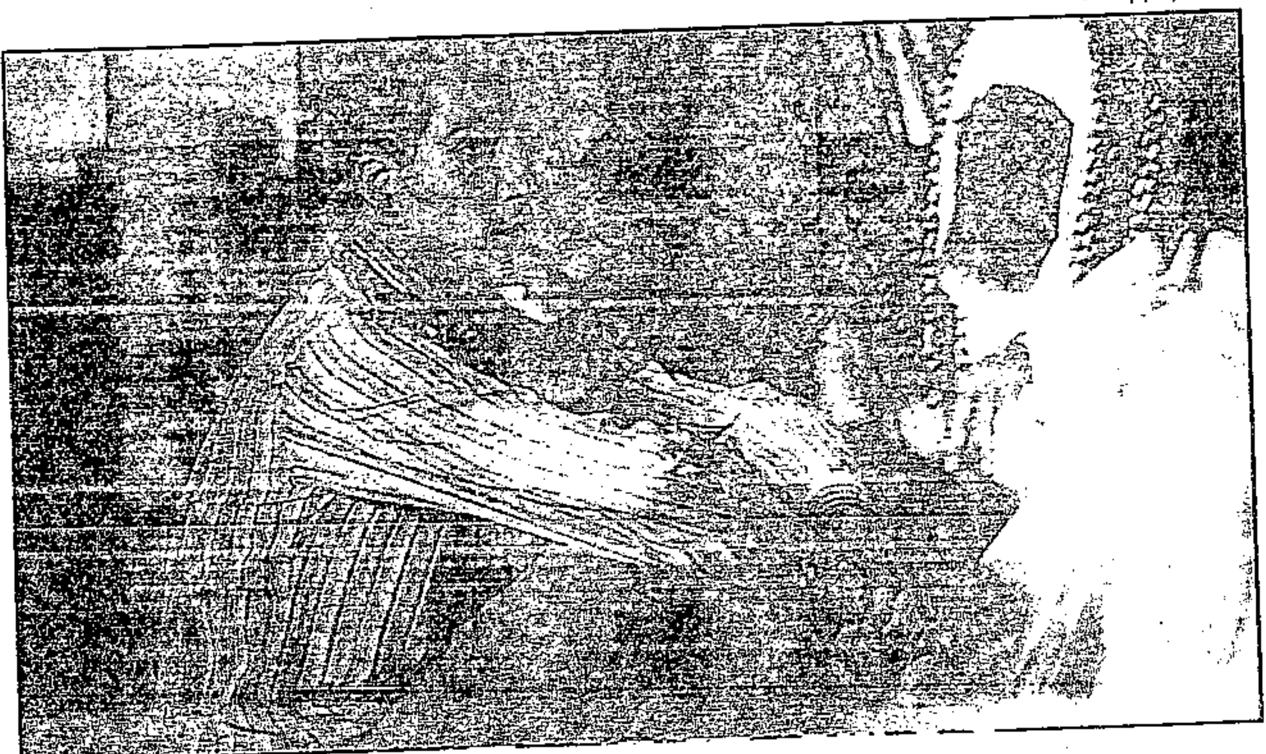
وتبـدأ (المجموعة) بقـيـادة «سعيد» الذى هو أيضـا أخو «يامنة» فى البحث عن (سـارق الميكروفـون) و (عـدو كلام الله) للتـصـاص منه ، ويكتم بوعلام سره بينمـا تدور الكامـيـرا لترصـد ايقاع الحيـاة اليـومـيـة بتـفـاصيلها ، فى ايقاع بطئ وفى لقطات تـقـرير جـعلت من الفـيلم اشـبـه بالريبورتاج التسجيلى ، ولا شك ان سلسلة الافلام التسجيلية التى أنتجها المخرج بعنوان (الجزائر ما بعد ١٩٨٨) كان لها تأثيرها على الاسلوب الذى، اختاره فى فيلمه الروائى.

الشـخصيات فى معظمها بدون مقدمات ، او حتى اسماء، نتابع (السمين) تاجر البضائع المهربة ، و(المهاجر) الشاب الذى ولد بفرنسا وشاء حظه في زيارة له للجزائر ان يضيع جواز سفره فيجد نفسه حبيسا لباب الواد ، ولا يجد مفرا من الانضـمـام الى (المجـمـوعـة) . ثم (العـنيـف) الـذى يعـــــانى من (عقدة الشيوعيين) ، فـلا يكف عن رواية مـآثره فى القضاء عليهم الواحد تلو الآخر . وفى الازمة ، شباب يمضى وقته فى اركان الشارع ، فالبطالة مرتفعة ، والملل يبدو على الوجوه ، والبعض يتزلق الى الادمان ، تصاحبه جلسات طويلة أمام البحر على ايقاعات الراى والغناء الشعبى.

ثم عـالم المرأة المنفـصل «فملواش» لا يقـدم لنا المرأة الجزائرية- باسـتـثنـاء لقطات نادرة ليامنة فى معظمها- الا فى مجموعات ، وكأن المجتمع الذى يلفظها ويعلمها يأبى الا ان يحـاصـرها حـتى فى لحظاتها الخاصة جدا (كمشهد استحمام الفتاة مثلا وتركها الباب مفتوحا لتدخل النسـاء) ، ولكنه فى الوقت نفـسـه حـصـار زائف. فالحوارات تدور حول اخر قصص الحب، وفيلم البارحة على احدى قنوات التليفزيون الاوروبيـة التى تلتـقطها اجـهـزة الدش التى تمتـلأ بهـا سـمـاء الحى ، وذلك المشـهـد الذى احتضن فيه البطل البطلة..»

ثم يرى احد افراد (المجموعة) يامنة مع بوعلام فى مقبرة الفرنسيس ، ويستمع الى كلمات الحب المتبادلة بين الشابين ، وايضا الى اعتراف بوعلام بانه سارق الميكروفون .، وتبدأ المطاردة ، أولا لدى صاحب العمل الذى يضطر أمام تهديد المجموعة الى فصل بوعلام . ثم فى منزله .ويظل مشهد تلقى بوعلام لكنه فى البريد علامة فى فيلم عمواش ، فى اداء

برعلام أمام المسجد



شديد البساطة فى الحركة والحوار ودون انفعال أو خطابة -آفة افلامنا العربية المستديمة.

وبالفعل يرحل بوعلام تاركا باب الواد ، وينتهى الفيلم مع صورة يامنة وهى تواصل كتابة برمياتها الى الغائب : **أكتب اليك هذه الخطابات واحتفظ بها حتى** تعود ، فا انا لا أعلم أين ذهبت».

الأشياء .. بديلا للشخصيات

الاشياء اكتسبت فى الفيلم أهمية خاصة ، فالشخصيات تقدم من خلال اشيائها فى علاقة عضوية ، لا ينفصل فيها الواحد عن الاخر **(فالسمين) حبيس جهاز (الووكمان)** لايفارقه ابدا ، يفصله عما يدور حوله ، والكتاب والشباك المغلق والاسطوانة ، وزجاجة النبيذ تصاحب (المرأة التى لا تخرج ابدا)الفتاة التى عاشت أحلام الاستقلال الاولى وانتهت باعتقالها. واخيرا اتت الى باب الواد تلفظ المجتمع ويلفظها ، والحجاب ليامنة تخلعه ثم تضعه ، يلفها ويجعل حياتها تنحصر ما بين الزواج او (الجامع والحمام) و قطع البيتزا، يصنعها صاحب المخبز ، ليروى امامهاذكرياته عن أيام الفرنسيين بسهراتها الممتعة ، والفرنسية العجوز العمياء العائدة لباب الواد فى زيارة تستعيد فيها ذكريات شبابها. يصاحبها ابن اخيها الشاب ، يحاول ان ينسج اكاذيب عن الشاطئ الجميل ، والشوارع النظيفة والناس السعداء ، ولكنها تقاطعه بعد فترة فى شك وريبة : «ولكننى لا اشم الا رائحة المجارى» ، والميكروفون يكتسب نفس الاهمية ، فالكلمات تخرج منه تحاصر بوعلام بقوة حتى فى احلامه.



"المجموعة" تقوم بتركيب مكبر صوت آخر

موضوعية .. مثيرة للجدل

رؤية علواش تثير الجدل فى أكثر من موضع ، **فالفيلم لايدين** ، او يدين **الجميع** ، هكذا اراد ان تكون شهادته : **كلنا مسؤولون ، وكلنا ضحايا البطالة** ، التقاليد، النظام ، او حتى اطراف غامضة تلعب ادوارا مشبوهة (مثلها العربة الفارهة التى تراها من حين لآخر مع «سعيد» ، يمدد اصحابها بالسلاح والتعليمات ، احلام الهجرة المجهضة ، الفقر ، غياب الدولة .

فلا نرى طوال الفيلم رمزا واحدا يشير إليها ، فلا شرطى واحد والقانون هو قانون (الجماعة).

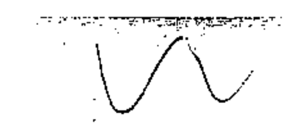
والواقع ايضا معقد ، فالتطرف تصاحبه مشاهد احتساء البيرة والاحاديث الدينية ، عبر مكبر الصوت تختلط بالاحاديث عن الحب والنساء.

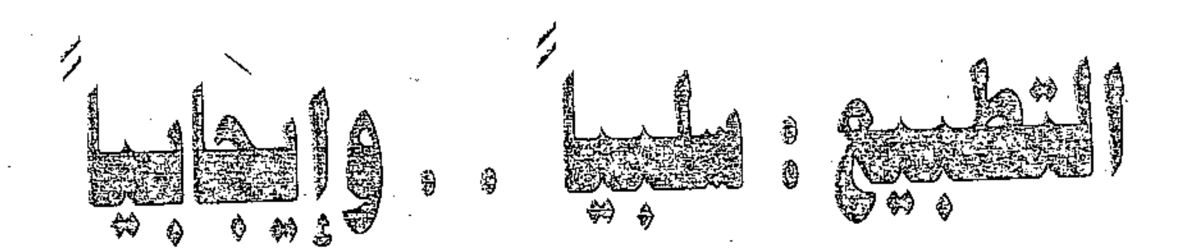
حتى افراد (المجموعة) لا نملك الا ان نتعاطف معهم «فسعيد» ، تتقاطع المشاهد التى يحنو فيها على (المهاجر) فكان صديقه الوحيد فى سخريته ، مع مشاهد العنف تجاه اخته يامنة ، وينتهى «سعيد» مقتولا دون ان ندرى كيف ولماذا او من الذى قتله.

وفى بحثه عن (الموضوعية) كما يقول علواش ذاته ، فاد مرفقه فأتى باب الواد فيلما هادئا ، واضافت لغته التقريرية مزيدا من الهدوء ، فجعلت المشاهد يرى **الفيلم وكأنه يتابع اليوم صور ، دون ان تكون كل منها إضافة إلى الاخرى** .

وهو ما اثر على لغة الفيلم السينمائية ، فتراجعت أدواته أمام الحوار.

ويبقى أن امتلاء صالات العرض بالمشاهدين الفرنسيين وهى ظاهرة غريبة على أفلام العالم الثالث بشكل عام دلالة على **تعطش لفهم ما يحدث فى الجزائر** ، وهو ما يحسب فى نهاية **الأمر لعلواش** ويجعل من الفيلم شهادة على شجاعة مخرج ويغفر له «موضوعيته».







أبذل فى السنوات الأخيرة جهدا خارقا فى محاولة زرع بذور التوافق بينى وبين نظام الحكم. لقد اضعت عمرى فى «المناقرة» و«المشاجرة» مع نظم الحكم المختلفة من فاروق الى عبد الناصر الى السادات الي مبارك ولذا فقد اقنعت نفسى مؤخرا بان الخلافات بينى وبين هذه النظم هى مجرد خلافات نفسية وانه آن الأوان ان «اهمد» وأن أتوقف عن هذا «التناطح».

ولقد حققت فى هذا المجال (زرع بذور الانسجام) انجازات رائعة، ثم اكتشفت اننى لم اكن وحدى فى هذا الميدان، فاذا كانت انجازاتى سلبية، بمعنى تحقيق القبول لما هو موجود، فان صديقى د. حسن على قد حقق نجاحات ايجابية متفرقة.

وبالنسبة لى، فقد عودت نفسى أن أتقبل بهدوء مقولات السيد الوزير بأننا نعيش «أروع أيام الديمقراطية» وأننا أكثر تقدما من أكبر البلاد المتقدمة وأرقام النظام عن مدى الرخاء والعظمة التى نعيشها.

كما اعتدت ان اسرح فى سماحة ومودة وبدون غضب كلما شاهدت السيد المذيع المتأنق فى كلامه والمتألق فى نفاقه وهو يناقش فى لباقة مصطنعة محاوريه من رؤساء تحرير الصحف القومية موضحا ومؤكدا اننا نعيش امجادا تاريخية لم نعشها من قبل.

كما عودت نفسى ان ابتسم فى سعادة بلهاء كلما سمعت السيدة مذيعة التليفزيون المزوقة الشعر والجفون تدعو «اعزائى كل افراد الاسرة فى كل مكان وزمان» لكى يلتف هواة المسلسلات الاجنبية او نط الحبل أو الفرجة على السخافات حول التليفزيون «لنسعد معا (٢٤٢) باقة من الورد والزهور .. الخ.

ولم اعد اتساءل عن الحكمة فى تعيين س-(من الناس) -وكل مؤهلاته هى المقدرة الفائقة على التملق الرخيص- رئيسا لمجلس ادارة صحيفة قومية فيصدر منها العديد من النشرات التى لا يقراها أحد والتى تتسبب فى خسارات مالية فادحة تغطيها الدولة، وذلك فى بلد انجبت احمد بهاء الدين ومحمد حسنين هيكل وفتحى غانم وكامل زهيرى وصلاح حافظ وصلاح الدين حافظ وسلامة أحمد سلامة ومحفوظ الانصارى ومصطفى نبيل وعادل حمودة.

كما عودت نفسى على أن أتقبل بصدر رحب خطب وبيانات السيد وزير الزراعة عن امجاد وزارته فى ميادين القطن والارز -بعد ان تنازل مؤخرا عن امجاده فى ميادين الخيار والكانتالوب والفراولة.

واصبحت اقرأ بسرور خطب السيد الدكتور فتحى سرور بعد أن نزل فى ديمقراطية لم يسبق لها مثيل من كرسى رئاسة المجلس الى صفوف الاعضاء، ليهاجم هادرا بضراوة القوانين سيئة السمعة التى سبق أن وضعها زملاؤه ترزية القوانين فى حزبه (ولعله قد بذل فيها مجهودا ضئيلا أهله لما هو فيه) وذلك بعد أن أيدها عندما صدرت وسكت عنها حتى عدلها الرئيس، ناسيا مجرد ذكر الصحف التى اغلقت والاحزاب التى اوقفت والوطنيين الذين اعتقلوا لمحاربتهم لهذه القوانين.

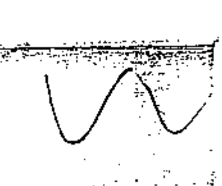
وكتمت نفسى عن التساؤل عن الحكمة فى وضع هؤلاء الناس فى مناصبهم، فالقيادة السياسية تنبئنا دائما بأنها تمسك بكافة الخيوط وتعرف كافة الاسرار ولابد ان لديها دوافع هامة (وان كنا لا نعرفها) لوضع هؤلاء الناس فى مراكزهم القيادية.

عودت نفسى على ذلك وعملت بالحكمة الامريكية (لاحظ التطبيع) التى تقول «اذا لم تجد ما تحب فلتحب ما تجده»، وهكذا تعلمت أن أحب السيدة المذيعة والسيد المذيع والسيد الوزير.. الخ

ولكن نجاحى فى مجالات التطبيع السلبى لا يقارن بامجاد صديقى د. حسن على فى مجالات التطبيع الايجابى:

فصديقى- وهو جراح كبير- قد افادنى بأنه قد تنازل حسب تعليمات الحكومة تنازلا تاما عما يطلق عليه اسم «العقد الاجتماعى» لأنه (أى العقد) قد أصبح «موضة قديمة» من ايام الحكم الشمولى علاوة على أنه لا يتفق مع عاداتنا وتقاليدنا وبذا يمثل غزواً ثقافيا.

والعقد الاجتماعى الذى كتبه جان جاك روسو (١٧١٢ -١٧٧٨) ينص على ان



يتنازل كل فرد في الدولة عن كثير من الحقوق(حق زراعة ما يشاء من ارض -حق الانتقال حينما يريد-حق الدفاع عن نفسه بالطريقة التي يراها- حق عدم دفع الضرائب .. الخ) مقابل حقوق جديدة تمنحها له حكومة تعبر عن رغبة جماعية Volonte General ولقد تقدمت واتسعت هذه الحقوق حتى أصبحت تشمل الصحة والتعليم وفرص العمل والامن والكرامة وحرية العبادة .. الخ.

لقد طبع صديقي علاقته بالدولة بالتنازل عن كافة حقوقه والاستغناء عنها.

«الحلول الذاتية يا سيد» هكذا حدثني«لابد ان نستمع الى تعليمات الدولة ، فالحلول الذاتية هي الحل. الحلول الذاتية وال «ان جي أو» ولما سألته عما هي «ان جي أو»قال: المنظمات الاهلية ، هذه هي صيحة العصر» . فسألته ولم الضرائب الفادحة اذن»؟قال والعهدة عليه «لازم يعيشوا هما كمان ، ما هي دي الحلول الذاتية بتاعتهم».

عموما ، وبعيدا عن منطقه ، وأنا قد لا اتفق معه عليه ، فقد اتخذ صديقي اجراءات جذرية لتنفيذ فلسفته في التطبيع الايجابي.

فهو يوفر الامان لنفسه ولاسرته بالايجار من شركة من شركات الحراسة وعنده اسطول من السيارات لتنقلاته. وهو يربي اولاده في المدارس الخاصة ويدرسين خصوصيين وسيلحقهم بالجامعة الاهلية. ولديه مولد كهربائي خاص. بل لقد وضع في منزله وهو في احد ضواحي القاهرة الصحراوية ، طلمبة وبيارة مجاري للاستغناء عن مرفق المياة ومرفق الصرف الصحي.

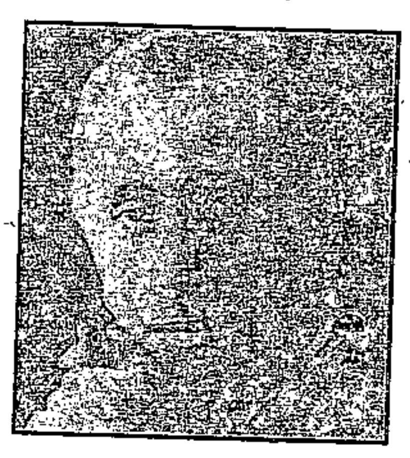
وسألت صديقي عن الاعلام ، فقال«والدش يا سيد مع بعض الاعلام المحلي» فقد كلف احدى الشركات بعمل برنامج كمبيوتر يحل محل التليفزيون المحلي: ولم اصدق وجود هذا البرنامج حتى رأيته بعيني:

بالضغط على حروف T.V تظهر على المونيتور (شاشة الكمبيوتر) ارقام امامها كلمات «اخبار» ، «برامج ثقافية» .. الخ جربت الرقم الخاص بالبرامج الثقافية فكان ما رأيته سحرا: ظهرت على الشاشة نقط ذهبية تجمعت على شكل كتلة كبيرة من الشعر (بفتح الشين) وظهر خلف اسفلها عينان يحيطهما الوان عديدة ثم فم مبتسم يكشف عن صفي اسنان ثم ظهر باقي الوجه والفستان الفاقع الالوان ثم يد تحمل ميكروفون.

تتحدث هذه الكتلة فاقعة الالوان فتقول

وهي تبتسم
الاصل ناصل


فتحي سرور


حسنين هيكل


محمد عبد الوهاب

والعقل واصل
ولما نجري
حقيقي حاصل

(قال صديقي «من الممكن اعادة ترتيب هذه الكلمات أو استبدالها بأخرى ولكن المهم جدا ان ترتفع وتنخفض نبرة المذيعة وهي تقولها مع هزة خفيفة للرأس».

تختفي المذيعة من المونيتور وتسمع صوت موسيقى نشطه يصحبها دقات . كل اربع دقات تظهر نقطة في جانب من الشاشة لتكبر وهي ترقص لتصبح صورة تملأ الشاشة: **محمد عبد الوهاب، احمد شفيق، زمارة، نجيب محفوظ، طبلة، سمير رجب،** سيد مكاوي، **قطة،** عرد .. الخ تبقى الصورة ثوان ثم تختفي مثلما ظهرت .

قال لي صديقي «غير مهم ما تشعر به من غثيان ودوخة من اهتزاز الصورة فهو شعور جميل مثل شعور الطفل في مدينة الملاهي».

ثم اخيرا تظهر السيدة المذيعة (السابق وصفها) ومعها انسان يبدو عليه الوقار والهيبة . وتتحدث المذيعة ويدور الحوار كالآتي:

«لوجينا يمكن نتكلم يعني (وهي تنطقها «ياني») عن نظرتك المستقبلية خلال الاربعة وعشرين ساعة اللي جاية عن هذا الموضوع الهام باني يمكن تقول ايه؟

-الرجل بعد تفكير عميق: «في الواقع ده سؤال هام جدا ويبعث على التأمل العميق ، لو جينا نتكلم في هذا الموضوع لابد نجيب اوله فحسب تعليمات السيد الوزير في بيانه الاخير علينا ان نتدارس هذا الموضوع دراسة وافية شافية لأن فيه الأمن والأمان.

-شكرا، ياني احنا يمكن الا ننسى يمكن اهمية هذا الموضوع فمصر دائما شامخة مثل الاهرام.

سيداتي سادتي ياني يمكن بهذا تكون ودعنا يمكن النقط فوق الهروف.

عودة للصورة الذاهبة والآتية.

وانادني صديقي بأنه عنده برامج يمكن ان تنتج ما يطلق عليه اسم«ناشر المكتب» Desk publishing جريدة يومية تتحدث عن«خطاب تاريخي» ، «صدى الخطاب التاريخي» ، صدى صدى الخطاب التاريخي»... الخ ، بل زعم انه بوضع مداخل معينة في الكمبيوتر يستطيع ان يكتب «الخطاب التاريخي » نفسه.

«هكذا يا سيدي يمكننا الاستغناء عن الحكومة ويمكن للحكومة ان تتفرغ للاعمال الهامة . يجب على الافراد ان يحملوا جانبا اكبر من المسئولية ، الحكومة فقيرة والشعب غني».

وبهذا التطبيع السلبي والايجابي سينتهي جيلنا المناقرة حتى نعيش ما بقي لنا من عمرنا في سلام وراحة ، **فقد رفعنا الراية البيضاء أمام لعنة المداوي... آسف امام الهيه عاطف والهيه والى والهيه صفوت.**

مشاغبات

والعاقبة عندكم في المسرات

وسط الهموم التى يعانيها الناس و«الرزاز» المتساقط عليهم كالسيول، لم يتنبه أحد من المهتمين بالحريات العامة، وفى مقدمتها حرية الصحافة والعمل الحزبى ، إلى أهمية الحكم الذى اصدرته محكمة النقض، فى بداية الشهر الماضى ، بعدم جواز مساءلة رؤساء الاحزاب عما قد ترتكبه الصحف الصادرة عنها، من جرائم نشر، مع انه خبر سار ، كان يستحق ان يفقع المشتغلون بالسياسة عدداً من الزغاريد الملعلعة، لو انه جاء في ظرف غير الظرف وفي مناخ غير المناخ الذى بوّخ كل شئ ، وجعل أى شئ ككل شئ، وساوى بين الديمقراطية وعدمها ، وبين التعددية وقلتها!

والنص على مسئولية رئيس الحزب عما تنشره صحف حزبه من مواد صحفية ، هو أحد التقاليع الديمقراطية التى ابتكرها المرحوم أنور السادات وأقحمها على قانون الاحزاب فى عام ١٩٧٩، وبعد مرور عامين على صدوره، عندما تبين له ان صحف الاحزاب لا تلتزم بأخلاق القرية ، ولا بتقاليد العيلة، ولا تؤيد كامب ديفيد، ولا تصمت على فساد الأصهار ، وغش الابناء فى الامتحانات، واكتشف ان مصادرة هذه الصحف ، والتحقيق مع محرريها أو رؤساء تحريرها ، أو تقديمهم للمحاكمة لا تكفى لردعهم، فأراد بهذا النص ، ان يهدد رؤساء الاحزاب ، وكلهم من الشخصيات العامة ذات المسئوليات الكثيرة بأن «يجرجرهم» ، إلى النيابة، وأن يضيّع وقتهم فى الاجراءات القضائية المعقدة، ولوح فى وجوههم بسيف الحبس بأحكام قاضى العائلة الخصوصى المرحوم أنور أبو سحلى، أنجب تلاميذ فقيه المعمار القانونى المهندس عثمان أحمد عثمان!

وكان إقحام النص فى القانون، دليلاً على أن هذا النوع من حكام أخلاقيى القرية ، يتصور أن القانون هو كوم سباخ، يستطيع أن يضيف اليه كل ما يعن له، تطبيقا لقاعدة «ح أسيخ لهم بالقانون» ، ذلك أن قوانين المطبوعات التى عرفتها مصر، منذ عام ١٨٨٢، كانت تقوم على قاعدة مسئولية المحرر والكاتب عما يكتبه ، كفاعل أصيل اذا تبين أنه خالف القانون، بما يكتبه، وعلى مسئولية افتراضية تقع على عاتق رئيس التحرير، باعتباره الآذن بالنشر فالمسئولية هنا، ترتبط بمن يمارسون «سلطة النشر فى الصحف»، ولم يكن هناك معنى لترتيب مسئولية على رئيس الحزب عما ينشر فى صحفه، الا دفعه للتدخل فى تحريرها ، ومراجعة ما ينشر فيها بنفسه، حتى لا ترتعد -بما تنشر- تحت طائلة العقوبات الواردة فى القانون، وفضلاً عن أن هذا يشغله عن مهامه، ويحوله من رئيس حزب الى رئيس تحرير، فهو يخلق ازدواجاً فى السلطة داخل الصحف الحزبية، تزيد أوضاعها تعقيدا.

ومن حسن الحظ ان هذا النص لم يطبق الا نادراً لسبب خارج عن ارادة الذين اقحموه على القانون، اذ بعد قليل من صدوره، تولى السادات بنفسه رئاسة حزب الحكومة، وبذلك أصبح النص سلاحا ذا حدين، يصلح للتسبيخ لخصومه، وللتسبيخ له هو نفسه، بحكم مسئوليته عما ينشر فى الصحف التى تصدرها دار«مايو» الوطنية للصحافة وبيع الورق المدعوم فى السوق السوداء.

وفى عام ١٩٨٤ فكرت نيابة امن الدولة فى تطبيق هذا النص على الاستاذ خالد محيى الدين ، فى تحقيق كان يجرى مع«الأهالى» بتهمة القذف فى حق وزير الادارة المحلية الذى اتهمه بالمشاركة فى تزوير الانتخابات لكن النيابة عدلت عن ذلك حين تنبهت الى ان تطبيق المادة على رئيس حزب التجمع يعنى تطبيقها على الرئيس مبارك بوصفه رئيساً للحزب الوطنى، ولم تستيقظ المادة الا فى هذا العام وبمناسبة التحقيقات التى كانت تجرى مع جريدة الشعب ، بتهمة القذف فى حق رئيس الوزراء ورئيس ديوان رئيس الجمهورية اذ تم التحقيق مع المهندس« ابراهيم شكرى» وتضمن قرار الاتهام فى القضية اسمه، باعتباره متضامنا مع المحرر ورئيس التحرير فى مسئولية النشر ، وكان فى نية رئيس حزب العمل ان يطعن فى دستورية هذا النص، لولا ان القضية انهيت صلحا!

وفى بداية الشهر الماضى ، حكمت محكمة النقض، ببراءة الاستاذ «**فؤاد سراج الدين**» رئيس حزب الوفد، فى القضية التي كان المرحوم موسى صبرى قد رفعها ضد جريدة الوفد بتهمة القذف في حقه ، وفى حيثيات الحكم سبخت المحكمة لهذه المادة ، وللذين وضعوا تقاويها ، وقالت انها جاءت فى صيغة عامة، يشوبها الغموض والابهام ، وانها لم تحدد ما اذا كانت مسئولية رئيس الحزب مدنية ام جنائية ، واكتفت بالحاقه برئيس التحرير في المسئولية دون ان تحدد او تفصل نوع هذه المسئولية.. وهو حكم يلغى المادة عمليا .. ويكاد يتساوى مع الحكم بعدم دستوريتها ، وكان يستحق زغرودة ديمقراطية ملعلعة لولا ان الديمقراطية أصبحت كقلتها والتعددية -فى هذا الزمن الباهت- قد اصبحت كعدمها ، لذلك نستعيض عن الزغرودة بهذا المقال.. والعاقبة عندكم في المسرات !

صلاح عيسى

